



البرهان على صحة ما تقدم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الذليل الذي لا يقدر







سَيِّرَةُ
الرَّسُولِ وَخُلَفَائِهِ
٧

سيرة الرسول وخلفائه

سماعة العلامة
السيد علي فضل الله الحلي

الجزء السابع

الدار الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



كورنيش المزرعة - بناية الجسر سنتر الطابق الثاني

هاتف: 816627. ص ب: 14/5680

المكاتب والمستودعات - جارة جريك شارع دكاش

هاتف: 820704 - 835670. ص ب: 25/209



حرب صفين

لا بد لنا قبل الخوض في تفاصيل قصة معركة - صفين - من القاء نظرة عابرة على الأسباب التي دعت إلى هذه الحرب بين أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من جهة ومعاوية المتمرد بالشام من جهة أخرى . . .

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يعلم بأن الدين الإسلامي لا يقوم على غزو البقاع باحتلالها بالقهر والقوة . . وشراء ضمائر الناس بالهبات والأموال . . وإنما الإسلام هو غزو الأنفس بامتلاك الأسباب التي تشرب تعاليم الإسلام السامية . . وهذه صفات المؤمنين المخلصين الذين باعوا أنفسهم لله .

كان علي (عليه السلام) يعلم بأن الإيمان بالله هو وحده السلاح القاطع الذي يستطيع المسلمون به بسط سلطانهم على أهل الدنيا الضالين . . لأن الإيمان بالله سلاح لا يضاهيه سلاح . . .

فالإيمان الذي غرس النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نواته في قلوب ثلة من المستضعفين . . المظلومين أثمر قوة عظيمة ذات بأس شديد، مؤلفة من رجال مؤمنين مشوا في قدم ثابتة، وبإيمان عظيم، وعقيدة راسخة مشي الأعصار المدمر، فأطاحوا بالجبابرة، والطواغيت من أصحاب العروش والصوالج، من فرس وروم . . أمثال كسرى وقيصر .

كانت هذه الثلاثة من المؤمنين الصالحين وعلى رأسهم أمير المؤمنين (عليه السلام) تعمل جاهدة ما بوسعها لتركيز دعائم الدين، وليبقى علم الإسلام مرتفعاً على ساريتيه حيثما سارت، وكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله تتردد عالياً بمعانيها القدسية.

لكن أعداء الإسلام من أهل الأهواء والأغراض ومن أهل الأطماع، قعدوا لأمير المؤمنين في كل مرصد، وأخذت مكائدهم تعمل لتطويق سلطانه لتنوشه من كل ناحية بال المكر والحيلة تارة.. والغدر تارة أخرى، لعله (عليه السلام) يستسلم لرغباتهم فينالوا ما يطمحون إليه...

أما أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فإنه بروحه العالية، وسجاياه الفاضلة، وأخلاقه الكريمة، وإيمانه العظيم لا يقر معاوية بن أبي سفيان وأمثاله على الباطل وسلوك الطرق الملتوية لاحتلاب الدنيا...

وحاشا ابن أبي طالب ربيب الرسول.. وزوج البتول.. وسيف الله المسلول أن يقر الظالمين على ظلمهم أو يرضى أن يكون أمراء البلاد من عماله أهل الجور والفساد.

فأهل الأطماع ومحبي الجاه والسلطان في جانب.. وعلي بن أبي طالب في جانب آخر.

وعلى هذا نجد أن الإمام علي (عليه السلام) لم يكن يريد الحرب حباً بالحرب، أو يريد الحرب للجاه أو السلطان بل كانت جميع مواقفه وحرابه لتطبيق شريعة الله في الأرض على أساس العدل والمساواة.. وإلا لكان (عليه السلام) أبقى على ولاية عثمان بن عفان أمثال معاوية بن أبي سفيان خاصة بعدما أشار عليه المغيرة بن شعبة وغيره بالإبقاء على معاوية على عمله بالشام حتى يبايع، ويستتب الأمر له (عليه السلام). وبعد ذلك يعزل من يشاء ويبقى من يشاء. حتى أنه يروى عن ابن عباس كان يرى أن يثبت أمير المؤمنين (عليه السلام) بعض العمال على أعمالهم وخاصة معاوية حتى تأتيه بيعتهم فيعزل بعدها من يشاء لعل رأي

ابن عباس في هذا هو سكوت علي حتى يستتب له الأمر وينفسح الوقت للحسم ولقاء الأمور بغير هوادة . .

لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) بإيمانه العظيم في الله وشدة تمسكه بالحق من شأنه أن لا يدع حاكماً جائراً مهما كانت الظروف صعبة، فالحق حق، والباطل باطل، ولا يمكنه (عليه السلام) أن يقر الباطل ولو لفترة قصيرة . . .

فشأنه (عليه السلام) مع معاوية وغيره إقامة الحق والعدل . . لا مهادنة . . ولا مهادنة . . ولا مدارات، بل كان يخيره بين البيعة . . أو الحرب فكان (عليه السلام) يرأسل معاوية المرة بعد المرة وما كان ذلك إلا حرصاً على دماء المسلمين .

وليس خافياً على أحد أنه (عليه السلام) من أول يوم ببيع فيه بالخلافة بالمدينة المنورة كان يسعى جاهداً إلى لم شتات المسلمين والعمل على جمع كلمتهم وعدم تفرقهم، وجعلهم كتلة واحدة على من خالفهم من أعداء الله ورسوله .

فإنه (عليه السلام) نجده بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحرك ساكناً لأجل توليه الخلافة من بعده مع علمه بأنه أحق بها من كل أحد من المسلمين، لقربته من الرسول وسابقته في الإسلام وجهاده العظيم ولوصية رسول الله له بالخلافة يوم غدیر خم مرجعه من حجة الوداع . . الخ .

ومع هذا كله فقد سكت عنه حقه بالخلافة طيلة أيام أبي بكر وعمر وحتى أيام عثمان بن عفان . . وما كان سكوته (عليه السلام) إلا حفاظاً على الإسلام، وعلى جمع كلمة المسلمين . وهذا واضح من كلامه وخطبه في عدة مناسبات . حتى أنه (عليه السلام) لأجل جمع كلمة المسلمين قال لمن أرادوه على البيعة له بالخلافة بعد مقتل عثمان بما معناه - لأن أكون وزيراً خيز من أن أكون أميراً .

لكن (عليه السلام) بعد الالحاح عليه بقبول الخلافة في المدينة المنورة من الأكثرية الساحقة من قادة المسلمين وثقاتهم . لم يجد بداً من قبولها للسعي إلى احياء شعائر الله والسير بالعدل والمساواة بين طبقات المسلمين . . .

هذا العدل وتلك المساواة هي التي أغضبت الطامعين بالدنيا الذين قدموا دنياهم على آخرتهم . ومن جملتهم طلحة والزبير اللذين نكثا بيعة أمير المؤمنين علي بعد أن بايعاه طائعين . . وسعيا إلى حربه بقيادة أم المؤمنين السيدة عائشة وخرجوا إلى البصرة، فكانت حرب الجمل، وكان ما كان فيها من اهراق الدماء كما ذكرنا سابقاً.

زيادة على أن وقعة الجمل فتحت باب الفتن على مصراعيه بين المسلمين . . . أغرت معاوية بن أبي سفيان بأن يطل برأسه للطلب بدم عثمان كذباً منه وزوراً وبهتاناً . . أخذ يعلن العصيان والتمرد على خليفة زمانه أمير المؤمنين علي وليس له بالحقيقة من مأرب سوى طمعه في الملك وحقده الدفين على علي بن أبي طالب وبني هاشم . . .

ذلك الحقد القديم الذي كبتته الأيام رغماً عنه .

وعلى كل حال أقول: أنه بعد مقتل عثمان، وحرب الجمل رأى معاوية أن الفرصة قد سنحت له وواتته الظروف ليشعلها حرباً شعواء على غريمه أمير المؤمنين علي . . .

فما كان من أمير المؤمنين علي إلا أن أرسل إليه مع جرير بن عبد الله البجلي كتاباً يدعو فيه إلى البيعة هو وأهل الشام، حتى لا تكون فتنة وإلا اضطره لمحاربته . . . لثلا ينزع معاوية إلى الشقاق، والنفاق . . وخصوصاً بعد أن استمال أهل بلاد الشام بشراء ضمائرهم بالهبات والعطاء وأغدق عليهم الأموال مدة تزيد على عشرين سنة . . فقد وطأ له ذلك من سبق علياً من الخلفاء إذ جعلوا بلاد الشام تحت أمرته حتى كبر الصغير وشاب الكبير . . وشبع فتیان وشيوخ أهل الشام من عطاياء حتى التخمة . . فصاروا في قبضته آلة صماء يسيرهم كيف يشاء . .

وسياتي الكثير من الشواهد على ذلك.

وحينما رأى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مراوغة معاوية وميله للعصيان والتمرد ووجهه للملك والتسلط، ورغبته في الحرب لم يجد بدا من مراسلته والقاء الحجة عليه ليعذر في حربه. مع أنه (عليه السلام) يعلم بأن معاوية قد استغواه الشيطان وأغراه حب الدنيا والسلطان. . لن ينصاع إليه لكنه من باب الأعذار والقاء الحجة كما أسلفنا.

دخول الأحنف بن قيس على أمير المؤمنين علي بالكوفة

ذكر نصر بن مزاحم في كتابه - صفين - أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مكث بالكوفة، وكتب إلى العمال في الآفاق، وكان أهم الوجوه إليه الشام.

وقدم على أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد قدومه الكوفة الأحنف بن قيس، وجارية بن قدامة، وحارثة بن بدر، وزيد بن جبلة، وأعين بن ضبيعة، وعظيم الناس بنو تميم، وكان فيهم أشراف. . ولم يقدم هؤلاء على عشيرة من أهل الكوفة.

فقام الأحنف بن قيس، وجارية بن قدامة، وحارثة بن بدر، فتكلم الأحنف فقال:

يا أمير المؤمنين، أنه إن تك سعد لم تنصرك يوم الجمل. . فإنها لم تنصر عليك. . وقد عجبوا أمس ممن نصرك، وعجبوا اليوم ممن خذلك لأنهم شكوا في طلحة والزبير. . ولم يشكوا في معاوية. وعشيرتنا بالبصرة، فلو بعثنا إليهم، فقدموا إلينا، فقاتلنا بهم العدو، وانتصفنا بهم، وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس.

فقال علي (عليه السلام) لجارية بن قدامة: وكان رجل تميم بعد الأحنف:

ما تقول يا جارية . ؟

قال جارية : أقول : أن هذا جمع حشره الله لك بالتقوى ولم تستكره فيه شاخصاً . . ولم تشخص فيه مقيماً . . . الخ .

وكان حارثة بن بدر أشد الناس رأياً عند الأحنف، وكان شاعر بني تميم وفارسهم . .

فقال له علي : ما تقول يا حارثة : ؟

فقال - حارثة - : يا أمير المؤمنين أنا نشوب الرجاء بالخافة ، والله لوددت أن أمرائنا رجعوا إلينا ، فاستعنا بهم على عدونا ولسنا نلقى القوم بأكثر من عددهم ، وليس لك إلا من كان معك . وأن لنا في قومنا عدد لا نلقى بهم عدواً أعدى من معاوية ، ولا نسد بهم ثغراً أشد من الشام ، وليس بالبصرة بطانة نرصدهم لها ولا عدو نعددهم له ، ووافق الأحنف في رأيه .

فقال علي (عليه السلام) للأحنف : اكتب إلى قومك . .
فكتب الأحنف إلى بني سعد :

أما بعد . . فإنه لم يبق أحد من بني تميم إلا وقد شقوا برأي سيدهم غيركم . . فقد شقيت سعد بن خرشة برأي ابن يثرب - وذلك يوم الجمل حيث حارب علياً - وشقيت بنو حنظلة برأي الحيان ، وشقيت عدي برأي زرود مطر ، وشقيت بنو عمرو بن تميم برأي عاصم بن الدلف ، وعصمكم الله برأيي لكم ، حتى نلتهم ما رجوتهم ، وأمنتم ما خفتهم ، وأصبحتهم منقطعين من أهل البلاء ، لاحقين بأهل العافية .

وأي أخبركم أنا قدمنا على تميم الكوفة ، فأخذوا علينا بفضلهم مرتين ، بمسيرهم إلينا مع علي . . وميلهم إلى المسير إلى الشام . . ثم أحسوا^(١) حتى صرنا كأننا لا نعرف إلا بهم . . فأقبلوا إلينا ، ولا تتكلوا

(١) الحماس : الشدة ، والمنع والمহারبة . والحماسة : الشدة في الأمر والشجاعة . والحميس الشجاع الشديد . الأحس : المشتد الصلب في الدين أو القتال . المنجد في اللغة .

عليهم فإن لهم أعدادنا من رؤسائهم ، وحناناً أن نلحق . . فلا تبطؤوا فإن
من العطاء حرماناً . . ومن النصر خذلاناً . . .

فحرمان العطاء القلة . . وخذلان النصر الإبطاء . . الخ ،

وكتب معاوية بن صعصعة وهو ابن أخي الأحنف إليهم أبياتاً من
الشعر يستحثهم على عدم الإبطاء والسماع للأحنف منها .

ولا تبطئوا عنه وعيشوا برأيه	ولا تجعلوا مما يقول لكم بدا
أليس خطيب القوم في كل وفدة	وأقربهم قريباً وأبعدهم بعدا
وأنّ علياً خير حافٍ وناعل	فلا تمنعوه اليوم جهداً ولا جدا
ومن نزلت فيه ثلاثون آية	تسميه فيها مؤمناً مخلصاً فردا

فلما انتهى كتاب الأحنف وشعر معاوية بن صعصعة إلى بني سعد
ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة ، فعزت بالكوفة ، وكثرت . ثم قدمت
عليهم ربيعة^(٢) .

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٢ .

جرير البجلي رسول أمير المؤمنين علي إلى معاوية

من عادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن لا يبدأ أحداً بقتال حتى يعذر فيه المرة تلو المرة . . وكان هذا شأنه في جميع مواقفه وحروبه .

ففي البصرة يوم حرب الجمل وعظ المنشقين فلم يتعظوا، وحذرهم من عواقب الأمور . . فلم يحذروا . وناداهم مراراً بالرجوع عن غيهم فلم يرجعوا . .

كل ذلك كان منه خوف الفتنة التي قد تجتاح المسلمين، وتغير معالم الدين .

في مثل هذا الحال كان شأن علي بن أبي طالب مع معاوية بن أبي سفيان حين استبد معاوية برأيه وأخذ الغرور وأعمته مطامعه الدنيوية . . وحين رأى علي (عليه السلام) أن معاوية لا ينصاع للحق، ولا يهيمه مصلحة المسلمين . . وعلم (عليه السلام) أن معاوية سيستغل مقتل عثمان بن عفان ويثيرها فتنة بين المسلمين ويشعلها حرباً شعواء . . لعله يحظى بالملك متذرعاً في ذلك بالمطالبة بدم عثمان وهو يعلم أنها حيلة ومكيدة لتهييج اتباعه بالشام .

فما كان من أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلا أن أرسل جرير بن

عبداله البجلي إلى معاوية وحمله كتاباً يدعو فيه للبيعة ويحذره من عواقب الأمور إذا امتنع عن ذلك .

ففي كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم ، عن عامر الشعبي : أن علياً حين قدم من البصرة ، نزع جريراً عن همدان . فجاء - جرير - حتى نزل الكوفة فأراد علي أن يبعث إلى معاوية رسولاً . .

فقال له جرير : ابعثني إلى معاوية ، فإنه لم يزل لي مستنصحاً . . وأود أن آتية فأدعوه على أن يسلم لك هذا الأمر ، ويجامعك على الحق ، على أن يكون أميراً من أمرائك ، وعاملاً من عمالك ، ما عمل بطاعة الله ، واتبع ما في كتاب الله . وادعوا أهل الشام إلى طاعتك ، وولايتك ، وجلهم قومي ، وأهل بلادي ، وقد رجوت أن لا يعصوني .

فقال له الأشتر : لا تبعثه . . ودعه ولا تصدقه . . فوالله أني لأظن هوواه هواهم ، ونيتهم نيتهم .

فقال له علي (عليه السلام) : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا .

فبعثه إلى معاوية ، وقال له حين أراد أن يبعثه : أن حولي من أصحاب رسول الله من أهل الدين والرأي من قد رأيت ، وقد اخترتك عليهم .

أثت معاوية بكتابي ، فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون . . وإلا فانبذ إليه ، واعلمه أني لا أرضى به أميراً . . .

فانطلق جرير حتى أتى إلى الشام ، ونزل بمعاوية . فدخل عليه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أما بعد يا معاوية فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين ، وأهل المصريين ، وأهل الحجاز ، وأهل اليمن ، وأهل مصر ، وأهل العروش وعمان ، وأهل البحرين واليامة . . فلم يبق إلا أهل هذه الحصون التي أنت فيها ، لوسال عليها سيل من أوديته غرقها . . وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل . . ودفع إليه الكتاب . . كتاب

علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد . . فإن بيعتي لزمته بالمدينة وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر، وعمر، وعثمان على ما بويعوا عليه، فلم يك للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد . . وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار. فإذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً، كان ذلك لله رضا. فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة، ردوه إلى ما خرج منه. فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، ويصليه جهنم وساءت مصيراً.

وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي، وكان نقضهما كردهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن أحب الأمور إلي فيك العافية، حتى تتعرض للبلاء^(١) فإن تعرضت له قاتلتك، واستعنت الله عليك . .

وقد أكثر في قتلة عثمان . . فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله . . فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن.

ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك . . لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان . . .

واعلم - يا معاوية - أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى . . .

وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة . . فبايع ولا قوة إلا بالله^(٢).

(١) وفي رواية: إلا أن تتعرض للبلاء.

(٢) كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ص ٢٣ والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج - ١ - ص ٩٣ وشرح نهج البلاغة وغيرهم.

ما كان من أمر جرير البجلي ومعاوية

روى المؤرخون وأصحاب السير: أن جرير بن عبدالله البجلي عندما وصل إلى الشام وسلم كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى معاوية بن أبي سفيان ذلك الكتاب الذي يطلب فيه أمير المؤمنين علي من معاوية البيعة منه ومن أهل الشام . . ويحذره من التعرض للبلاء يحمله على محاربته إن لم يدخل فيما دخل فيه المسلمون . . وموضحاً له من أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى . . .

ولم ينس (عليه السلام) من أن يبين لمعاوية بوضوح بأن مطالبة بدم عثمان ما هي إلا خدعة ومكيدة - خدعة الصبي عن اللبن - لا تخفى على ذوي الألباب .

روى نصر بن مزاحم من أنه لما قرأ - معاوية - الكتاب . . قام جرير بن عبدالله البجلي رسول علي (عليه السلام) إلى معاوية فخطب خطبة قال من جملتها:

أيها الناس . . أن أمر عثمان قد أعيا من شهبه، فما ظنكم بمن غاب عنه! وأن الناس بايعوا علياً غير واثق ولا موقوف . .

وكان طلحة والزبير ممن بايعه، ثم نكثا بيعته على غير حدث . . .

ألا وأن الدين لا يحتمل الفتن . . . ألا وأن العرب لا تحتمل
السيف . . . وقد كانت بالبصرة أمس ملحمة أن يشفع البلاء بمثلها فلا
بقاء للناس .

وقد بايعت العامة علياً . . . ولو ملكنا والله أمورنا لم نختر لها
غيره . . . ومن خالف هذا استعيب . . .

فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس . . .

فإن قلت : استعملني عثمان ، ثم لم يعزلي . . . فإن هذا أمر لو جاز
لم يقيم الله دين ، وكان لكل امرئ ما في يديه . . . ولكن الله لم يجعل
للآخر من الولاة حق الأول ، وجعل تلك أموراً موطأة ، وحقوقاً ينسخ
بعضها بعضاً .

فقال معاوية : انظر وتنظر . . . واستطلع رأي أهل الشام .

فلما فرغ جرير من خطبته ، أمر معاوية مناد فنادى . . . الصلاة
جامعة .

فلما اجتمع الناس ، صعد المنبر وخطب خطبة طويلة . . . حث فيها
أهل الشام ، على المطالبة بدم عثمان ودعمه للأخذ بالثأر بعد أن مدحهم
وبث فيهم روح النخوة والحمية قال من جملة كلامه :

أيها الناس : قد علمتم أي خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ،
وأي خليفة عثمان بن عفان عليكم . . . وأني لم أقم رجلاً منكم على خزية
قط . . .

وأني ولي عثمان ، وقد قُتل مظلوماً . . . والله يقول : ﴿ ومن قتل
مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل أنه كان منصوراً ﴾ .

وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان . فقام أهل
الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك . وأوثقوا
له على أن يبذلوا أنفسهم ، وأموالهم ، ويدركوا ثأره ، أو يفني الله

أرواحهم^(١).

أقول: تفنن معاوية في خطبته باستجلاب أهل الشام، وجرحهم إلى حرب ليس لهم فيها بالحقيقة مصلحة أو مآرب سوى ارضاء شهواته ورغباته.

وتفنن أيضاً: في سبك الجمل البراقة، والعبارات المثيرة التي نفخت في رؤوسهم الحمية.. حمية الجاهلية.. فراحوا يعطونه مواثيقهم من دون روية.. على أن يبذلوا أنفسهم وأمواهم، أو يدركوا بثأره، أو يفني الله أرواحهم.

ولا عجب في ذلك فقد ملك معاوية ألباب أهل الشام، وهم صنيعته.. بعد أن أتهمهم بالهبات والأموال واستولى على عقولهم - فالإنسان عبد الإحسان -.

وبفضل العطايا الجزيلة التي أغدقها عليهم، والتي شب عليها الصغير، وشاب الكبير تغلغلت في نفوسهم محبته وتأييده حتى أصبحوا في يده آلة صماء يحركها كيف يشاء لا يسمعون إلا قوله... ولا يأترون إلا بأمره...

استغل معاوية انقياد أهل الشام له ذلك الانقياد الأعمى شنها حرباً على صوت الحق أمير المؤمنين علي (عليه السلام) واتباعه الصالحين المصلحين.

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم أيضاً: عن محمد بن عبدالله عن الجرجاني: أنه لما جن معاوية الليل وكان قد اغتم بما فيه وعنده أهل بيته قال:

تطاول ليلى واعترتني وساوسي لآت أتى بالترهات البسايس
أتانا جرير والحوادث جمّة بتلك التي فيها اجتداع المعاسيس

(١) كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٥.

أكابده والسيف بيني وبينه ولست لأثواب الدني بلبس
واستحشه جرير البجلي بالبيعة - لعل (عليه السلام) - فقال
معاوية: يا جرير أنها ليست بخلصة.. وأنه أمر له ما بعده.. فأبلغني
ريقي حتى انظر^(١).

(١) كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٦.

استعانة معاوية بعمر بن العاص

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وغيره أنه لما نزل علي (عليه السلام) الكوفة، بعد فراغه من أمر البصرة، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان كتاباً يدعوه إلى البيعة، مع جرير بن عبدالله البجلي. فقدم جرير على معاوية بالشام.

فلما قرأ معاوية الكتاب اغتم بما فيه، وذهبت به أفكاره كل مذهب وطاول جريراً بالجواب عن الكتاب، حتى كلم قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان، فأجابوه ووثقوا له، وأحب الزيادة في الاستظهار، فاستشار أخاه عتبة بن أبي سفيان، فقال له: استعن بعمر بن العاص، فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه. . . وقد اعتزل عثمان في حياته، وهو لأمرك أشد اعتزلاً. . . إلا أن يثمن له دينه. . . فسنييعك، فإنه صاحب دنيا.

فكتب معاوية إلى عمرو بن العاص:

أما بعد. . . فإنه كان من أمر علي بن أبي طالب وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة^(١). وقدم علينا جرير بن عبدالله البجلي في بيعة علي. . .

(١) في كتاب صفين لنصر بن مزاحم: في رافضة أهل البصرة.

وقد حبست نفسي عليك . . . فأقبل أذاكرك أموراً لانعدم صلاح مغبتها . .

فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنه : عبدالله بن عمرو . .
ومحمد بن عمرو .

فقال لهما : ما تريان ؟ .

فقال عبدالله : أرى أن أبا بكر وعمر قبضا وهما عنك راضيان . .
وقتل عثمان وأنت عنه غائب . ففر في منزلك فلست مجعولاً خليفة ، ولا
تزيد على أن تكون حاشية لمعاوية ، على دنيا قليلة ، أو شكتما أن تهلكا
فتستويا في عقابها^(١) .

وقال محمد : أرى أنك شيخ قريش ، وصاحب أمرها ، وأن تصرم
هذا الأمر وأنت فيه غافل^(٢) تصاغر أمرك . . .

فالحق بجماعة أهل الشام ، وكن يداً من أيديها ، طالباً بدم عثمان ،
فإنه سيقوم بذلك بنو أمية^(٣) .

فقال عمرو : أما أنت يا عبدالله . . فأمرتني بما هو خير لي في
ديني . .

وأما أنت يا محمد . . فأمرتني بما هو خير لي في دنياي . . وأنا
ناظر .

فلما جنه الليل - تراكمت عليه الهموم وأخذته الحيرة . . ماذا يفعل
وفي أي طريق يسلك . . هل يختار جادة علي وهو يعلم حق العلم أن
الحق معه . . أم يعتزل ويبقى في بيته بفلسطين وكان قد ذهب إليها لما

(١) كذا في الإمامة والسياسة . وفي بعض النسخ فتستويا وفي كتاب صفين : أو شك أن
تهلك فتشقى فيها .

(٢) في صفين والإمام والسياسة : وأنت غافل .

(٣) في الإمامة والسياسة لابن قتيبة : وكتاب صفين لنصر بن مزاحم : فإنك به تستميل بني
أمية .

حوصر عثمان بن عفان وكان له منزل بها . . أم يكتفي بدنيا معاوية الزائلة التي يدعوه إليها، والتي سال لعابه عليها، وأثارت في نفسه الجشع والطمع وحب الامارة.

كل هذه الأمور اجتمعت عليه في وقت واحد فاضطرب وأخذته الحيرة ولم يجد النوم إلى جفنه سبيلاً - رقع صوته وأهله يسمعون^(١) فقال:

تطاول ليلي بالهموم الطوارق	وخوفي التي تجلو وجوه العوائق
وأن بن هند سألني أن أزوره ^(٢)	وتلك التي فيها بنات البوائق
أتاه جرير من علي بخصلة	أمرت عليه العيش ذات مضائق
فلن نال مني ما يؤمل رده	وإن لم ينله ذل المضايق ^(٣)
فوالله ما أدري وما كنت هكذا	أكون ومهما قادني فهو سابق
أخادعه أن الخداع دنية	أم أعطيه من نفسي نصيحة وامق
أم أقعد في بيتي وفي ذاك راحة	لشيخ يخاف الموت في كل شارق
وقد قال عبدالله قولاً تعلق	به النفس إن لم تقطعني عوائقي
وخالفه فيه أخوه محمد	وأني لصلب العود عند الحقائق ^(٤)

فقال ابنه عبدالله: رحل الشيخ .

ودعا عمرو غلامه وردان، وكان داهياً مارداً . .

فقال عمرو: ارحل يا وردان . . .

ثم قال: أحطط يا وردان . . .

ثم قال: أرحل يا وردان . . . أحطط يا وردان .

فقال له وردان : خلط أبو عبد الله ؟ ! . . أما أنك إن شئت

أنبأتك بما في قلبك .

(١) وفي كتاب صفين وأعيان الشيعة: وأهله ينظرون إليه .

(٢) وفي كتاب صفين وأعيان الشيعة: سألني أن أزوره .

(٣) المطابقة: المشي في القيد .

(٤) الحقائق: ما يجب على المرء حمايته من عرض ومال .

قال عمرو: هات. . ويحك!

قال وردان: اعتزكت الدنيا والآخرة على قلبك، فقلت: علي معه الآخرة في غير دنيا. . وفي الآخرة عوض من الدنيا. ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة. . وليس في الدنيا عوض من الآخرة. . وأنت واقف بينهما.

قال عمرو: قاتلك الله. . ما أخطأت ما في قلبي! . فما ترى يا وردان؟

قال وردان: أرى أن تقيم في بيتك. . فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم - أي فضل دينهم - وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك.

قال عمرو: ألآن لما أشهرت العرب سيري إلى معاوية! (١) فارتحل وهو يقول:

يا قاتل الله وردانا وقدحتته (٢)	أبدى لعمرك ما في النفس وردان
لما تعرضت الدنيا عرضت لها	بحرص نفسي وفي الأطماع أدهان (٣)
نفس تعف، وأخرى الحرص يغلبها	والمرء يأكل تبناً وهو غرثان (٤)
أما علي فدين ليس يشركه	دنيا، وذاك له دنيا وسلطان
فاخترت من طمع دنيا على بصر	وما معي بالذي اختار برهان
أني لأعرف ما فيها وأبصره	وفيّ أيضاً لما أهواه ألوان
لكن نفسي تحب العيش في شرف	وليس يرضى بذل العيش إنسان

فسار عمرو حتى قدم على معاوية، وعرف حاجة معاوية إليه. فباعده من نفسه، وكايد كل واحد منها صاحبه (٥).

(١) في الإمامة والسياسة: الآن حين شهرتني العرب بمسيري إلى معاوية. وفي كتاب صفين: الآن لما شهدت العرب مسيري إلى معاوية - وفي أعيان الشيعة: بمسيري.

(٢) وفي كتاب صفين: وفطنته. وفي أعيان الشيعة: وقرحته - أي قريحته. (٣) الإدهان: المصانعة.

(٤) غرثان: غرث - غرثا: جاع فهو غرثان. المنجد في اللغة.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج - ٢ - ص ٦١ - ٦٢ ط. دار احياء التراث العربي - بيروت.

عمرو بن العاص عند معاوية

خرج عمرو بن العاص من منزله في فلسطين متوجهاً نحو الشام لمقابلة معاوية بن أبي سفيان وفي نفس عمرو تعتلج عوامل كثيرة . . حب الدنيا وشهواتها . . والطمع بالامارة والولاية وعلى الأخص ولاية مصر إذ أنه مكث فيها زماناً من أيام ولايته عليها .

فحب مصر غلب على عقل عمرو وسمعه وكانت ولايتها معقد آماله، ونبع أحلامه التي ما زالت منذ غادرها تترأى له وتتهادى في خياله، حتى لم يعد يهيمه إلا الجلوس على عرش ولايتها بأي ثمن . .

ولم يعد عمرو يفكر بشيء سوى أطماعه الدنيوية حتى الآخرة والعمل لها . . لم يفكر بها ولم تخطر له على بال مع أنه أصبح الشيخ المسن، ومن حقه أن يمشي في طريق الصواب ولا ينحرف ويسلك الطرق الملتوية . .

لكن حب الدنيا والولاية قد أغشيا بصره وبصيرته فهو والحالة هذه عقله عند معاوية وكيف يدبر الأمر ويتحالف معه لينصبا جائل مكرهما وخداعهما معاً . . وكيف يحصل على ولاية بلاد النيل . .

وتتقاذفه الأفكار وهو يطوي الفيافي والقفار . . قاطعا الصحراء نحو الشام . . ويمر أمام مخيلته شريط من الأيام الماضية . . فعثمان بن

عفان الخليفة الأموي عزله بالأمس عن ولاية مصر وحرمه منها . . . وها هو الآن يراوغ معاوية بن أبي سفيان الأموي الذي طلب استعانته ليردها عليه . . . واته الفرصة فليغتتمها أموي حرمه ولاية مصر . . . وأموي سيردها عليه . . .

فلا يضيره بعد أن يرد معاوية عليه ولاية مصر أن يتحالف معه ويدبر المكائد والمؤامرات لمحاربة صوت الحق علي بن أبي طالب . . .

فليس من عجب أن تكون مصر ثمن الآخرة لعمر بن العاص .

ففي كتاب صفين لنصر بن مزاحم : سار عمرو بن العاص حتى قدم إلى معاوية ، وعرف حاجة معاوية إليه ، فباعه وكايد كل واحد منهما صاحبه .

فلما دخل عليه قال - معاوية - : أبا عبدالله طرقتنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ، ليس فيها ورد ولا صدر .

قال عمرو : وما ذاك ؟

قال معاوية : ذاك أن محمد ابن أبي حذيفة قد كسر سجن مصر ، فخرج هو وأصحابه . . .

ومنها - : أن قيصر زحف بجماعة الروم إلى ليغلب على الشام .

ومنها - : أن علياً نزل الكوفة ، متهيئاً للسير إلينا . .

قال عمرو : ليس كل ما ذكرت عظيماً . .

أما ابن أبي حذيفة^(١) فما يتعاضمك من رجل خرج في أشباهه أن

(١) محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، ولد بأرض الحبشة ، وكان أبوه من السابقين الأولين وأمه سهلة بنت سهيل بن عمرو العامرية . وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني ما ملخصه : أن عثمان بن عفان أرسله . بعد استخلافه إلى مصر فكان - محمد - من أشد الناس تألياً على عثمان . ولما قتل عثمان بن عفان بايع أهل مصر محمد بن أبي حذيفة بالامارة ، إلا عصابة منهم معاوية بن =

تبعث إليه خيلاً تقتله، أو تأتيك به . وإن فاتك لا يضر . . .

وأما قيصر فاهد له من وصفاء الروم، ووصائفها، وآنية الذهب والفضة، وسله المودعة، فإنه إليها سريع .

وأما علي بن أبي طالب . . فلا والله يا معاوية ما تسوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء . وأن له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش، وأنه لصاحب ما هو فيه . . إلا أن تظلمه^(١) .

وفي تاريخ اليعقوبي: قدم عمرو على معاوية، فذاكره أمره، فقال له: أما علي فوالله لا تساوي العرب بينك وبينه، إلى قوله: إلا أن تظلمه .

فقال له معاوية: صدقت . . ولكننا نقاتله على ما في أيدينا ونلزمه قتل عثمان .

قال عمرو: واسوأته . . أن أحق الناس أن لا يذكر عثمان لا أنا ولا أنت . .

قال معاوية: ولم يحك؟! قال عمرو: أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام، حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي فسار إليه، وأما أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين^(٢) .

= خديج، وبسر بن أرطاة . ولما أراد معاوية بن أبي سفيان المسير إلى صفين رأى أن لا يترك أهل مصر مع ابن أبي حذيفة خلفه . فسار إليهم في عسكر كثيف، فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر، فمنعوه من دخول القسطنطينية .

وفي الإصابة أيضاً: قال أبو أحمد الحاكم: خدع معاوية بن أبي سفيان محمد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى العريش في ثلاثين نفساً، فحاصره معاوية، ونصب عليه المنجنيق، حتى نزل - محمد بن حذيفة - على صلح . فغدر به معاوية . . فحبس ثم قتل .

وفي الإصابة أيضاً: ذكر خليفة بن خياط في تاريخه: أن علياً (عليه السلام) لما ولي الخلافة أقر محمد بن أبي حذيفة على إمارة مصر . ثم ولاها محمد بن أبي بكر .

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ - ص ١٧٥ .

المساومة . . بين معاوية وعمرو

التقى معاوية بن أبي سفيان بعمر بن العاص ، فتراوفا فترة ،
وكايد كل واحد منهما صاحبه . .

لقاء غريب . . لم يأمن فيه أحدهما لصاحبه . . ولم يركن له . .
لقاء تقيمه الأنانية وحدها . . ولا يربط بأي ثقة بين الاثنين . .
وصولي بني سهم عمرو بن العاص . . ووصولي الأمويين
معاوية . .

وإذا تأملنا قليلاً نجد أن رحلة ابن العاص إلى الشام لم تكن حباً
بمعاوية وشوقاً إليه ، بل كانت للمساومة ، والمراوغة ، والانتفاع .

كذلك دعوة معاوية بن أبي سفيان لم تكن حباً وإخلاصاً لعمر ،
بل للاستعانة به لعله يبادر الأمور بالحيلة والخداع ، ويحسمها .

فمعاوية يعلم أن عمرو قد جاء دون ريب للانتفاع . . وبذل من
دينه وآخرته . . وأراق من ضميره القدر الكافي بقدر الخطي التي قطعتها
قافلته طوال طريقها من فلسطين إلى الشام .

التقى معاوية بعمر فلم يكن ابن العاص بالمخدوع لتغشه كلمات
صاحبه معاوية التي غلفها بطلب المشورة . . وبطنها بالنخوة والمطالبة بدم
عثمان .

لذلك نجد عمرو بن العاص يخرج من التلميح بطلبته إلى التصريح بالسافر عندما أعياه تجاهل معاوية ومراوغته ، كما سيأتي .

ذكر المؤرخون مساومة عمرو بن العاص ومعاوية واتفاقهما على الباطل . . وهو حرب علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

ونحن توخياً للفائدة ننقل ما ذكره نصر بن مزاحم في كتاب صفين لأنه من أهم المصادر الموثوقة المعتمد عليها .

عن نصر بن مزاحم : أنه قال معاوية لعمرو بن العاص : يا أبا عبد الله أني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربه ، وقتل الخليفة ، وأظهر الفتنة ، وفرق الجماعة ، وقطع الرحم .

قال عمرو : إلى جهاد من ؟ !

قال معاوية : إلى جهاد علي . .

فقال عمرو : والله يا معاوية ما أنت وعلي بعلمي^(١) بعير . . مالك هجرته ، ولا سابقته ، ولا صحبتته ، ولا جهاده ، ولا فقهاءه ، ولا علمه . والله أن له مع ذلك حداً ، وحدوداً ، وحظاً وحظوة ، وبلاء من الله حسناً . . فما تجعل لي أن شايعتك على حربيه وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر ؟

قال معاوية : حكملك . .

قال عمرو : مصر طعمة^(٢) . . .

فتلكاً عليه معاوية . . .

وفي رواية : قال له معاوية : أني أكره لك أبا عبد الله أن يتحدث

(١) الحكم بالكسر : العدل ما دام فيه المتاع ، والعكبان : العدلان . وما انتما بعلمي بعير : أي لستما متساويين .

(٢) في شرح النهج عن أبي عثمان الجاحظ : كانت مصر في نفس عمرو بن العاص ، لأنه هو الذي فتحها في سنة تسع عشرة من الهجرة في خلافة عمر ، فكان لعظمها في نفسه وجلالتها في صدره ، وما قد عرفه من أموالها وسعة الدنيا ، لا يستعظم أن يجعلها ثمناً من دينه .

العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا .

قال عمرو: دعني منك . . .

قال معاوية: إني لو شئت أن أمنيك وأخذحك لفعلت .

قال عمرو: لا لعمر والله ما مثلي يخدع، لأنا أكيس من ذلك .

قال له معاوية: ادن مني برأسك أسارك . .

فدنا منه عمرو يساره . . فعض معاوية أذنه وقال: هذه خدعة . .

هل ترى في بيتي أحداً غيري وغيرك؟ فانشأ عمرو يقول:

معاوية لا أعطيك ديني ولم أنل	بذلك دنيا فانظرن كيف تصنع
فإن تعطني مصراً فأربح بصفقة	أخذت بها شيخاً يضر وينفع
وما الدين والدنيا سواء وأنني	لأخذ ما تعطي ورأسي مقنع
ولكنني أغضي الجفون وأنني	لأخدع نفسي والمخادع يخدع
وأعطيك أمراً فيه للملك قوة	وأنني به إن زلت النعل أصرع

قال معاوية: أبا عبدالله ألم تعلم أن مصر مثل العراق؟!

قال عمرو: بلى . . ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك، وإنما تكون

لك إذا غلبت علياً على العراق، وقد كان أهلها بعثوا بطاعتهم إلى علي . .

فدخل عتبة بن أبي سفيان، فقال لمعاوية: أما ترضى أن نشترى

عمراً بمصر إن هي صفت لك . . فليتك لا تغلب على الشام .

فقال معاوية: يا عتبة بت عندنا الليلة .

فلما جن الليل على عتبة رفع صوته لسمع معاوية، وقال من

أبيات:

أعط عمراً إن عمراً تارك	دينه اليوم لدنيا لم تحز
أعطه مصراً وزده مثلها	إنما مصر لمن عز وبز
إن مصراً لعلي أو لنا	يغلب اليوم عليها من عجز

فلما سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو وأعطاه إياه .

كتاب معاوية لعمر و بن العاص بمصر

سبق منا الكلام ما كان من أمر معاوية وارساله لعمر و بن العاص للحضور إليه للإستعانة به في محاربة أمير المؤمنين علي . . . وإن عمرو بن العاص ساومه وطلب منه ولاية مصر . وعندما تلكأ معاوية شجعه عتبة بن أبي سفيان على إرضاء عمرو واستمالته .

سمع معاوية نصيحة عتبة فبعث إلى عمرو فأعطاه مصر طعمة وكتب له كتاباً بذلك .

جاء في الإمامة والسياسة لابن قتيبة قوله: لما كتب معاوية بن أبي سفيان لعمر و بن العاص بمصر، كتب في أسفل الكتاب: ولا ينقض شرط طاعة . .

وكتب عمرو: ولا تنقض طاعة شرطاً^(١) . . وكايد كل واحد منهما صاحبه .

(١) ذكر صاحب شرح النهج في تفسير ذلك: أن معاوية قال للكاتب: «اكتب على ألا ينقض شرط طاعة»، يريد أخذ اقرار عمرو له أنه قد بايعه على الطاعة ببيعة مطلقة غير مشروطة بشيء، وهذه مكايده له، لأنه لو كتب ذلك لكان لمعاوية أن يرجع في اعطائه مصر، ولم يكن لعمر و أن يرجع عن طاعته، ويحتج عليه برجوعه عن اعطائه مصر. لأن مقتضى المشاركة المذكورة، أن طاعة معاوية واجبة عليه مطلقاً، سواء أكانت في مصر مسلمة إليه أم لا. فلما انتبه عمرو إلى هذه المكيدة منع الكاتب من أن =

وكان مع عمرو بن العاص ابن أخ له، جاءه من مصر، فلما جاء عمرو بالكتاب مسروراً به، عجب ابن أخيه من سروره! ..

فقال: يا عمرو ألا تخبرني بأي رأي تعيش في قریش.. وقد أعطيت دينك غيرك؟!

أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية وعلي حي؟!
أو تراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذك بالجدل الذي قدمه؟
فقال عمرو: يا بن أخي.. لو كنت مع علي وسعني بيتي، ولكني مع معاوية..

فقال الفتى: أنك لم ترد معاوية، ولكنك تريد دنياه، ويريد دينك وبلغ معاوية قول الفتى، فطلبه فهرب^(١).

وذكر صاحب شرح النهج أنه حينما كتب معاوية لعمر بن العاص كتابه الذي أعطاه فيه مصر خرج من عنده مسروراً كما ذكر حديث المحاورة الذي جرى بين عمرو وابن أخيه.

وقد أورد هذا الحديث أيضاً نصر بن مزاحم في كتاب صفين.
وأن الفتى ابن أخ عمرو لما رأى عمرو بن العاص لا يسمع نصيحة ناصح وأنه مصمم على المضي في طريقه المعوج وهو السير في ركاب معاوية بن أبي سفيان قال الفتى شعراً يؤنبه فيه ويلومه على فعلته ومن جملة قوله:

ألا يا عمرو ما أحرزت مصراً	وما ملت الغداة إلى الرشاد
وبعت الدين بالدنيا خساراً	فأنت بذاك من شر العباد
وفدت إلى معاوية بن حرب	فكنت بها كوافد قوم عاد

= يكتب ذلك، وقال: بل اكتب: «على ألا تنقض طاعة شرطاً»، يريد أخذ أقرار معاوية له بأنه إذا كان أطاعه لا تنقض طاعته إياه ما شرطه عليه من تسليم مصر إليه. وهذا أيضاً: مكابدة من عمرو لمعاوية، ومنه له من أن يغدر بما أعطاه من مصر.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ١ - ص ٩٧.

وأعطيت الذي أعطيت منه بطرس فيه نضح من مداد
ألم تعرف أبا حسن علياً وما نالت يده من الأعادي
عدلت به معاوية بن حرب فيا بعد البياض من السواد
ويا بعد الأصابع من سهيل ويا بعد الصلاح من الفساد
وفي شرح النهج أن عمرو بن العاص لما خرج من عند معاوية قال
له ابنه: ما صنعت؟

قال عمرو: أعطانا مصر طعمة.
قالا: وما مصر في ملك العرب؟!
قال: لا أشبع والله بطونكما إن لم تشبعكما مصر.
وفي شرح النهج أيضاً: أن مروان بن الحكم غضب - حين علم
بما انتهت إليه المساومة - فقال: ما بالي لا أشتري كما اشتري عمرو!
فقال معاوية: إنما يشتري الرجال لك.

ما كان من أمر معاوية مع شرحبيل وتضليله

في كتاب صفين عن الجرجاني قال: لما بات عمرو عند معاوية وأصبح أعطاه مصر طعمة وكتب له بها كتاباً، وقال: ما ترى في علي؟ قال عمرو أرى فيه خيراً، أذاك في هذه البيعة خير أهل العراق، ومن عند خير الناس في أنفس الناس، ودعواك أهل الشام إلى رد هذه البيعة خطر شديد. . ورأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي هو عدو لجرير المرسل إليك. فأرسل إليه ووطن له ثقاتك فليفشوا في الناس أن علياً قتل عثمان، وليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل. فلإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب. وأن تعلق بقلبه لم يخرج به شيء أبداً.

فكتب معاوية إلى شرحبيل أن جرير بن عبدالله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر فظيع، فاقدم. .

ودعا معاوية يزيد بن أسد، وبسر بن أرطأة، وعمرو بن سفيان، ومخارق بن الحرث الزبيدي، وحمزة بن مالك، وجايس بن سعد الطائي، وهؤلاء رؤوس قحطان واليمن، وكانوا ثقات معاوية، وخاصته، وبني عم شرحبيل بن السمط، فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أن علياً قتل عثمان.

فلما قدم كتاب معاوية على شرحبيل وهو بحمص، استشار أهل

اليمن، فاختلفوا عليه، فقام إليه عبدالرحمن بن غنم الأزدي وهو صاحب معاذ بن جبل وختنه وكان أفقه أهل الشام، فقال:

يا شرحبيل بن السمط. . أن الله لم يزل يزيدك خيراً مذ هاجرت إلى اليوم وأنه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس، ولا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. أنه قد ألقى إلينا قتل عثمان، وأن علياً قتل عثمان^(١) فإن يك قتله فقد بايعه المهاجرون والأنصار، وهم الحكماء على الناس. وإن لم يكن قتله، فعلام تصدق معاوية عليه؟!

لا تهلكن نفسك وقومك، فإن كرهت أن يذهب بحظها جرير، فسر إلى علي فبايعه على شامك وقومك.

فأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية. فبعث إليه عياض اليماني وكان ناسكاً. . بأبيات منها:

يا شرح أن الشام شامك ما بها	سواك فدع قول المضلل من فهر
فإن ابن حرب ناصب لك خدعة	تكون علينا مثل راغية البكر ^(٢)
فإن نال ما يرجو بنا كان ملكنا	هنيئاً له والحرب قاصمة الظهر
وأن علياً خير من وطىء الحصا	من الهاشميين المدارك للوتر
له في رقاب الناس عهد وذمة	كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر
فبايع ولا ترجع على العقب كافراً	أعيذك بالله العزيز من الكفر
ولا تسمعن قول الطغاة فإنهم	يريدون أن يلقوك في لجة البحر

وعن الجرجاني أيضاً في كتاب صفين قال: لما قدم شرحبيل على معاوية تلقاه الناس فاعظموه ودخل على معاوية، فتكلم معاوية فقال: يا شرحبيل أن جرير بن عبدالله يدعوننا إلى بيعة علي. . وعلي خير الناس

(١) وفي رواية شرح النهج: أنه قد ألقى إلى معاوية أن علياً قتل عثمان ولهذا يريدك.
(٢) راغية البكر: يشير إلى ما كان من رغاء بكر ثمود - ناقة ثمود - رغا فيهم فاهلكوا، فضربت العرب مثلاً في الشؤم، وأكثر في فيه - انظر الكامل للمبرد - وشرح النهج - الحاشية - .

لولا أنه قتل عثمان بن عفان، وحبست نفسي عليك، وإنما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا، وأكره ما كرهوا..

فقال شرحبيل: أخرج فانظر..

فخرج فلقى هؤلاء النفر الموطئون له فكلهم أخبره بأن علياً قتل عثمان بن عفان..

فرجع - شرحبيل - مغضباً إلى معاوية، فقال: يا معاوية أبي الناس إلا أن علياً قتل عثمان، والله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك..

قال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم، ما أنا إلا رجل من أهل الشام.

قال - شرحبيل فرد هذا الرجل - جرير - إلى صاحبه إذن... فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق، وأن الشام كله مع شرحبيل.

وبعث معاوية إلى شرحبيل أنه قد كان من اجابتك.. وقبله عنك الناس ما علمت وأن هذا الأمر الذي قد عرفته لا يتم إلا برضا العامة فسر في مدائن الشام، وناد فيهم بأن علياً قتل عثمان، وأنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه.

وجعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها. فبعث إليه النجاشي بن الحرث وكان صديقاً له أحياناً أولها:

شرحبيل ما للدين فارقت أمرنا ولكن لبغض المالكي جرير

كتاب أمير المؤمنين علي إلى جرير وجواب معاوية إلى علي

انتظر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) رجوع جرير بن عبدالله البجلي من الشام، وجواب معاوية . . . مع أن علياً يعلم أن معاوية سيراوغ ويخادع حتى يجتمع بزمرته من أهل المكر والخداع للاتفاق على خطة تؤمن لهم سلطانهم ولو بضرب الإسلام ومحاربة صوت الحق .

لكنه (عليه السلام) انطلاقاً من إيمانه العظيم ومحافظته على حقوق المسلمين وحقن دمائهم لا يتعدى خطته المعروفة . . لا يبدأ قوماً بحرب أو قتال حتى يبده . . . كما فعل يوم الجمل في البصرة . فإنه حذر القوم من الفتنة وأنذرهم . . وحتى إذا ما رأى بعد الأعذار والإنذار إلا الحرب سارع إليه . . . آخر الدواء الكي . . .

لذلك نجده (عليه السلام) لما رأى تأخير جرير عن العودة إليه بجواب كتابه الذي أرسله معه لمعاوية، أدرك أن معاوية إنما أخر جريراً بالشام ومأطله حتى يجتمع إليه أهلها ويتسنى له حقن نفوسهم على بغضه وعداوته وحملهم على حربه بتحميله دم عثمان .

جاء في تاريخ الطبري: أن علي بن أبي طالب بعث جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية وبعث معه كتاباً يدعوه فيه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته . شخص جرير إلى الشام فلما

قدم على معاوية ماطله واستنظره ، ودعا عمرو بن العاص فاستشاره . . . فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام ويلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم . ففعل ذلك معاوية .

وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قُتل فيه مخضباً بدمه وبأصابع نائلة زوجته . وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر إلى الأجناد ، وثاب إليه الناس ، وبكوا سنة وهو على المنبر ، وآلى الرجال من أهل الشام أن لا يسهم الماء ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم^(١) .

روى نصر بن مزاحم عن صالح بن صدقة : قال : أبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس . وقال علي (عليه السلام) : وقت لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً . . وأبطأ جرير على علي حتى آيس منه فكتب إليه :

«أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا ، فاحمل معاوية على الفصل ، وخذه بالأمر الجزم ، ثم خيره بين حرب مجلية ، أو سلم محظية .

فإن اختار الحرب فانبذ له . . وإن اختار السلم فخذ بيعته» .

فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فقرأه الكتاب ، فقال : يا معاوية أنه لا يطبع على قلب إلا بذنب ، ولا ينشرح إلا بتوبة ، ولا أظن قلبك إلا مطبوعاً ، أراك قد وقفت بين الحق والباطل كأنك تنتظر شيئاً هو في يدي غيرك .

فقال معاوية : ألقاك بالفيصل أول مجلس . .

فلما بايع معاوية أهل الشام . . وذاقهم . . قال : يا جرير إلتحق بصاحبك وكتب إليه بالحرب^(٢) .

(١) تاريخ الطبري : ج ٣ - ص ٥٦١ .

(٢) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٤٣ .

وفي أعيان الشيعة: قال المبرد في الكامل: وكتب إليه مع جرير
جواب كتابه المتقدم:

- من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب . . أما بعد فلعمري
لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر،
وعمر، وعثمان. ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه
الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام
إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان. فإن فعلت كانت شورى بين
المسلمين. . ولعمري ليس حججك علي لحججك على طلحة والزبير
لأنهما بايعاك، ولم أبايحك. . وما حججتك على أهل الشام كحججتك على
أهل البصرة، لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام.

فأما شرفك في الإسلام، وقرابتك من النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم) وموضعك من قریش فلست أدفعه.

وكتب في أسفل الكتاب أبيات كعب بن جعيل أولها:

أرى الشام تكره ملك العراق وأهل العراق لهم كارهونا

جواب أمير المؤمنين علي على كتاب معاوية

قال المبرر في الكامل: أجاب علي (عليه السلام) عن كتاب معاوية بقوله:

«- من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر بن حرب .

أما بعد . . فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ، ولا قائد يرشده . دعاه الهوى فأجابه . . وقاده الضلال فاتبعه . . زعمت إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان . ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا . وما كان الله ليجمعهم على الضلال ولا يضربهم بالعمى . .

وبعد . . فما أنت وعثمان ؟! إنما أنت رجل من بني أمية ، وبنو عثمان أولى بذلك منك . فإن زعمت أنك أقوى على دم أبيهم منهم ، فادخل في طاعتي ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على المحجة»^(١) .
وفي رواية نصر بن مزاحم : «وما أمرت فيلزميني خطيئة الأمر . . ولا قتلت فيجب علي قصاص .

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج - ١ - ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

وأما قولك أن أهل الشام هم الحكام على أهل الحجاز، فهات رجلاً من قريش الشام يُقبل في الشورى أو تحل له الخلافة. فإن زعمت لك. . كذبك المهاجرون والأنصار. وإلا أتيتك به من قريش الحجاز.

وأما قولك ادفع إلينا قتلة عثمان. . فما أنت وعثمان؟! إنما أنت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى بذلك منك. . الخ.

وأما تمييزك بين الشام والبصرة، وبين طلحة والزبير، فلعمري ما الأمر فيها هناك إلا واحد، لأنها بيعة عامة لا يثني فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار.

وأما ولوعك لي في أمر عثمان، فما قلت ذلك عن حق العيان، ولا بعين الخبر.

وأما فضلي في الإسلام وقرابتي من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشرفي في قريش. . فلعمري لو استطعت دفع ذلك لدفعته. وأمر النجاشي فأجابه في الشعر فقال أبياتاً أولها:

دعن يا معاوية ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرون^(١)

أقول: لم يرغب عن علي (عليه السلام) غش جرير بن عبد الله البجلي، ولم يترك عليه السلام نصيحة الأشرع بعدم إرسال جرير إلى الشام عندما قال الأشرع: يا أمير المؤمنين لا تبعثه ودعه ولا تصدقه، فوالله أني لأظن هواه هواهم. . الخ.

لم يترك (عليه السلام) نصيحة الأشرع عن سوء نية منه في موقف الأشرع، إذ كان أمر لا بد منه، فلا بد من الإرسال إلى معاوية لإلقاء الحجة عليه سواء في ذلك كان الرسول إلى معاوية من المخلصين له أو من غير المخلصين لأنه يعلم (عليه السلام) ما سيكون من أمر جرير المملوءة بطنه من خيرات همدان التي ولاه عليها عثمان بن عفان قريب معاوية.

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ٤٤.

وعلي (عليه السلام) أيضاً: يعلم أنه لا بد من جواب معاوية بعدم الطاعة والتمرد، سواء كان المرسل إلى معاوية جرير البجلي أو غيره... النتيجة واحدة فمعاوية سليل أمية الموتور من بني هاشم ومن سيف علي على الأخص يوم بدر، ومقتل أسياده من عتاة قريش وما جرى عليهم في ذلك اليوم أمر لا ينساه. وها هو يرى أنه قد لاح في الأفق بريق الأمل للأخذ بالثأر وقد سنحت الفرصة لمحاربة أمير المؤمنين علي فليغتنمها... خصوصاً لما رأى أهل الشام أصحابه المضللين المملوءة بطونهم من عطاياهم، وهباته... المغسولة أدمغتهم بكيدته وتضليله يأترون بأمره. يوالون من يوالي ويحاربون من يحارب. لا يفرقون بين الحق والباطل.

وعلى هذا فمعاوية لا يخضع لعلي وهو يرى أن علياً لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يراعي في دينه أحداً ولا يقر الظالمين على ظلمهم. وسوف تكون النتيجة خلعه عن ولاية الشام.

معاوية لم يردعه وازع عن التماس أي أسلوب لمحاربة علي بن أبي طالب ولا يردعه أي رادع للغدر به، ولا يهيمه الادعاء بالباطل كمطالبته بدم عثمان وكل ما وصلت به طرائقه الملتوية من التشويه والظعن لمحاربة خصمه علي سائعة... همه في ذلك أن يفوز بالسلطان وإن وطئت قدمه الملوثة قداسة الحق وقيم الأخلاق. بكيدته، ومكره، وفجوره.

معاوية يستسهل في سبيل سلطانه كل المنكرات ويستسيغها... كل حرمة مباحة... وكل ضلال هدى... وكل حرام حلال... والكيد والغدر هما من صفاته المميزة... هذه الصفات التي كان بعض الناس من الضالين والجهلاء يرونها دهاء وحنكة. وسياسة ومرونة. وقد كشف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عن هذا بقوله:

«والله ما معاوية بأدهى مني» ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس...».

بين الأشتر وجريير بعد رجوعه من الشام

عن نصر بن مزاحم أنه لما رجع جريير بن عبدالله البجلي إلى علي (عليه السلام)، كثر قول الناس في التهمة لجريير في أمر معاوية...

فاجتمع جريير والأشتر عند علي، فقال الأشتر: أما والله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخى من خناقه وأقام حتى لم يدع باباً يرجو روحه إلا فتحه، أو يخاف غمه إلا سده.

فقال جريير: والله لو أتيتهم لقتلوك، وخوفه بعمرو، وذي الكلاع، وحوشب ذي ظليم، وقد زعموا أنك من قتلة عثمان.

فقال الأشتر: لو أتيتهم والله يا جريير لم يعينني جوابها، ولم تثقل علي محملها، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر.

قال جريير: فآتهم إذن...

قال الأشتر: الآن وقد أفسدتهم ووقع بينهم الشر.

وفي رواية: اجتمع جريير والأشتر عند علي، فقال الأشتر: أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً وأخبرتكم بعداوته وغشه...

وأقبل الأشتر إلى جريير يشتمه ويقول: يا أخا بجيله أن عثمان

اشترى منك دينك بهمدان . . والله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حياً. إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يداً بمسيرك إليهم. ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم . . وأنت والله منهم ولا أرى سعيك إلا لهم. ولئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه حتى تستبين هذه الأمور، ويهلك الله الظالمين.

قال جرير: وددت والله أنك كنت مكاني بعثت إذاً والله لم ترجع . .

فلما سمع جرير بذلك لحق بقرقيسا، ولحق به أناس من قيس من قومه، ولم يشهد صفين من قيس غير تسعة عشر الخ^(١).

وفي البداية والنهاية لابن كثير: رجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا - أي معاوية، وعمر بن العاص، واتباعهما من أهل الشام -

فقال الأشر: يا أمير المؤمنين ألم أنك أن تبعث جريراً؟! فلو كنت بعثني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته .

فقال له جرير: لو كنت ثم لقتلوك بدم عثمان.

فقال الأشر: والله لو بعثني لم يعيني جواب معاوية ولا عجلته عن الفكرة، ولو أطاعني قبل لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة.

فقام جرير مغضباً، وأقام بقرقيسيا.

وكتب جرير إلى معاوية يخبره بما قال . . وما قيل له:

فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه^(٢).

وفي رواية نصر بن مزاحم: أن الأشر عندما خوفه جرير البجلي بعد عودته من الشام بعمر بن العاص، وصاحبه معاوية، وذو الكلاع، وحوشب ذي ظليم قال الأشر من الشعر أبياتاً منها:

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ٤٦.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ج ٧ - ص ٢٥٣.

وصاحبه معاوية الشامي
أخف علي من زف النعمام
وكيف أخاف أحلام النيام

لعمرك يا جرير لقول عمرو
وذي كلع وحوشب ذي ظليم
فلست بخائف ما خوفوني

كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين علي وجواب علي له

توالت الكتب بين أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان وكان القصد من ذلك وعظ معاوية وإرشاده وحثه على التبرر بعواقب الأمور، ونبيه عن إشعال الفتنة وشق عصا المسلمين، وما ستخلفه الفتنة من حروب وويلات، وإراقة دماء.

لكن معاوية كان قد أخذ الشيطان منه مأخذه فجرى منه مجرى الدم في العروق فتآمر مع زمرة الضالة كعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ومن كان على شاكلتهما لمحاربة أمير المؤمنين علي.. همهم الوحيد الحصول على سلطان المسلمين بأي ثمن.

وها نحن نذكر بعض كتب معاوية إلى أمير المؤمنين علي وجواب علي له ليكون عبرة لمن تأمل ونظر بعين الحقيقة والواقع.. وكيف أن معاوية استعمل حججاً لا وجود لها.. وكيف اخترع الحجج المضللة التي بواسطتها وجد أعواناً له لمحاربة صوت الحق علي (عليه السلام). فكان في ذلك كمن يحتج على الليل بأنه نهار.. وعلى أن العلقم أحلى من العسل.. وكيف أن طغام أهل الشام من أصحابه قبلوا ذلك منه، وقد عميت بصائرهم عن الحقيقة التي هي كالشمس في رابعة النهار. إذ أصبحوا في بيداء الضلالة حيارى وفي أيدي الأبالسة سكارى. ﴿وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾^(١).

(١) سورة التوبة: آية - ٨٧.

استطاع معاوية بواسطة أصحابه وتابعيه المضللين بأن يحووا فضائل علي (عليه السلام) وينكروا حقه في الخلافة وسابقته في الإسلام، وجهاده في سبيل الله وإرساء قواعد الدين ومحاربتة للمشركين. وحملوه دم عثمان بن عفان ليكون ذريعة لحربه ظلماً منهم له وعدواناً. وعلى سبيل المثال نذكر ما جاء في كتاب صفين لنصر بن مزاحم: أن أبا مسلم الخولاني قام إلى معاوية في أناس من قراء أهل الشام، فقالوا: يا معاوية على ما تقاتل علياً؟! وليس لك مثل صحبته، ولا قرابته، ولا سابقته.

قال لهم معاوية: ما أقاتل علياً وأنا أدعي أن لي في الإسلام مثل صحبته، ولا هجرته، ولا قرابته، ولا سابقته. ولكن خبروني عنكم: أستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً؟

قالوا: بلى...

قال معاوية: فليدع إلينا قتلة عثمان فنقتلهم به ولا قتال بيننا وبينه.

قالوا: فاكتب كتاباً يأتيه بعضنا به.

فكتب معاوية إلى علي مع أبي مسلم الخولاني.. كتاباً يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الله اصطفى محمداً بعلمه، وجعله الأمين على وحيه، واجتبى له من المسلمين أعواناً أيده الله بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام. فكان أفضلهم الخليفة من بعده وخليفة خليفته، والثالث الخليفة المظلوم عثمان. فكلهم حسدت، وعلى كلهم بغيت، عرفنا ذلك في نظرك الشزر، وقولك الهجر وتنفسك الصعداء، وابطائك عن الخلفاء، تقاد

إلى كل منهم كما يقاد الفحل المخشوش^(١) حتى تباع وأنت كاره . ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسداً منك لابن عمك عثمان فقطعت رحمه وألبت الناس عليه ، فقتل معك في المحلة . وأنت تسمع في داره الهائعة ولا تردع الظن والتهمة عن نفسك فيه بقول ولا فعل فاقسم صادقاً أن لو قمت فيما كان من أمره مقاماً واحداً تنهه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً . وأخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين ، إيوائك قتلة عثمان . وقد ذكر لي أنك تتنصل من دمه . . فإن كنت صادقاً فامكنا من قتلته نقتلهم به ، ونحن أسرع إليك ، وإلا فليس لك ولا لأصحابك إلا السيف . . والذي لا إله إلا هو لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر حتى يقتلهم الله أو لتلحقن أرواحنا بالله والسلام^(٢) .

فقدم أبو مسلم الخولاني بكتاب معاوية على علي (عليه السلام) .
فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإنك - يا علي - قد قمت بأمر وتوليت ، والله ما أحب أنه غيرك إن أعطيت الحق من نفسك . أن عثمان قُتل مسلماً محرماً مظلوماً ، فادفع إلينا قتلته ، وأنت أميرنا ، فإن خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة ، وألستنا لك شاهدة .

فقال له علي : أغد علي غداً فخذ جواب كتابك .

فانصرف - أبو مسلم الخولاني - ثم رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه ، فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملؤا المسجد وأخذوا ينادون : كلنا قتلة ابن عفان . . .

وأذن لأبي مسلم فدخل على أمير المؤمنين ، فدفع إليه جواب كتاب معاوية ، فقال له أبو مسلم : قد رأيت قوماً مالِك معهم أمر .

(١) البعير المخشوش : هو الذي يجعل في أنفه الخشاش . والخشاش عويد يجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون لانقياده . لسان العرب لابن منظور .

(٢) كتاب صفين : لنصر بن مزاحم : ج - ١ - ص ٦٢ .

قال: وما ذاك؟!

قال: بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان، فضجوا واجتمعوا ولبسوا السلاح، وزعموا أنهم كلهم قتلة عثمان.

فقال علي (عليه السلام): والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين، لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينه، ما رأيته ينبغي لي أن أدفعهم إليك، ولا إلى غيرك. . . وأعطاه جواب كتاب معاوية.

فخرج - أبو مسلم - بالكتاب وهو يقول: ألاّن طاب الضراب^(١): وكان كتاب علي (عليه السلام) إلى معاوية.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد فإن أخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أنعم تعالى في نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وفينا. فكنت في ذلك كجالب التمر إلى هجر، والداعي مسدده إلى النضال، وذكرت أن الله اجتبى له من المسلمين أعواناً فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام. . الخ.

فلعمر الله إني لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام، ونصيحتهم لله ورسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر. . أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد، كنا أهل البيت أول من آمن به، فلبثنا أحوالاً محرمة وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا. فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح أهلنا، وهموا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل. فمنعونا الميرة، وأمسكوا عنا العذب، واحلسونا الخوف^(٢)، وجعلوا علينا الأرصاد، والعيون، واضطرونا إلى

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ج ١ - ص ٦١.

(٢) أحلسونا الخوف: ألزمنّا إياه. أحلس فلان الخوف: ألزمه إياه فلم يأمن. المنجد في اللغة.

جبل وعمر، وأوقدوا لنا نار الحرب، وكتبوا علينا بينهم كتاباً، لا يواكلونا، ولا يشاربونا، ولا يناكحونا، ولا يبايعونا، ولا نأمن فيهم حتى ندفع إليهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقتلوه ويمثلوا به. فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم ..

فعزم الله لنا على منعه، والذب عن حوزته، والرمي من وراء حرمة^(١) والقيام بأسياقنا دونه. فأما من أسلم من قريش بعد فإنهم مما نحن فيه أخطاء، فمنهم حليف ممنوع، أو ذو عشيرة تدافع عنه.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أحمر البأس، وأحجم الناس، أقام أهل بيته فاستقدموا فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة، فقتل عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وجعفر يوم مؤتة، وأراد من لو شئت ذكر اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غير مرة، إلا أن آجالهم عجلت ومنيته أخرت ...

وأما ما ذكرت من أمر عثمان، فإنه عمل ما بلغك .. فصنع الناس به ما قد رأيت ..

وأما ما ذكرت من أمر قتلة عثمان، فلإني نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينه، فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك ...

ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل، يطلبونك ولا يكلفونك أن تطلبهم في بر ولا بحر، ولا جبل ولا سهل.

وقد كان أبوك أتاني حين ولى الناس أبا بكر، فقال: أنت أحق بعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الأمر، وأنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك، أبسط يدك أبايعك. فلم أفعل وأنت تعلم أن أباك قد كان قال ذلك وأراد به حتى كنت أنا الذي أبيت لقرب عهد

(١) في شرح النهج لابن الحديد: من وراء حرمة.

الناس بالكفر مخافة الفرقة بين أهل الإسلام. فأبوك كان أعرف بحقي منك، فإن تعرف من حقي ما كان يعرف أبوك تصب رشدك وإن لم تفعل فسيغني الله عنك والسلام^(١).

(١) ذكر هذا الكتاب لأمر المؤمنين نصر بن مزاحم في كتابه صفين ج - ١ - ص ٦٣ - ٦٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج - ١٤ - ص ٤٧ - ٤٨ وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج - ١ - ص ٤٧٣ وغيرهم من المؤرخين مع بعض الزيادات واختلاف بسيط في العبارات.

وقفة تأمل في كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين علي

سبق منا القول أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أرسل إلى معاوية بن أبي سفيان المتمرّد بالشّام كتباً يحذّره الفتنة ويبيّره بعواقب الأمور.

لكن معاوية كانت أجوبته كلها تعنت وتهجم وادعاءات كاذبة.

ونحن حرصاً منا على الاختصار وخوفاً من الملل نقتصر على مناقشة بعض الفقرات من كتاب معاوية بن أبي سفيان الذي أرسله مع أبي مسلم الخولاني لأمر المؤمنين علي (عليه السلام). ليتضح للقارئ المنصف موقف معاوية المراءوغ وكيف كان يعمل ما وسعه من الكيد لطمس الحقيقة بكل معنى ليصل إلى مآربه الشخصية وملذاته الدنيوية ولو أدى ذلك إلى هدم الإسلام.

كان كتاب معاوية لعلي (عليه السلام) وما فيه من الجرأة والتهجم... كتاب رجل أحقّ ليس في كلامه شيء من الصحة... كتاب افتراء وادعاء، نجد هذا من خلال سطره، ومجمل عباراته إذ يتضح لنا إلى أي مدى انحدر إليه ضميره.

فما كان أعجبها من افتراءات تفتقت عنها قريحة ابن أبي سفيان عند قوله لعلي (عليه السلام): «ولكن أغريت بابن عمك - عثمان -

فقطعت رحمه وألبت الناس عليه فُقتل معك في المحلة، وأنت تسمع في داره الهائعة... الخ».

لنقف هنيهة عند هذه العبارة ونقول لمعاوية بمنطق الصدق، والعقل، والحقيقة التاريخية: مهلاً... مهلاً... يا بن هند... فقد أتيت شيئاً إذا... وتكلمت بكلام ينم عن حقدك، وخبت سريرتك أننا نقول الحق إذا وصفناك بما وصفك فيه أمير المؤمنين علي حيث قال مجيباً لك على كتابك:

«أتاني كتاب امرئ ليس له نظر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتبعه... الخ».

ليت شعري يا معاوية: ألعلي بن أبي طالب يقال: «أخذك الحسد لابن عمك فقطعت رحمه وألبت الناس عليه؟»
من أين أتيت يا بن أبي سفيان بهذا الافتراء الواضح... وهذا البهتان المفضوح؟!

إن كتب التاريخ بأجمعها تدحض افتراءاتك وحججك التي تنضح بالزور والبهتان.

يقول ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة وغيره من المؤرخين:

بلغ علي بن أبي طالب أن عثمان يراذ قتل، فقال للحسن والحسين: «أذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان ولا تدعأ أحداً يصل إليه... الخ».

وكان من نتيجة ذلك أن وقف الحسن والحسين يذودان عنه...

وقفنا (عليهما السلام) على باب عثمان بن عفان يذودان عنه المحاصرين ويردان عنه ثورة المهاجرين... البحر الهائج من المسلمين الذين توافدوا على المدينة من اقطار عدة، مستنكرين أعمال الظلم والتعسف التي يلاقونها من الولاة الذين أرسلهم إليهم الخليفة عثمان لعله يستجيب لظلامتهم ويسمع شكواهم ويرسل إليهم ولاة صالحين.

لكن عثمان لم يستمع لهم مما أدى إلى حصاره في داره وأخيراً إلى قتله بعد أن غذاهم طلحة والزبير، وأم المؤمنين عائشة بتحريضهم عليه . . .

وقف الحسنان (عليهما السلام) يذودان عن عثمان حتى أصيب الحسن وشج قبر مولى علي (عليه السلام) كما ذكر ذلك المؤرخون .

وهنا لا بد لنا من القول: أين كنت يا معاوية في ذلك الوقت؟ ولماذا لم تحضر أنت واتباعك حين استصرحك عثمان واستغاث بك بقوله: العجل العجل يا معاوية . . . وأدرك ثم أدرك . . . فيا غوثاه يا غوثاه^(١) . . . فلم تغته . . . لكنك يا معاوية أمرت جيشك الذي أرسلته لنجدة عثمان رياءً على أعين الناس . . . أن لا يدخل المدينة إلا بأمر منك مرادك في ذلك بعد أن يكون عثمان قد قُتل حتى تطلب بدمه ويكون الطلب بدمه ذريعة لمحاربة علي (عليه السلام) والاستيلاء على سلطان المسلمين .

- مهلاً يا معاوية: لماذا تعاميت عن الحقيقة واتبعت هواك؟ فرحت تشنها حرباً على أمير المؤمنين علي حملك الثأر لأشياخك يوم بدر، متذرعاً في ذلك بالمطالبة بدم عثمان . . . وأنت تعلم أن علي بن أبي طالب أبرأ الناس من دم عثمان . . .

- أليس علي بن أبي طالب دافع عن عثمان مراراً، وأتاه إلى بيته وحذره؟!

- أليس علي بن أبي طالب هو الذي رد الناس عنه حينما حُوصِر واخرج المحاصرين على أن يقلع عثمان عن سيرته من إشارته الأمويين بالسلطة ويستبدل بهم ولاية صالحين؟! ثم يعود عثمان عن رأيه بإشارة من وزيره مروان بن الحكم الذي كان السبب في قتله .

- أليس علي بن أبي طالب هو الذي أخرج طلحة من بيت المال

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج - ١ - ص ٣٦ وقد ذكر هذا جميع المؤرخين .

حينما استولى طلحة على بيت المال في المدينة نكاهة بعثان عندما كان محاصراً.

فدخل عليه ونصحه وقال له: «أخرج إلى الناس وتكلم بكلام يسمعه الجميع منك ويشهدون عليك، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والأمانة، فإن البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن أن يجيء ركب آخر من الكوفة أو البصرة فتقول: يا علي اركب إليهم... فلن لم أفعل رأيي قد قطعت رحمك واستخففت بحقك... الخ».

فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة، ورضي الناس بذلك.

لكن عثمان رجع عن رأيه من النزوع والتوبة برأي من مروان وفتيان بني أمية. وقد ذكرنا هذا مفصلاً عند مقتل عثمان.

لم تقل نائلة بنت الفرافصة لزوجها عثمان عندما سمعت علياً يقول له: «ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه، وأيم الله يوردك ولا يصدرك، وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك... أذهبت شرفك وغلبت على أمرك».

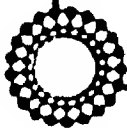
فلما خرج علي دخلت نائلة على عثمان فقالت له: قد سمعت قول علي لك وليس يعاودك، وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء.

لقد دافع أمير المؤمنين علي عن عثمان قدر الإمكان وأرسل ولديه الحسن والحسين سبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يذودان عنه حتى أصيب الحسن وشج قنبر... .

ومع هذا نجد معاوية يدعي مفترياً بقوله لعلي: قطعت رحم ابن عمك - عثمان - وألبت الناس عليه... .

وبعد هذه الالتفاتة والجولة القصيرة في منعطف التاريخ لا يمكننا إلا القول:

سلام الله عليك يا أبا الحسن أي تضحية أكبر من ارسال فلذتي
كبدك ولديك للدفاع عن عثمان نصرة له وحفاظاً عليه همك في ذلك جمع
كلمة المسلمين ووحدتهم فما كفالك من التضحية في سبيل الإسلام وجمع
كلمة المسلمين سكوتك عن حقك المسلوب حتى أرسلت ريجانتي
رسول الله الحسن والحسين (عليهما السلام) للحفاظ على عثمان وصد
المهاجمين عليه . وعرضتهما لأخطار السهام المتساقطة على دار عثمان
المحاصرة وأنت الظنين بهما والحريص عليهما . . لأنها بقية رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) .



المسير إلى صفين

انتهت وقعة الجمل في البصرة وانتهى الحال بأمر المؤمنين علي (عليه السلام) إلى أن تكون الكوفة مقراً له ومسكناً، بعد أن اجتمع جل أهل الكوفة وما والاها على نصرته والبيعة له، عدا ثلة قليلة من المنافقين، وعملاء الأمويين . . .

ومن الكوفة أخذ (عليه السلام) يدير دفة الحكم . . وأمر الدولة طبق الشريعة الإسلامية فعزل من عزل من الولاة الفاسدين الذين عاثوا في الأرض فساداً مدة حكمهم وأشبعوا العباد ظمناً وطغياناً . . .

استتب الأمر لأمر المؤمنين علي في جميع الأقطار الإسلامية عدا الديار الشامية المتمرد بها سليل أمية معاوية بن أبي سفيان الذي اتخذ من دم عثمان بن عفان ذريعة لحرب علي والثأر منه . . وللوصول إلى السلطان كما أسلفنا.

لم يكن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يستعجل الحرب، بل كتب لمعاوية مراراً وحذره الفتنة وعواقب الأمور لعله مع اتباعه من أهل الشام عادوا إلى رشدهم ورجعوا عن غيهم وذلك لحقن دماء المسلمين .

لكن معاوية أخذ يعمل الحيل والمكائد لاستعجال الحرب حتى لا تفوته فرصة المطالبة بدم عثمان . . فما كان منه إلا أن عبأ أصحابه المواليين

له وعقد الألوية وسار إلى حرب علي كما ذكر ذلك المؤرخون .

في الإمامة والسياسة لابن قتيبة : أنه لما عزم معاوية على السير إلى صفين^(١) عبأ أهل الشام ، فجعل على مقدمته أبا الأعور السلمي ، وعلى ساقته بسر بن أرطأة ، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر - الذي لجأ إلى معاوية مخافة أن يقتله على (عليه السلام) بقتله الهرمزان - ، ودفع معاوية اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وجعل على الميمنة يزيد العبسي ، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص . ثم سار في ثلاثة آلاف وثمانين ألفاً ، حتى نزل بصفين وذلك في نصف محرم ، وسبق إلى سهولة الأرض ، وسعة المناخ ، وقرب الفرات ، وكتب إلى علي يخبر ، بمسيره .

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة أيضاً : أن علياً لما بلغه تأهب معاوية قال :

«أيها الناس ، إنما بايع معاوية أهل الشام ، وليس له غيرهم ولي ولا نصير . وأنكم أهل الحجاز ، وأهل العراق ، وأهل اليمن ، وأهل مصر ، وقد جعل القوم معاوية بينهم وبين الله ، وليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة . . وقد وادع القوم الروم ، فإن غلبتموهم استعانوا بهم ، ولحقوا بأرضهم ، وإن غلبوكم فالغاية الموت ، والمفر إلى الله العزيز الحكيم .

وقد زعم معاوية أن أهل الشام أهل جر ونصر . . ولعمري لأنتم

(١) صفين بكسرتين وتشديد الفاء : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ، وكانت وقعة صفين بين أمير المؤمنين علي ومعاوية في سنة ٣٧ في غرة صفر ، واختلف في عدة أصحاب كل من الفريقين ، ف قيل كان معاوية في مائة وعشرين ألفاً وكان علي في تسعين ألفاً ، وقيل : كان علي في مائة وعشرين ألفاً ومعاوية في تسعين ألفاً وهذا أصح ، وقتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً منهم من أصحاب علي (عليه السلام) خمسة وعشرون ألفاً ، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً ، وقتل مع علي خمسة وعشرون صحابياً بدرياً ، وكانت مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام ، وكانت الوقائع تسعين وقعة : معجم البلدان لياقوت الحموي .

أولى بذلك منهم، لأنكم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان، وإنما الصبر اليوم، والنصر غداً.

فجد الناس ونشطوا وتأهبوا. فسار علي بالناس من الكوفة في مئة ألف وتسعين ألفاً، فجعل على المقدمة الأشتر النخعي، وعلى ساقته شريح بن هاني، وعلى المهاجرين والأنصار محمد بن أبي بكر، وعلى أهل البصرة عبدالله بن عباس، وعلى الكوفة عبدالله بن جعفر، وعلى جماعة الخيل عمار ابن ياسر، وعلى القلب الحسن بن علي وسار علي حتى نزل صفين، وقد سبقه معاوية إلى سهوله الأرض، وسعة المناخ، وقرب الفرات^(١).

وفي مروج الذهب للمسعودي: أنه كان سير علي من الكوفة إلى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين، واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر الأنصاري، فاجتاز في مسيره بالمدائن، ثم أتى الأنبار، وسار حتى نزل الرقة، فعقد له هنالك جسر، فعبر إلى جانب الشام.

وقد تنوزع في مقدار ما كان معه من الجيش، فمكث ومقلل، والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفاً.

وسار معاوية من الشام، وقد تنوزع في مقدار من كان معه أيضاً: فمكث ومقلل، والمتفق من قول الجميع خمس وثمانون ألفاً. فسبق علياً إلى صفين وعسكر في موضع سهل أفيح اختاره قبل قدوم علي، على شريعة لم يكن على الفرات في ذلك الموضع أسهل منها للوارد إلى الماء، وما عداها اخراق عاليه، ومواضع إلى الماء وعرة، ووكل أبا الأعور السلمي بالشريعة مع أربعين ألفاً، وبات علي وجيشه في البر عطاشاً قد حيل بينهم وبين الورد إلى الماء^(٢).

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج - ١ - ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج - ٢ - ص ٣٨٤.

وفي تاريخ اليعقوبي: سار علي في المهاجرين والأنصار حتى أتى
المدائن ، فلقية الدهاقون بالهدايا فردّها عليهم، فقالوا : لما تردّ علينا يا
أمير المؤمنين؟! قال: نحن أغنى منكم بحق، وأحق بأن نفيض
عليكم . .

ثم سار إلى الجزيرة فلقية بطون تغلب، والنمر بن قاسط فسار
منهم معه خلق عظيم^(١) .

(١) تاريخ اليعقوبي ج - ٢ - ص ١٧٦ .

من أخبار أمير المؤمنين علي وهو في طريقه إلى صفين

في كتاب صفين لنصر بن مزاحم : أنه مر علي بالأنبار فاستقبله بنو خشنوشك دهاقتتها^(١) فلما استقبلوه نزلوا، ثم جاءوا يشندون معه، قال أمير المؤمنين علي: «ما هذه الدواب التي معكم . . وما أردتم بهذا الذي صنعتُم؟!» .

قالوا: أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء . . وأما هذه البراذين فهدية لك . . وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً، وهياناً لدوابكم علفاً كثيراً . .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أما هذا الذي زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الأمراء . . فوالله ما ينفع هذا الأمراء . . وأنكم لتشقون به على أنفسكم، وأبدانكم، فلا تعودوا له .

وأما دوابكم هذه فإن أحببتم أن نأخذها منكم، فنحسبها من خراجكم . . أخذناها منكم . .

وأما طعامكم الذي صنعتُم لنا، فإننا نكره أن نأكل من أموالكم شيئاً إلا بثمن . . .» .

(١) بنو خشنوشك: معناها بنو الطيب الراضي والكلمة فارسية . الدهاقنة كلمة فارسية والدهقان: رئيس الاقليم . والدهقنة رئاسة الاقليم .

قالوا: يا أمير المؤمنين نحن نقومه ثم نقبل ثمه . .
قال (عليه السلام): «إذاً لا تقومونه قيمته، نحن نكتفي بما هو
دونه» .

قالوا: يا أمير المؤمنين فإن لنا من العرب موال، ومعارف، فتمنعنا
أن نهدي لهم وتمنعهم أن يقبلوا منا!

قال (عليه السلام): «كل العرب لكم موال وليس ينبغي لأحد
من المسلمين أن يقبل هديتكم . . وإن غصبكم أحدنا أعلمونا . .» .

قالوا: يا أمير المؤمنين إنا نحب أن تقبل هديتنا وكرامتنا.

قال لهم (عليه السلام): «ويحكم نحن أغنى منكم . .» .

ثم تركهم وسار.

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم أيضاً: قال أبو سعيد التميمي:
كنا مع علي في مسيره إلى الشام، حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب
هذا السواد، عطش الناس واحتاجوا إلى الماء. فانطلق بنا علي (عليه
السلام) حتى أتانا على صخرة ضرس من الأرض، كأنها ربضة عنز،
فأمرنا فاقتلعناها، فخرج لنا ماء . . فشرب الناس منه وأرتووا . . ثم
أمرنا فاكفأناها عليه . .

وسار الناس حتى إذا مضينا قليلاً . . قال علي (عليه السلام):
هل منكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟ . .

قالوا: نعم يا أمير المؤمنين.

قال أبو سعيد التميمي: فانطلقوا إليه . . فانطلق منا رجال ركبناً
ومشاة، فاقتصصنا الطريق، حتى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنه فيه،
فطلبناها، فلم نقدّر على شيء حتى إذا عيل علينا، انطلقنا إلى دير قريب
منا، فسألناهم: أين الماء الذي هو عندهم؟

قالوا: ما قربنا ماء.

قالوا: بلى إنا شربنا منه . .

قالوا: أنتم شربتم منه؟
قلنا: نعم..

قالوا: ما بني هذا الدير إلا لذلك الماء، وما استخرجه إلا نبي أو وصي نبي^(١).

ومن أخبار أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو في طريقه إلى صفين ما ذكره اليعقوبي في تاريخه أنه عندما سار علي إلى الجزيرة لقيه بطون تغلب والنمر بن قاسط، فسار معه منهم خلق عظيم.

ثم سار إلى الرقة وجل أهلها العثمانية الذين هربوا من الكوفة إلى معاوية، فغلقوا أبوابها وتحصنوا.. وكان أميرهم سمالك بن مخزومة الأسدي.. فسار إليهم الأشتر مالك بن الحارث النخعي، فقال:
والله لتفتحن أو لأضعن فيكم السيف..

ففتحوا.. وأقام بها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يومه، ثم عبر إلى الجانب الشرقي من الفرات حتى صار إلى صفين^(٢).

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ١٠٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ - ص ١٧٧.

قصة الراهب الذي جاء إلى أمير المؤمنين علي وهو في طريقه إلى صفين

في البداية والنهاية لابن كثير: أنه سار علي (رضي الله عنه) بمن معه من الجنود من النخيلة^(١) قاصداً أرض الشام.

قال أبو إسرائيل عن الحكم ابن عيينة: وكان في جيش علي بن أبي طالب ثمانون بدرية، ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة، رواه ابن ديزيل.

وقد اجتاز علي بن أبي طالب في طريقه براهب فكان من أمره ما ذكره الحسين بن ديزيل في كتابه عن يحيى ابن عبدالله الكرابيسي مسلسلاً عن حبة العرنى أنه قال:

لما أتى علي الرقة^(٢) نزل بمكان يقال له البليخ على جانب الفرات. فنزل إليه راهب من صومعته فقال لعلي: أن عندنا كتاباً توارثناه عن

(١) النخيلة: تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه علي (عليه السلام)، لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها، وخطب خطبته المشهورة ذم فيها أهل الكوفة، وقال: «اللهم أني لقد مللتهم وملوني فأرحني منهم...» فقتل بعد ذلك بأيام.

(٢) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام، معودة في بلاد الجزيرة.

آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم (عليهما السلام)^(١) . أعرضه عليك؟ . .

فقال علي: نعم . .
فقرأ الراهب الكتاب . . وفيه

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الذي قضى فيما قضى، وستر فيما سطر، وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم ويدلهم على سبيل الله لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة . . . ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمدون يحمدون الله على كل شرف^(٢) وفي كل صعود وهبوط، تذلل ألسنتهم بالتهليل والتكبير، وينصره الله على كل من ناوأه . .

فإذا توفاه الله اختلفت أمته، ثم اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء الله، ثم اختلفت . . . ثم يمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقضي بالحق، ولا ينكس^(٣) الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد أو قال التراب - في يوم عصفت فيه الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء، يخاف الله في السر، وينصح في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم. فمن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة .

ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره . . فإن القتل معه شهادة» .

ثم قال الراهب لعلي: فأنا أصحابك ولا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك .

(١) وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم: كتبه عيسى بن مريم .
(٢) وفي كتاب صفين: الذين يحمدون الله على كل نشر .
(٣) وفي كتاب صفين: ويقضي بالحق ولا يرتشي في الحكم .

فبكى علي (عليه السلام) ثم قال: «الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسياً منسياً والحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار».

فمضى الراهب معه وأسلم، فكان مع علي حتى أصيب يوم صفين.

فلما خرج الناس - يوم صفين - يطلبون قتلاهم، قال علي: أطلبوا الراهب.. فطلبوه، فوجدوه قتيلاً.

فلما وجدوه صلى عليه علي ودفنه، واستغفر له^(١).

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج - ٧ - ص ٢٥٤ كما ذكر ذلك نصر بن مزاحم وغيره من المؤرخين.

حديث أمير المؤمنين علي عند مروره ب كربلاء في طريقه إلى صفين

جاء في كتاب صفين لنصر بن مزاحم في سلسلة من الأسناد عن
هرثمة بن سليم أنه قال : غزونا مع علي بن أبي طالب غزوة صفين ،
فلما نزلنا بكربلاء^(١) صلى بنا صلاة ، فلما سلم رفع إليه من تربتها ،
فشمها ، ثم قال :

«واهاً لك أيتها التربة . . ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير
حساب» .

فلما رجع هرثمة من غزوته إلى امرأته ، وهي جرداء بنت سمير ،
وكانت شيعه لعلي ، فقال لها زوجها هرثمة :

(١) كربلاء : بالمد : وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين ابن علي عليهما السلام ، في طرف
البرية عند الكوفة ، وقد روي أن الحسين عليه السلام ، لما انتهى إلى هذه الأرض قال
لبعض أصحابه : ما تسمى هذه القرية ؟ وأشار إلى العقر ، فقال له : اسمها العقر ،
فقال الحسين عليه السلام : نعوذ بالله من العقر . ثم قال : فما اسم هذه الأرض التي
نحن فيها ؟ قالوا : كربلاء ، فقال : أرض كرب وبلاء وأراد الخروج منها فمنع كما هو
مذكور في مقتله . ورثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فقالت :

واحسينا فلا نسيت حسيناً أقصده أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الغيث بعده كربلاء
معجم البلدان لياقوت .

ألا أعجبك من صديقك أبي الحسن! لما نزلنا كربلاء رفع إليه من تربتها فشمها، وقال: واهاً لك يا تربة ليحشروا منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب.. وما علمه بالغيب؟!!

فقلت له زوجته: دعنا منك أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين لم يقل إلا حقاً.

فلما بعث عبيدالله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين بن علي وأصحابه، قال هرثمة: كنت فيهم في الخيل التي بعث إليهم...

فلما انتهيت إلى القوم وحسين وأصحابه، عرفت المنزل الذي نزل بنا علي فيه، والبقعة التي رفع إليه من ترابها، والقول الذي قاله... فكرهت مسيري.. فأقبلت على فرسي، حتى وقفت على الحسين، فسلمت عليه، وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل.

فقال الحسين (عليه السلام): معنا أنت.. وعلينا؟!!

فقلت: يا بن رسول الله لا معك ولا عليك، تركت أهلي وولدي، أخاف عليهم من ابن زياد...

فقال الحسين: فول هرباً حتى لا ترى لنا مقتلاً.. والذي نفس حسين بيده لا يرى مقتلنا اليوم بعل - أي رجل - ولا يغشنا إلا أدخله الله النار.

قال هرثمة: فأقبلت في الأرض هارباً حتى خفي علي مقتله.

وعن أبي جحيفة قال: جاء عروة الباروقي إلى سعيد بن وهب فسأله وأنا أسمع، فقال: حديث حدثني عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟

قال: نعم.. بعثني مخنف بن سليم إلى علي، فأتيته بكربلاء فوجدته يشير بيده، ويقول: «ههنا.. ههنا..».

فقال له رجل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال أمير المؤمنين: «ثقل لآل محمد ينزل ههنا، فويل لهم منكم . .
وويل لكم منهم» .

فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟!

قال أمير المؤمنين: ويل لهم منكم تقتلونهم . . وويل لكم منهم
يدخلكم الله بقتلهم إلى النار. وفي رواية: أنه قال: فويل لكم عليهم.
قال الرجل: أما ويل لنا منهم، فقد عرفت، وويل لنا عليهم ما هو؟!

فقال أمير المؤمنين: ترونهم يقتلون ولا تستطيعون نصرهم .

وعن الحسن بن كثير عن أبيه: أن علياً أتى كربلاء، فوقف بها،
فقال له: يا أمير المؤمنين هذه كربلاء . . .

فقال أمير المؤمنين علي: ذات كرب وبلاء . . . ثم أوماً بيده إلى
مكان . . .

فقال: ههنا موضع رحلهم . . ومناخ ركا بهم . . .

وأوماً بيده إلى موضع آخر فقال: ههنا مهراق دمائهم^(١) .

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ١٠٢ - ١٠٥ .

القتال على الماء

ذكر المسعودي في مروجہ: أن معاوية سبق علياً إلى صفين، وعسكر في موضع سهل أفيح، اختاره قبل قدوم علي، على شريعة لم يكن على الفرات في ذلك الموضع أسهل منها للوارد إلى الماء، وما عداها أخراق عاليه^(١) ومواضع إلى الماء وعرة، ووكل أبالأعور السلمي بالشريعة مع أربعين ألفاً، وكان على مقدمته.

وبات علي (عليه السلام) وجيشه في البر عطاشاً قد حيل بينهم وبين الورد إلى الماء. فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أن علياً لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفاً من أهل العراق، وسيوفهم على عواتقهم، ولكن دعهم يشربون ونشرب.

فقال معاوية: لا والله أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان.

وخرج علي (عليه السلام) يدور في عسكره بالليل، فسمع قائلاً يقول:

وفا علي وفا الهدى؟	أمنعنا القوم ماء الفرات
وفا المناجون تحت الدجى	وفا الصلاة وفا الصيام

(١) وفي رواية؛ فاجواف عليه.

وألقي في فسطاط الأشعث بن قيس رقعة فيها - ما يثير حماسه وحميته - فلما قرأها الأشعث حمي . . وأتى علياً (عليه السلام)، فقال له: أخرج في أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم بهم في وسط عسكر معاوية، فتشرب وتستقي لأصحابك، أو تموتوا عن آخركم، وأنا مسير الأشر في خيل ورجالة وراءك.

فسار الأشعث في أربعة آلاف من الخيل وهو يقول مرتجياً:

لأوردن خيلي الفراتا شعث النواصي أو يقال ماتا
ثم دعا علي (عليه السلام) الأشر فرحله في أربعة آلاف من الخيل، والرجالة. فصار يؤم الأشعث صاحب رايته رجل من النخع وهو يرتجز ويقول:

يا أشر الخيرات يا خير النخع وصاحب النصر إذا عم الفزع
قد جزع القوم وعُثموا بالفزع أن تسقنا اليوم فما هو بالبدع^(١)

ثم سار علي (عليه السلام) وراء الأشر بباقي الجيش، ومضى الأشعث فما رد وجهه أحد حتى هجم على عسكر معاوية، فأزال أبا الأعور عن الشريعة^(٢). وغرق منهم بشراً وخيلاً، وأورد خيله الفرات.

وذلك أن الأشعث داخلته الحمية في هذا اليوم، وكان يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول: أرحمهم مقدار هذا الرمح، فيزيلوهم عن ذلك المكان. فبلغ ذلك من فعل الأشعث علياً، فقال: «هذا اليوم نصرنا فيه الأشعث بالحمية».

وارتحل معاوية عن الموضع وورد الأشر، وقد كشف الأشعث القوم عن الماء وأزالهم عن مواضعهم.

(١) وفي نسخة: قد خرج القوم وغالوا بالفزع.

(٢) الشريعة، والمرسة: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها. مشرعة الماء وهي مورد الشاربة التي يشربها الناس فيشربون منها ويستقون. والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء لانقطاع له.

وورد علي (عليه السلام) فنزل في الموضع الذي كان فيه معاوية .

فقال معاوية لعمر بن العاص: يا أبا عبد الله، ما ظنك بالرجل . . أترأه يمنعنا الماء لمنعنا إياه؟ . وقد كان معاوية انحاز بأهل الشام إلى ناحية في البر نائية عن الماء .

فقال له عمرو: لا . . . أن الرجل - يعني علي بن أبي طالب - جاء لغير هذا، وأنه لا يرضى حتى تدخل في طاعته أو يقطع حبل عاتقك . فأرسل معاوية إلى علي يستأذنه في وروده مشرعه، واستقاء الناس من طريقه، ودخول رسله في عسكره .

فأباحه علي (عليه السلام) كل ما سأل وطلب منه^(١) .

وفي تاريخ اليعقوبي: لما وافى علي وأصحابه - نزلوا في صفين - لم يصلوا إلى الماء لأن معاوية قد سبقهم إليه . فتوسل الناس إلى معاوية وقالوا: لا تقتل الناس عطشاً، فيهم العبد، والأمة، والأجير . فأبى معاوية وقال: لا سقاني الله ولا أبا سفيان إن شربوا منه أبداً .

فوجه علي عليه السلام الأشر، والأشعث، الأشر في الخيل، والأشعث بن قيس في الرجالة . وكانت خيل معاوية مع أبي الأعور السلمي، فقاتله أصحاب علي حتى صارت سنابك الخيل في الفرات . وغلبوا على المشرعة . وكان الواقف عليها عبد الله بن الحارث أخو الأشر، فلما غلب علي (عليه السلام) على المشرعة قال أصحاب معاوية: أنه لا قوام لنا وقد أخذ علي الماء .

فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أن علياً لا يستحل منك ومن أصحابك ما استحلت منه ومن أصحابه . .

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج - ٢ - ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

فأطلق علي عليه السلام الماء . وكان ذلك في ذي الحجة سنة ست وثلاثين^(١) .

وفي تاريخ ابن الأثير: أرسل علي إلى أصحابه أن خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم ، فإن الله نصركم ببيغيهم وظلمهم .

أقول: هذا شأن علي عليه السلام في جميع مواقفه ، العفو عند المقدرة ، وأن شمائله وصفاته التي يمتاز بها . . الصفح والحلم عن المسيء ، والإحسان لمن اعتدى عليه وأساء إليه وهذه صفات الصفوة من البشر .

(١) تاريخ اليعقوبي: ج - ٢ - ص - ١٧٧ .

وقفه تأمل

ذكر المؤرخون وأصحاب السير حرب صفين، وما كان بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان في تلك الحرب من آثار ومآثر.

فمن المؤرخين من أطال وأسهب، ومنهم من اختصر وأوجز، ومنهم من مال به الهوى فعد غدر معاوية دهاء.. وظلمه فطنة وذكاء.. فكم من مرة قال علي (عليه السلام): «والله ما معاوية بأدهى مني.. ولكنه يغدر ويفجر..».

والآن لنلقي نظرة سريعة على موقف من مواقف معاوية بصفين حين سبق علياً وعسكر في موضع سهل أفيح على شاطئ الفرات وبث جنده لحراسة الماء ليمنعوا علياً وأصحابه من الوصول إليه.

وهنا لا بد لنا من وقفة تأمل في فعل معاوية الذي لم يتورع عن إصدار أوامره بمنع الماء عن الألوفاً من المسلمين ليتضح لنا أن معاوية كان لا يرى إلا إن الغاية تبرر الوسيلة وعلى هذا فموت عشرات الألوفاً من المسلمين عطشاً لا مانع منه.

لذلك لا يهجمه أن يصل إلى غايته بأي وسيلة.. وبأي طريق.. بالحلال أو الحرام.. بالإحسان أو الإساءة.. بالظلم أو الخداع أو

المراوغة . . . المهم أن يصل إلى غايته . .

معاوية لم يكن ذلك الرجل الذي يتورع عن فعل أي شيء . . أو سلوك أي طريق . . أو اتخاذ أي وسيلة في سبيل الوصول إلى هدفه ومآربه مهما كانت تلك الوسيلة منكرة . . أو محرمة . . أو مجرمة .

معاوية بن أبي سفيان رأى بخبث سريره أنه سبق إلى الماء . . فلماذا لا يمنع وصول الماء إلى علي وأصحابه .

معاوية بن أبي سفيان وابن هند رأى أن منع الماء عن خصومه ليموتوا عطشاً سلاحاً قاتلاً لا يوازيه سلاح . . وهذا السلاح الرهيب القاتل أصبح في يديه الآن . . فلماذا لا يستعمله للتغلب على أخصامه لعلهم يستسلموا أو يموتوا عطشاً . . فالظماً لا يحتمله إنسان أو حيوان أو كل ذي روح . .

هكذا قرر معاوية . . وهكذا ظن من أن النصر سيكون حليفه . .

إن ضمير ابن هند آكلة الأكباد لا يردعه عن فعل جريمة بشعة وهي موت عشرات الألوف من المسلمين عطاش في تلك الصحراء الجرداء . . .

وأنى لضمير معاوية أن يشعر بفداحة هذه الجريمة أو تهتز لها مشاعره فضميره ميت ومشاعره مجنونة لمصالحه الخاصة .

معاوية لم ينظر إلى المسلمين نظرة الأخوة في الدين ولا يهتم سلامة المؤمنين الصالحين لأنه طليق وابن طليق وابن المؤلف قلوبهم والتاريخ شاهد على ذلك .

معاوية بن أبي سفيان لم يشعر قلبه بالرحمة أو الإنسانية حين أراد أن يموت جيش علي عطشاً وفيه أكابر الصحابة الأجلاء . . من بدرين وأحديين الذين حاربوا المشركين كآبيه وذويه . . .

أراد معاوية أن يقتل بسلاح العطش جيش علي الذي ضم من

أهل بدر سبعين رجلاً، ومن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل، ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل. هؤلاء الذين خاضوا غمار الحرب وجاهدوا في سبيل الله وفي سبيل تركيز دعائم الإسلام بأموالهم وأنفسهم . . . ولولا الإسلام لما كان معاوية أو غيره ممن سبقه أو يأتي بعده شأن يذكر .

فما كان العرب في تلك الحقبة من الزمن إلا شراذم متناحرة . . وقبائل متنافرة خاضعة لسيطرة الروم أو الفرس. شأن العرب اليوم دويلات وممالك وجمهوريات متشتتة يستعمرها ويستغلها حكام الشرق والغرب .

كان هدف معاوية بن أبي سفيان هو الانتصار على علي بن أبي طالب (عليه السلام) وانتزاع الخلافة منه بأي وسيلة . . وبأي طريقة، فلا يردعه رادع من دين أو ضمير. ولا يهمله أن يفتك بهم عطشاً . . أو يغدر بهم سماً كما فعل بمالك الأشر وبالإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) بعد ذلك ويقتل كل من يقف في وجه ظلمه وطغيانه كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهما على ما سيأتي في باب لاحق انشاء الله .

أخذت معاوية النشوة وهزّه الفرح عندما ظن أنه سيتغلب على أمير المؤمنين علي وأصحابه بسلاح العطش. لذلك نجده لم يستمع لنصيحة حليفه ومستشاره الماكر عمرو بن العاص الذي لم يكن أتقى منه، إذ قال له :

«إن علياً لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفاً من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم . . . الخ» .

معاوية لا يتمكن من مواجهة علي وأصحابه الأبطال إن اشتبك معه في معركة قتالية - وجهاً لوجه - فالنصر حتماً سيكون حليف علي صاحب المواقف المشهورة والسيوف البتار .

دعا علي معاوية للمبارزة قائلاً : «علام يقتل الناس . . . أبرز إلي

ودع الناس . فيكون الأمر لمن غلب . . . » .

لكن معاوية راوغ وتنكر لهذه الدعوة خوفاً من الموت بسيف علي الذي حصد رؤوس أشياخه من قبل . . . وخوفاً على حياته .

معاوية بن أبي سفيان الذي جاء من الشام لحرب المسلمين الصالحين ، والصحابة المجاهدين بقيادة أمير المؤمنين علي . كان يتجاهر . . . ويتبجح أنه يدين بدين الإسلام . . . ونسي أن دين الإسلام يقف رافضاً حرب الإبادة بجميع أنواعها وأساليبها . . . وفي الوقت ذاته يحرم الغدر والخيانة .

وما فعله معاوية من منع الماء عن جيش علي وإبادته عطشاً شبيه بما يفعله حكام هذا العصر في هذه الأيام . . . وقادة الأمم في القرن العشرين للميلاد . إذ أحلوا لأنفسهم إبادة السكان الآمنين وقتلهم بالقنابل الذرية المدمرة ، والمبيدة للبشرية بما فيها المحارب ، والمسلم ، والكبير المسن والطفل الصغير . . .

فكم من اجتماعات قمة عقدت . . . واجتماع جبارين . . . وهيئة أمم . . . ومجلس أمن . . . واتخاذ قرارات لتحريم هذا السلاح الفتاك . . . ولأن لم يتخذوا قراراً حاسماً بتحريمها .

إن الإسلام قبل أربعة عشر قرناً من الزمان جاء بنظمه العادلة ، وتشريعاته المقدسة فحرم قتل الأبرياء من النساء والأطفال ، والشيوخ ، من الأعداء . . . وكل من ليس له غاية في الحرب .

ومن المعلوم أن معاوية وأحزابه كانوا يتظاهرون بشعائر الإسلام وما ذلك إلا لنيل مآربهم الدنيوية . . . لكن القول والتظاهر شيء والفعل والتنفيذ شيء آخر . كما نحن في هذه الأيام . . . خطب . . . وندوات . . . واجتماعات . . . واتخاذ قرارات . . . ولا ينفذ منها شيء ، بل يكون مصيرها الإهمال .

أما أمير المؤمنين علي عليه السلام خليفة الحق وإمام الهدى

المعصوم من الزلل والذي منحه الله سبحانه وتعالى مكارم أخلاق ابن عمه محمد سيد البشر (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان (عليه السلام) على نقیض معاوية بخلقه وخلقه وجميع تصرفاته . . .

نرى علياً (عليه السلام) أرسل إلى معاوية ينصحه ويحذره مغبة فعله من منع الماء. وأنه (عليه السلام) لم يأت إلى صفين للقتال من أجل الماء، بل جاء لأجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل وجمع شتات المسلمين الذين فرقتهم الأهواء، ومزقتهم المطامع والفتن.

ولما لم يسمع معاوية قول علي ولم يرتدع عن غيه لم ير الإمام علي مندوحة سوى قتاله على الماء لارتواء جيشه فأمر مالك الأشتر والأشعث بن قيس فأزاحوا جيش معاوية عن الفرات وأصبح الماء في أيديهم وبامكانهم أن يقطعوه عن معاوية وأصحابه كما فعلوا هم بادية الأمر. لكن علياً (عليه السلام) أباح الماء للجميع على السواء.

وهنا ينحني التاريخ أمام عظمة علي بن أبي طالب وشخصيته الفذة التي تقف بين جميع قادة الأمم شاخة كالطود لتعطي للأجيال المتلاحقة درساً بليغاً في مكارم الأخلاق والعفو عند المقدرة.

الموادعة في صفين

استولى أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على الماء، وملكوا أيديهم شريعة الفرات، وانحسر معاوية واتباعه إلى جانب من البرية. في الصحراء بعد أن غلبوا على أمرهم نتيجة عنادهم وظلمهم.

لكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي ديدنه الصفح عن المسيء، وشعاره العدل والمساواة أباح الماء لمن منعه إياه قبل ساعات.. فالتناس عنده سواسية من حفظ الحياة يصفح عن المسيء ويعفو عن الظالم.

مكث (عليه السلام) بعد انتهاء القتال على الماء بصفين يومين متتاليين كما روى ذلك المؤرخون ولم يكن بينه وبين معاوية في تلك الفترة أي اتصال أو مراسلة.. ومضى الوقت لا سلم ولا حرب..

استدعى أمير المؤمنين علي بشير بن محصن الأنصاري أبا عمرو، وسعيد بن قيس الهمداني، وشيث بن ربيعة التميمي، فقال لهم: «إئتوا هذا الرجل - أي معاوية - وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة».

فأتوا معاوية، وكلموه، وحذروه الفتنة، لإلقاء الحجة عليه قبل الحرب وقبل إراقة دماء المسلمين.

ودار بينهم وبين معاوية جدال عنيف انتهى بجواب معاوية :
انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف .

ورجعوا إلى علي (عليه السلام) وأخبروه بما دار بينهم وبين معاوية
كما ذكر ذلك تفصيلاً ابن الأثير في تاريخه^(١) .

وفي تاريخ الطبري : دخلت سنة سبع وثلاثين فكان في أول شهر
منها وهو المحرم موادة الحرب بين علي ومعاوية ، فقد توادعا على ترك
الحرب طيلة المحرم إلى انقضائه طمعاً في الصلح .

وفي الطبري أيضاً : عن المحل بن خليفة الطائي : قال : لما توادع
علي ومعاوية يوم صفين ، اختلف فيما بينهما الرسل ، رجاء الصلح . .
فبعث علي عدي بن حاتم . . . ويزيد بن قيس الأرحبي ، وشبت بن
ربعي ، وزباد بن خصفة إلى معاوية . .

فلما دخلوا على معاوية قام عدي بن حاتم فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال :

أما بعد فإننا أتيناك - يا معاوية - ندعوك إلى أمر يجمع الله عز وجل
به كلمتنا ، وأمتنا ، ويحقن به الدماء ، ويأمن به السبل ، ويصلح به ذات
البين .

إن ابن عمك - علي بن أبي طالب - سيد المسلمين ، أفضلها
سابقة ، وأحسنها في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له الناس ، وقد
أرشدهم الله عز وجل بالذي رأوا ، فلم يبق أحد غيرك وغير من
معك . . .

فأنت يا معاوية ، لا يصيبك ، وأصحابك يوم مثل يوم الجمل .

فقال معاوية : كأنك إنما جئت متهدداً ، ولم تأت مصلحاً . .

(١) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

هيهات يا عدي بن حاتم . . كلا والله إني لابن حرب لا يقعقع لي بالشنان ، أما والله إنك لمن المجليين على ابن عفان ، وأنك لمن قتلت . . . الخ .

فقال له شبت بن ربيعي ، وزياد بن خصفة ، وتنازعا جواباً واحداً : أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال دع ما لا ينتفع به من القول ، والفعل واجبنا فيما يعمننا وإياك نفعه .

وتكلم يزيد بن قيس ، فقال : إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بعثنا به إليك ولنؤدي عنك ما سمعنا منك وأن نذكر ما ظننا أن لنا عليك به حجة . . . الخ .

وأجابهم معاوية بكلام كثير نتيجه الرفض لما جاءوا به من إصلاح ذات لبين وحقق دماء المسلمين .

وفي تاريخ الطبري أيضاً : ومكث الناس حتى إذا دنا انسلاخ المحرم أمر على مرتد بن الحارث الجشمي فنأدى أهل الشام عند غروب الشمس :

ألا أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول لكم : « إني قد استدمتكم^(١) لتراجعوا الحق ، وتنبؤوا إليه ، واحتججت عليكم بكتاب الله عز وجل ، فدعوتكم إليه ، فلم تنأهوا عن طغيان ، ولم تحيوا إلى حق ، وإني قد نبذت إليكم على سواء ، أن الله لا يحب الخائنين . . . » .

ففزع أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم^(٢) .

(١) وفي كتاب صفين : إني قد استنبذتكم واستأنأتكم لتراجعوا الحق .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ٢ - ٦ .

من وصايا أمير المؤمنين علي لجيشه

روى نصر بن مزاحم في كتابه صفين : إنه لما انسلخ المحرم وانتهت أيام الموادة - الهدنة - بين الفريقين ، خرج معاوية وعمرو بن العاص يكتبان الكتائب ، ويعبيان العساكر ، وأوقدوا النيران ، وجاءوا بالشموع .

وبات علي (عليه السلام) ليلته كلها يعبى أصحابه ، ويكتب الكتائب ، ويدور في الناس ويحرضهم .

وعن عبد الله بن جندب عن أبيه : أن علياً كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه ، ويقول :

« لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم فإنكم بحمد الله على حجة ، وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم ، فإذا قاتلتموهم ، فهزمتموهم ، فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، فإذا وصلتكم إلى رحالهم ، فلا تهتكوا سترأ ، ولا تدخلوا داراً إلا بإذني ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة إلا بإذني وإن شتمن أعراضكم ، وتناولن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس ، ولقد كنا وإننا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات . الخ » .

وعن نصر بن مزاحم أيضاً : عن الحضرمي أنه قال : سمعت
علياً عرض في الناس في ثلاثة مواطن ، في يوم الجمل ، ويوم صفين ،
ويوم النهروان فقال :

« عباد الله اتقوا الله عز وجل ، وغضوا الأبصار ، واخفضوا
الأصوات ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على المنازلة ، والمجاوله
والمبارزه ، والمعانقه ، والمكادمة ، واثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم
تفلحون . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع
الصابرين .

اللهم الهمهم الصبر . . . وانزل عليهم النصر . . واعظم لهم
الأجر» (١).

وكانت علامة أهل العراق بصفين ، الصوف الأبيض قد جعلوه
في رؤوسهم وعلى أكتافهم ، وشعارهم : يا الله ، يا أحد ، يا صمد ،
يا رب محمد ، يا رحمن يا رحيم .

وكانت علامة أهل الشام خرقاً بيضاء قد جعلوها على رؤوسهم
وأكتافهم ، وكان شعارهم : نحن عباد الله حقاً حقاً ، يا لثارات
عثمان .

أقول : لو تأملنا قليلاً ونظرنا بعين الإنصاف إلى وصايا أمير
المؤمنين علي (عليه السلام) التي أوصى بها جيشه من الرفق واللين
بأعدائهم بعد النصر عليهم وبعد عدم أخذ أموالهم إلا ما وجد في
معسكرهم وأن لا يقتلوا مدبراً ، ولا يجهزوا على جريح ، ولا يهتكوا
سترأ ولا يهيجوا امرأة وإن شتمن أعراضهم . . الخ . لعلمنا بحق ما
كان عليه علي بن أبي طالب من العدل والإنصاف وما تنطوي عليه
جوارحه من الرفق واللين حتى بأعدائه الذين يكونون له كل غدر ومكيدة

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ١٥١ - ١٥٢ .

وما كان عليه من المحافظة على مكارم الأخلاق والعفو عند المقدرة . .
لوجدنا البون الشاسع والفارق العظيم بين تصرفات علي (عليه السلام)
وتصرفات معاوية من قتل الأبرياء ، وهتك الحرمات ، ونهب الأموال ،
وحبك المكائد ، والدسائس ، والمؤامرات لبان لنا بكل وضوح مدى
الفارق بين علي ومعاوية .

ولو انصف الحكم وأعطى كل ذي حق حقه لجعل علياً بمكارم
أخلاقه وامتيازه بحسن تصرفاته . وعدله وتقاه فوق كل البشر في علو
المنزلة بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

القتال بعد الهدنة

كتب أصحاب السير والمؤرخون عن معركة صفين الكثير من الحوادث ، فبعضهم ذكر حرب صفين فأطال وأسهب . . . وبعضهم اختصر وأوجز . .

والحقيقة أنها جديرة في أن تذكر في جميع مراحلها ، لأنها معركة بين الحق والباطل . بين من أتبع منهج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الموالين لعلي (عليه السلام) من جهة . . وبين أتباع معاوية بن أبي سفيان المستهترين بالإسلام من جهة ثانية .

ونحن هنا تجنباً للإطالة - لأن معركة صفين ألفت فيها مؤلفات ، وذكرت في الكتب المطولة بإسهاب ، ومن أراد التفصيل فليرجع إليها .

والذي يهمنا الآن أن نذكر موجزاً عن هذه المعركة التي لا يزال صداها يتردد في أنحاء العالم ، وإلى يوم القيامة . إذ ليس من المستحسن ونحن نكتب عن سيرة أصحاب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أن نذكرها ولو بإيجاز لبيان الحقيقة والواقع .

وقد كنا ذكرنا بعضاً من مراحل مقدماتها ، وما رافقها من الأحداث حتى انقضاء الهدنة في نهاية شهر محرم سنة ٣٧ هجرية .

استغل معاوية الهدنة - المودعة - فصار يرسل رسله خفية إلى

قادة جيش علي (عليه السلام) من أهل الأطماع وطلاب الدنيا أمثال الأشعث بن قيس الكندي وغيره لله ، يعدهم بالمناصب العالية ، والأموال الطائلة إذ هم انضموا إليه ، وتركوا معسكر الإمام علي (عليه السلام) .

لكن المخلصين من القادة أمثال قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وغيره لم يكونوا لتطلي عليهم حيل معاوية ومكره ، فكان جواب قيس له قاسياً كما روى ذلك المؤرخون .

لم يقتصر معاوية بإرساله لقادة علي ومعتديه المخلصين له يعدهم وعينهم بالأمور المغرية وإذا لم يفلح في ذلك انتقل للتهديد والوعيد إخافة وإرهاباً كما فعل ذلك مع الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري . ومهما يكن من أمر فقد ذكر اليعقوبي أن معركة صفين أقامت بين الفريقين أربعين صباحاً .

فقد كانت المعارك تشتد حيناً وتخف حيناً آخر . وكان ابتداء الحرب في أول ذي الحجة سنة ٣٦ كما قال ذلك ابن الأثير ، واستمر إلى آخره ، وترك الحرب في المحرم سنة ٣٧ واستؤنف واشتد في أول صفر إلى ١٣ منه إلى أن كانت قصة الحكمين .

وطيلة هذه المدة كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يأمل أن يرجع أهل الشام إلى رشدهم ، وتنقشع غشاوة الغي والضلال عن بصائرهم حقناً لدماء المسلمين .

ولما كانت المناوشات والمعارك المحدودة لم يحصل منها أي نتيجة ، وتلك المدة التي انقضت لم يحصل منها غير معارك جزئية أيضاً حتى ظن بعض أصحاب علي (عليه السلام) أنه لم يرد الحرب فعلاً لإمهاله معاوية وأصحابه وتغاضيه عن خدعهم ومما طلتهم كسباً للوقت . .

لكن علماً لم يكن كذلك بل كان يأمل برجوع أهل الشام إلى رشدهم ، فإنه (عليه السلام) كان يسأل الله أن يمد عدوه بالهداية ويحجبه غواية إبليس .

ولما لم ينفع الإمهال ولم يهتد القوم وملّ جيش علي المطاولة بعث
(عليه السلام) إنذاراً إليهم كما ذكر ذلك المسعودي في مروجه :

« إني قد احتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم إليه ، وإني قد
نبذت إليكم على سواء ، أن الله لا يهدي كيد الخائنين » .

فلم يردوا عليه جواباً إلّا . . . السيف بيننا وبينك أو يهلك
الأعجز منا .

وأصبح علي يوم الأربعاء - وكان أول يوم من صفر - فعبأ
الجيش ، وأخرج الأشرأمام الناس . وأخرج إليه معاوية ، حبيب بن
مسلمة الفهري ، وكان بينهم قتال شديد ، وأسفرت عن قتلى من
الفريقين جميعاً .

فلما كان اليوم الخميس - ٢ صفر - أخرج علي هاشم بن عتبة بن
أبي وقاص الزهري ، المرقال^(١) وأخرج إليه معاوية أبا الأعور السلمي
فكانت بينهم الحرب سجالاً .

وأخرج علي يوم الجمعة - ٣ صفر - أبا اليقظان عمار بن ياسر في
عدة من البدرين وغيرهم من المهاجرين والأنصار . وأخرج إليه معاوية
عمر بن العاص في تنوخ وبهراء وغيرهما من أهل الشام فكانت بينهم

(١) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري المرقال : وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ،
وإنما سمي المرقال لأنه كان يرقل في الحرب ، وكان أعور ذهب عينه يوم اليرموك ،
وكان من شيعة علي (عليه السلام) وفي يوم صفين أخذ هاشم المرقال الراية فهزها ،
فقال له رجل من أصحابه : امكث قليلاً ولا تعجل ، فقال هاشم :

قد أكثروا لومي وما أقلنا إني شريت النفس لن اعتلا
أعور يبغني أهله محلاً لا بد أن يغفل أو يغفلا
أشلهم بذئ الكعوب شلاً مع ابن عم أحمد المعل
فيه الرسول بالهدى استهلاً أول من حدثه وصل

فجاهد الكفار حتى أبلى

وقد تقدمت ترجمة هاشم المرقال في موضع سابق من هذا الكتاب .

الحرب سجلاً إلى الظهر، ثم حمل عمار بن ياسر فأزال عمراً عن موضعه وألحقه بعسكر معاوية . وأسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ، ودونهم من أهل العراق .

- ويوم السبت - ٤ صفر - أخرج علي ابنه محمد بن الحنفية في همدان وغيرها فأخرج إليه معاوية عبيد الله بن عمر ابن الخطاب في حمير ، ولخم ، وجذام .

فاقتتلوا في ذلك اليوم وكانت على أهل الشام ونجا ابن عمر في آخر النهار هرباً .

- ويوم الأحد - ٥ صفر - أخرج علي عبد الله بن العباس فأخرج إليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فاقتتلوا وأكثر الوليد من سب بني عبد المطلب بن هاشم ، وكانت الغلبة لابن عباس وكان يوماً صعباً .

- ويوم الإثنين - ٦ صفر - أخرج علي سعيد بن قيس الهمداني ، وهو سيد همدان يومئذ . فأخرج إليه معاوية ذا الكلاع .

- ويوم الثلاثاء - ٧ صفر - خرج الأشر في النخع وغيرهم ، وخرج إليه حبيب بن مسلمة الفهري وتوافقوا للموت وأسفرت عن قتلى والجراح في أهل الشام أعم .

- ويوم الأربعاء - ٨ صفر - خرج علي (عليه السلام) بنفسه في الصحابة من البدرين وغيرهم من المهاجرين والأنصار ، وربيعة وحمدان فكان يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم في كلام طويل ختمه بقوله .

« إن الشيطان راكب صعيده ، مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً ، وآخر للنكوص رجلاً ، فصبراً جيلًا حتى تنجلي عن وجه الحق ، وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » ، وتقدم علي (عليه السلام) للحرب على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم) الشهباء . وخرج معاوية في عدد أهل الشام^(١) .

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير : تقدم علي (عليه السلام) على بغلة فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض ، وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلي يقول :

أقتلهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية

ثم نادى علي معاوية فقال : « علام يقتل الناس بيننا ؟ هلم أحاكمك إلى الله ، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور » .

فقال له عمرو : أنصفك علي . . .

فقال له معاوية : ما أنصفت - يا عمرو - أنك لتعلم أنه لم يبرز لعلي بن أبي طالب أحد إلا قتله .

فقال له عمرو : ما يحسن بك ترك مبارزته . . .

فقال له معاوية : طمعت فيها بعدي يا عمرو!؟^(٢) .

أقول : لم يبرز معاوية لعلي لأنه يعلم أنه ما وقف أحد في وجه علي إلا وسقى الأرض من دمه ، ومعاوية يخشى سيف علي البتار الذي حصد رؤوس أشياخه يوم بدر . فأبقى على نفسه خوفاً من اللحاق بهم . وفي رواية : أنه صاح بعمر : ما أحقك ! . . . ليس مثلي يخدع عن نفسه أن تريد إلا قتلي .

(١) مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ١٥٨ .

من قصة ذي الكلاع ومقتله

روى نصر بن مزاحم في كتابه صفين عن أبي نوح الكلاعي الحميري أنه قال : كنت في الخيل يوم صفين ، في خيل علي عليه السلام) وهو واقف بين جماعة من همدان وحير ، وغيرهم من فنان قحطان ، إذ أنا برجل من أهل الشام يقول : من دل على الحميري أبي نوح ؟ .

فقلنا : هذا الحميري . . فأبهم تريد ؟ .

قال : أريد الكلاعي أبا نوح . . .

قال أبو نوح : قلت : قد وجدته ، فمن أنت ؟

قال : أنا ذو الكلاع سر إلي . . .

فقلت له : معاذ الله أن أسير إليك إلا في كتيبة .

قال ذو الكلاع : فسر . . . فلك ذمة الله وذمة رسوله وذمة ذي الكلاع ، حتى ترجع إلى خيالك ، فإنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه ، فسر دون خيالك حتى أسير إليك .

فسار أبو نوح ، وسار ذو الكلاع حتى التقيا فقال ذو الكلاع : إنما دعوتك أحدثك حديثاً حدثناه عمرو بن العاص في إمارة عمر بن الخطاب .

قال أبو نوح : وما هو ؟

قال ذو الكلاع : حدثنا عمرو بن العاص أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « يلتقي أهل الشام وأهل العراق ، وفي إحدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمار بن ياسر » .

قال أبو نوح : لعمر الله إنه لفينا . . .

قال ذو الكلاع : أجاد هو في قتالنا ؟ .

قال أبو نوح : نعم . . . ورب الكعبة ، لهو أشد على قتالكم مني ، ولوددت أنكم خلق واحد ، فذبحته . وبدأت بك قبلهم وأنت ابن عمي .

قال ذو الكلاع : ويلك على مَ تتمنى ذلك منا ، والله ما قطعك فيما بيني وبينك ، وإن رحمك لقريبة ، وما يسرني أني أقتلك .

قال : أبو نوح : إنَّ الله قطع بالإسلام أرحاماً قريبة ، ووصل به أرحاماً متباعدة وأين منّا أنت وأصحابك ؟ . نحن على الحق ، وأنتم على الباطل مقيمون مع أئمة الكفر .

فقال له ذو الكلاع : هل تستطيع أن تأتي معي صف أهل الشام ، فأنا لك جار منهم حتى تلقى عمرو بن العاص ، فيعرف منك حال عمار وجده في قتالنا هو وأصحابه ، لعله أن يكون صلحاً بين هذين الجندين .

فقال له أبو نوح : إنك رجل غادر ، وأنت في قوم غدر ، وإن لم تكن تريد الغدر اغدروك . . وإني إن أموت أحب إلي من أن أدخل مع معاوية .

فقال ذو الكلاع : أنا جار لك من ذلك ، أن لا تقتل ، ولا تسلب ، ولا تكره على بيعة ، ولا تحبس عن جندك ، وإنما هي كلمة تبلغها عمرو بن العاص ، لعل الله أن يصلح بذلك ويضع عنهم الحرب والسلاح . .

سار أبو نوح مع ذي الكلاع حتى أتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية ، وحوله الناس وعبد الله بن عمرو يحرض على الحرب . فلما وقفا على القوم ، قال ذو الكلاع لعمرو : يا أبا عبد الله هل لك في رجل ناصح ليبيد يخبرك عن عمار بن ياسر لا يكذبك .

قال عمرو : ومن هو ؟

قال ذو الكلاع : ابن عمي هذا وهو من أهل الكوفة .

فقال عمرو لأبي نوح : إني لأرى عليك سيما أبي تراب !

قال أبو نوح : علي سيما محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه ، وعليك سيما أبي جهل وسيما فرعون . . .

فقام أبو الأعور فسل سيفه ثم قال : لا أرى هذا الكذاب اللثيم يشاتمنا بين أظهرنا ، وعليه سيما أبي تراب .

فقال ذو الكلاع : أقسم بالله لأن بسطت يدك إليه لأحطمن أنفك بالسيف . . ابن عمي وجاري ، عقدت له بدمتي ، جثت به إليكما ليخبركما عما تماريتم فيه . . .

قال له عمرو بن العاص أذكرك بالله يا أبا نوح إلا ما صدقت ، ولا تكذبنا . . أفيكم عمار بن ياسر ؟ . .

فقال له أبو نوح : ما أنا بمخبرك عنه حتى تخبرني لما تسألني عنه ، فإن معنا من أصحاب رسول الله عدة غيره ، وكلهم جاد على قتالكم . قال عمرو : سمعت رسول الله يقول : « إن عمار تقتله الفئة الباغية ، وإنه ليس لعمار أن يفارق الحق ، ولن تأكل النار منه شيئاً » .

فقال أبو نوح : « لا إله إلا الله والله أكبر ، والله إنه هنا معنا جاد على قتالكم .

فقال عمرو : نعم والله الذي لا إله إلا هو لقد حدثني يوم الجمل أنا سنظهر عليهم ، وحدثني أمس : إن لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا

سعفات هجر لعلمنا أنا على حق وإنكم على باطل وكانت قتلتنا في الجنة وقتلاككم في النار .

فقال له عمرو : فهل تستطيع أن تجمع بيني وبينه ؟ قال : نعم . . .

فلما اجتمع عمرو بن العاص وعمار بن ياسر دار بينهما حوار طويل ختمه عمار بقوله : سأخبرك يا عمرو على ما قاتلتك عليه أنت وأصحابك ..

أمرني رسول الله أن أقاتل الناكثين^(١) وقد فعلت ..

وأمرني أن أقاتل القاسطين . . . فأنتم هم ..

وأما المارقين^(٢) فما أدري أأدركهم أم لا . . . - ثم تابع قوله : أيها الأبترا ألسنت تعلم أن رسول الله قال لعلي : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » وأنا مولى الله ورسوله وعلي بعده ، وليس لك مولى . . .

قال له عمرو : لم تشمتني يا أبا اليقظان ولست أشتمك ؟!

قال عمار : وبم تشمتني ؟ أتستطيع أن تقول أني عصيت الله ورسوله يوماً قط ؟!

قال له عمرو : إن فيك لمسات سوى ذلك .

فقال عمار : إن الكريم من أكرمه الله ، كنت وضعياً فرفعني الله ، ومملوكاً فأعتقني الله ، وضعيفاً فقواني الله ، وفقيراً فأغناني الله .

فقال له عمرو : فما ترى في قتل عثمان ؟ .

قال عمار : فتح لكم باب كل سوء ، فبلغ معاوية ما كان بينهم ،

(١) الناكثين : مراده طلحة والزبير قاتلهم يوم الجمل .

(٢) المارقين هم الخوارج ، ولم يدركهم عمار بن ياسر رضوان الله عليه حيث قتل بصفين .

فقال : هلكت العرب أن أخذتهم فقه العبد الأسود يعني عمار بن ياسر .
 وخرج عبد الله بن سويد سيد جرش إلى ذي الكلاع فقال له : لم
 جمعت بين الرجلين ؟ .

قال ذو الكلاع : لحديث سمعته من عمرو ذكر أنه سمعه من
 رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول لعمار بن ياسر :
 « تقتلك الفئة الباغية » فخرج عبد الله وكان من عباد أهل زمانه ليلاً ،
 فأصبح في عسكر علي فحدث الناس بقول عمرو في عمار .

فلما سمع معاوية هذا القول بعث إلى عمرو فقال : أفسدت علي
 أهل الشام ، أكل ما سمعت من رسول الله تقوله ؟

فقال عمرو : قتلها ولست والله أعلم الغيب . . . ولا أدري إن
 صفين تكون . . قتلها وعمار يومئذ لي ولك ، وقد رويت أنت فيه مثل
 الذي رويت فيه فاسأل أهل الشام .

فغضب معاوية وتنمر لعمرو ومنعه خيره فقال عمرو : لا خير لي
 في جوار معاوية إن تجلت هذه الحرب عنا وكان عمرو حي الأنف فقال
 أبياتاً من الشعر منها :

تعاتبني إن قلت شيئاً سمعته وقد قلت لو انصفتني مثله قبلي
 فأجابه معاوية بأبيات منها :

الآن لما ألفت الحرب بركها وقام بنا الأمر الجليل على رجل
 غمزت قناتي بعد سبعين حجة تباعاً كأي لا أمر ولا أملي

فلما أتى عمرو شعر معاوية أتاه فاعتبه وصار أمرهما واحداً .

وقد كان ذو الكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول : قال
 رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمار بن ياسر : « تقتلك الفئة
 الباغية ، وآخر شربة تشربها ضياح من لبن » . فلما رأى ذو الكلاع
 عماراً يحارب مع علي ويحرض الناس على حرب معاوية .

فقال لعمرو بن العاص : ويحك يا عمرو . . . ما هذا ؟ !

فقال له عمرو : إنه - أي عمار - سيرجع إلينا . وذلك تفضيلاً
ومكيدة وانطلقت أضاليل عمرو على ذي الكلاع فصدقه - وذلك قبل أن
يصاب عمار . . .

فأصيب عمار مع علي (عليه السلام) وأصيب ذو الكلاع مع
معاوية .

فقال عمرو لمعاوية : والله يا معاوية ما أدري بقتل أيهما أنا أشد
فرحاً . . . بقتل عمار . . . أو بقتل ذي الكلاع . . والله لو بقي ذو
الكلاع حتى يقتل عمار ، لمال بعامة قومه إلى علي ، ولأفسد علينا
جندنا .

مقتل عمار بن ياسر

ذكر المسعودي في مروجه : إن عمار بن ياسر وقف يوم صفين فقال : إني لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبتلون ، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعات هجر^(١) لكننا على الحق ، وكانوا على الباطل .

تقدم عمار فقاتل ، ثم رجع إلى موضعه ، فاستسقى ، فأنته امرأة من نساء بني شيبان من مصافهم ، بعس فيه لبن ، فدفعته إليه ، فقال :

الله أكبر . . . الله أكبر . . اليوم ألقى الأجرة تحت الأسنة ، صدق الصادق ، وبذلك أخبرني الناطق ، وهو اليوم الذي وُعدت فيه . . .

ثم قال : أيها الناس ، هل من رائج إلى الله تحت العوالي ؟

(١) هجر : مدينة وهي قاعدة البحرين . وقيل : ناحية البحرين كلها هجر وهو الصواب . قال ابن الكلبي إنما سميت عين هجر بهجر بنت المكفف وكانت من العرب المتعربة ، وكان زوجها مخلم بن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين - وقيل غير ذلك - راجع معجم البلدان لياقوت .

والذي نفسي بيده ، لنقاتلنهم على تأويله ، كما قاتلناهم على تنزيله ،
وتقدم وهو يقول :

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

فتوسط - عمار رضوان الله عليه - القوم ، واشتبكت عليه الأسنة ،
فقتله أبو العادية وابن جون السكسكي^(١) واختلفا في سلبه فاحتكما إلى
عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما : اخرجا عني ، فلإني سمعت
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول :

« ولعت قريش بعمار^(٢) ما لهم ولعمار ؟! يدعوه إلى الجنة
ويدعونه إلى النار » .

وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة ، وقبره بصفين ،
وصلى عليه علي (عليه السلام) ، ولم يغسله ، وكان يغير شبيهه^(٣) .

وفي العقد الفريد عن حنظلة بن خويلد قال : إني جالس عند
معاوية ، إذا أتاه رجلان يختصمان في رأس عمار كل واحد منهما يقول :
أنا قتلت .

فقال لهما عبد الله بن عمرو بن العاص : ليطب به أحدكما نفساً
لصاحبه ، فلإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول
له : تقتلك الفئة الباغية .

وعن محمد بن عمار قال : ما زال جدي خزيمة بن ثابت كافاً
سلاحه يوم صفين حتى قُتل عمار ، فلما قتل عمار سل جدي خزيمة سيفه

(١) في البداية والنهاية لابن كثير : ج ٧ ص ٢٦٧ حمل عمار بن ياسر فحمل عليه ابن
جون السكسكي ، وأبو العارية الفزاري . فأما أبو العادية فطعنه ، وأما ابن جون
فاحتز رأسه .

(٢) وفي بعض النسخ : وبغت قريش بعمار .

(٣) مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٣٩١ .

وقال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « تقتل
عماراً الفئة الباغية » فما زال يقاتل حتى قُتل .

وعن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال : رأيت عماراً يوم
صفين ، شيخاً آدم طوالاً أخذاً الحربة بيده ، ويده ترعد ، وهو يقول :

والذي نفسي بيده ، لقد قاتلت بهذه الحربة مع رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث مرات ، وهذه الرابعة . والذي
نفسى بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعات هجر لعرفتُ أنا على حق
وأنتهم على باطل ، ثم جعل يقول :

صبراً صبراً عباد الله . . . الجنة تحت ظلال السيوف^(١) .

وفي وسائل الشيعة للحر العاملي ؛ : عمار بن ياسر أبو اليقظان من
أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) .
وأنه لمن الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه من
شرطة الخميس وأنه من أهل الجنة . . . إلخ .

وفي حاشية الوسائل عن حمران بن أعين ، عن أبي جعفر
(عليه السلام) ، قال : قلت ما تقول في عمار ؟ . .

قال : رحم الله عماراً - ثلاثاً - قاتل مع أمير المؤمنين . . . وقتل
شهيداً .

قال : قلت في نفسي : ما تكون منزلة أعظم من هذه
المنزلة . . . !

قالتفت إلي فقال : لعلك تقول : مثل الثلاثة (يعني سلمان وأبا
ذر والمقداد) هيهات . . . هيهات ، قال : قلت : وما علمه أنه يقتل
في ذلك اليوم ؟

قال : إنه لما رأى الحرب لا يزداد إلا شدة ، والقتل لا يزداد إلا

(١) العقد الفريد : ج ٤ ص ٣٤١ .

كثرة ، ترك الصف وجاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال :
يا أمير المؤمنين هو هو ؟ (١) .

قال أمير المؤمنين : ارجع إلى صفك . . .

فقال له ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك يقول له : ارجع إلى صفك
فلما كان في الثالثة قال له : نعم .

فرجع إلى صفه وهو يقول : اليوم ألقى الأحبة محمداً (صلى الله
عليه وآله وسلم) وحزبه .

وعن أحمد بن حماد المروزي قال : عمار بن ياسر الذي قال فيه
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ألقته قريش في النار : « يا
نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم . . »
فلم يصبه منها مكروه . وقتلت قريش أبويه ورسول الله (صلى الله عليه
وآله وسلم) يقول : « صبراً آل ياسر موعدكم الجنة . . . » ما تريدون
من عمار ! عمار مع الحق . . . والحق مع عمار حيث كان . عمار جلدة
بين عيني وأنفي . . . تقتله الفئة الباغية . . .

وفي حاشية الوسائل عن الكشي بعد سلسلة من الأسناد عن
الأشتر أنه قال : كان بين عمار بن ياسر ، وخالد بن الوليد كلام ،
فشكى خالد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . فقال
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إنه من يعادي عماراً يعاديه
الله . . . ومن يبغض عماراً يبغضه الله . . . ومن سبه سبه الله » (٢) .

وفي العقد الفريد إنه لما قتل عمار بصفين ، وروى عبد الله بن
عمرو بن العاص وغيره حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) المراد بقوله : هو هو : هو اليوم الذي وعده فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
والله العالم .

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

وسلم) «تقتلك الفئة الباغية» قال معاوية بن أبي سفيان : هم قتلوه لأنهم أخرجوه إلى القتل .

فلما بلغ ذلك علياً (عليه السلام) قال : «ونحن قتلنا أيضاً حمزة بن عبد المطلب لأننا أخرجناه»^(١) .

أقول : من المعلوم المتفق عليه أن حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه كان بصحبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد حينما قتله وحشي غيلة بتحريض من هند أم معاوية التي أكلت من كبدة حمزة حقداً ولؤماً .

وعلى افتراء معاوية وأضاليه يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي قتل حمزة وغيره من الصحابة لأنه صلوات الله عليه وآله أخرجهم لحرب المشركين . . .

وكلام معاوية عن عمار - بأن الذين أخرجوه قتلوه . . . هراء وتضليل لا يقبله عاقل ، ولا يصدقه كل ذي بصيرة ودين .

لكن لما قتل عمار رضي الله عنه وحديث النبي لعمار «تقتلك الفئة الباغية» ما زال في الأذهان . . . اضطرب أهل الشام أصحاب معاوية الذين قتلوه . . .

عند ذلك خاف معاوية الانقلاب عليه فاستعان بحليفه عمرو بن العاص حتى لا يفلت الأمر من يده وينحاز الناس إلى علي بن أبي طالب فخرج بهذه المكيدة المفضوحة . . . قتله الذين أخرجوه .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم : أنه دخل زيد بن أرقم على معاوية ، فإذا عمرو بن العاص جالس على السرير . فلما رأى ذلك زيد ، جاء حتى رمى بنفسه بينهما ، فقال عمرو بن العاص : أما وجدت لك مجلساً إلا أن تقطع بيني وبين الأمير؟!

(١) العقد الفريد : ج ٤ ص ٣٤٣ .

فقال زيد : إن رسول الله غزا غزوة وأنتما معه فرآكما مجتمعين ، فنظر إليكما نظراً شديداً . ثم رآكما اليوم الثاني ، واليوم لثالث ، كل ذلك يديم النظر إليكما ، فقال في اليوم الثالث : « إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ، ففرقوا بينهما لأنها لن يجتمعا على خير . . . » (١) .

قال ابن كثير في البداية والنهاية ، بعدما روى مقتل عمار بن ياسر مفصلاً :

وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قتله أهل الشام . . . وبأن وظهر بذلك سرُّ ما أخبر به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أنه : تقتله الفئة الباغية .
وبأن ذلك أن علياً محق . . وأن معاوية باغ . . وما في ذلك من دلائل النبوة . . الخ .

وفي البداية والنهاية أيضاً : بعد سلسلة من الأسناد عن زيد بن وهب الجهني : أن عماراً قال يومئذ :

من يتبغي رضوان ربه . . ولا يلوي إلى مال ولا ولد . . ؟

قال الجهني : فاتته عصابة من الناس . . .

فقال عمار : أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم ، الذين يبتغون دم عثمان ، ويزعمون أنه قتل مظلوماً . .

والله ما قصدهم الأخذ بدمه . . ولا الأخذ بشأره . . ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحلوها - أي وجدوها حلوة - واستمروا الآخرة - أي وجدوها مرة - فقلوها . . وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم وشهواتهم ، وملذاتهم . . .

ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها طاعة الناس

(١) وقعة صفين : ص ١٥٨ .

لهم .. ولا الولاية عليهم .. ولا تمكنت من قلوبهم خشية الله التي تمنع
من تمكنت من قلبه عن نيل الشهوات ، وتعقله عن إرادة الدنيا ،
وطلب العلوف فيها ، وتحمله على اتباع الحق والميل إلى أهله ..

فخذعوا أتباعهم بقولهم : إمامنا قُتل مظلوماً ، ليكونوا بذلك
جبابرة وملوكاً ، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون ، ولولا ذلك ما تبعهم
من الناس رجالان ... ولكانوا أذل ... وأخس ... وأقل ...

ولكن قول الباطل له حلاوة في أسياع الغافلين ... فسيروا إلى
الله سيراً جميلاً ... واذكروا الله ذكراً كثيراً ...

ثم تقدم فلقية عمرو بن العاص ، وعبيد الله بن عمر ،
فلامهما ... وأنبيها ... ووعظهما ... وذكروا له من كلامه لهما ما فيه
غلظة (١) .

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٧ ص ٢٦٦ ط دار الفكر بيروت .

مقتل هاشم المرقال وابنا حذيفة

في مروج الذهب للمسعودي : أنه لما صرع عمار بن ياسر (رض) - تقدم سعيد بن الهمداني في همدان وتقدم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في الأنصار وربيعه ، وعدي بن حاتم في طيء ، وسعيد بن قيس الهمداني في أول الناس ، فخلطوا الجمع بالجمع واشتد القتال وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم إلى معاوية .

وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان .

وأمر علي (عليه السلام) الأشر أن يتقدم باللواء إلى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين ، فأكثر القتل في أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء .

وأبلى المرقال يومئذ بمن معه^(١) فلا يقوم له شيء ، وجعل يرقل كما يرقل الفحل في قيده . . .

ثم صمد هاشم بن عتبة المرقال لذي الكلاع وهو في حمير ، فحمل عليه صاحب لواء ذي الكلاع ، وكان رجلاً من عذره .

(١) في بعض النسخ : وأبلى المرقال يومئذ بمن معه .

فاختلفا طعنتين ، فطعنه هاشم المرقال فقتله ، وقتل بعده تسعة عشر رجلاً . . .

وحمل هاشم المرقال^(١) وحمل ذوالكلاع ، ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن لا يرجعوا ، أو يفتحوا ، أو يقتلوا . . .
فاجتلد الناس ، فقتل هاشم المرقال ، وقتل ذوالكلاع جميعاً . . .

فتناول ابن المرقال اللواء حين قُتل أبوه في وسط المعركة ، وكر في العجاج وهو يقول :

يا هاشم بن عتبة بن مالك اعزز بشيخ من قريش هالك
تخبطه الخيلات بالسنايك أبشر بحور العين في الأرائك
والروح والريحان عند ذلك

ووقف علي (عليه السلام) عند مصرع المرقال ومن صرع حوله من الأسلميين وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم ، قال من أبيات :
جزى الله خيراً عصبية أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
واستشهد في ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة بن اليمان^(٢)
وقد كان حذيفة عليلاً بالكوفة في سنة ٣٦ للهجرة ، فبلغه قتل عثمان بن عفان ، وبيعة الناس لعلي بن أبي طالب ، فقال : اخرجوني وادعوا الصلاة جامعة . . . ففعلوا . . .

فوضع حذيفة على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ثم قال :

أيها الناس . . إن الناس قد بايعوا علياً فعليكم بتقوى الله وانصروا علياً وواذروه فوالله إنه لعلی الحق أولاً وآخراً . . . وإنه لخير

(١) تقدمت ترجمة هاشم بن عتبة الملقب بالمرقال في موضع سابق من هذا الكتاب .
(٢) حذيفة بن اليمان وهو من الأكابر من أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) تقدمت ترجمته .

من مضى بعد نبيكم ، ومن بقي إلى يوم القيامة .

ثم أطبق - حذيفة - يمينه على يساره ، ثم قال :

أللهم اشهد . . . إني قد بايعت علياً . .

وقال أيضاً : الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم .

وقال لإبنه صفوان وسعد : احملاني ، وكونا معه ، - مع علي بن أبي طالب - فستكون له حروب كثيرة ، فيهلك فيها خلق من الناس ، فاجتهدا^(١) أن تستشهدا معه ، فإنه والله على الحق ، ومن خالفه على الباطل .

ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام ، وقيل : بأربعين يوماً .

واستشهد صفوان وأخوه سعد ابنا حذيفة - في اليوم الذي قتل فيه هاشم بن عتبة المرقال - .

واستشهد في ذلك اليوم عبد الله بن الحارث النخعي أخو الأشر ، واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن ورقاء الخزاعي في خلق من خزاعة^(٢) .

وفي مروج الذهب أيضاً : لما رأى معاوية القتل في أهل الشام ، وكلب أهل العراق عليهم ، استدعى بالنعمان ابن جبلة التنوخي . . . وكان صاحب راية قومه في تنوخ وبهراء . . .

وقال له : لقد هممت أن أولي قومك من هو خير منك مقدما ، وانصح ديناً . . . » .

فقال له النعمان : إنا لو كنا ندعو قومنا إلى جيش مجموع ، لكان في كسع الرجال بعض الأناة ، فكيف ونحن ندعوهم إلى سيوف قاطعة ،

(١) وفي بعض النسخ فاجهدا .

(٢) مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٣٩٤ - ٣٩٤ .

وردينية شاجرة ، وقوماً ذوي بصائر نافذة . . .

والله لقد نصحتك على نفسي يا معاوية ، وآثرت ملكك على ديني ،
وتركت لهواك الرشيد وأنا أعرفه . . وحدث عن الحق وأنا أبصره . . .
وما وفقت لرشد حين أقاتل على ملكك ابن عم رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم) ، وأول مؤمن به ومهاجر معه ، ولو أعطيناه ما
أعطيناك ، لكان أرفأ بالرعية ، وأجزل في العطية .

ولكن قد بذلنا لك الأمر ، ولا بد من اتمامه . . . كان غياً . . .
أورشداً . . . وحاشا أن يكون رشداً . . وسنقاتل عن تين الغوطة
وزيتونها . . . إذ حرمتنا أثمار الجنة وأنهارها . . . الخ .

أقول : هكذا كان أتباع معاوية ، فريق أخذته حمية الجاهلية
فدافع عن تين الغوطة وزيتونها مع علمه أنه على ضلال . وفريق غرته
الدنيا فباع دينه والتحق بمعاوية . وفريق له غرض في حرب علي (ع)
وعداوته .

مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب

في الإمامة والسياسة لابن قتيبة : أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب قدم على معاوية الشام ، فسر به معاوية سروراً شديداً ، وسر به أهل الشام . وكان أشد قريش سروراً به عمرو بن العاص . . . فقال معاوية لعمرو : ما منع عبد الله بن عمر أن يكون كأخيه عبيد الله ؟!

فضحك عمرو وقال : شبهت غير شبيهه ! إنما أذاك عبيد الله مخافة أن يقتله علي بن أبي طالب بقتله الهرمزان^(١) .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم عن الجرجاني ، أنه قال : لما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بن أبي سفيان بالشام . أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص فقال :

يا عمرو إن الله قد أحى عمر بن الخطاب بالشام ، بقدم عبيد الله بن عمر ، وقد رأيت أن أقيمه خطيباً فيشهد على علي بن أبي طالب بقتل عثمان . . وينال منه . . .

فقال عمرو : الرأي ما رأيت . . .

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ١ ص ١٠٣ .

فبعث إليه ، فأتى ، فقال له معاوية : يا ابن أخي . . . إن لك اسم أبيك . . . فانظر بجليء عينك ، وتكلم بكل فيك ، فأنت المأمون المصدق . . . فاشتتم علياً ، واشهد عليه أنه قتل عثمان .

فقال عبيد الله : يا أمير . . . أما شتميه . . . فإنه علي بن أبي طالب ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، فما عسى أن أقول في حسبه !!

وأما بأسه . . . فهو الشجاع المطرق . . . وأما أيامه فما قد عرفت ! . . .

ولكني ملزمه بدم عثمان . . .

فقال عمرو : إذاً والله قد نكأت القرحة . .

فلما خرج عبيد الله ، قال معاوية لعمرو : أما والله لولا قتله الهرمزان ، ومخافة علي على نفسه ما أتانا أبداً . . . ألم تر إلى تقريظه علياً ؟!

فقال عمرو : يا معاوية إن لم تغلب فاخلب^(١) .

والتحق عبيد الله بن عمر بجيش معاوية وكان من القادة المبرزين وذهب معه إلى صفين لمحاربة علي بن أبي طالب .

وفي مروج الذهب للمسعودي : كان عبيد الله بن عمر إذا خرج إلى القتال قام إليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ، ما خلا الشيبانية بنت هانيء بن قبيصة .

فخرج عبيد الله في اليوم الذي قتل فيه ، وأقبل على زوجته الشيبانية ، وقال لها : إني قد عبأت اليوم لقومك ، وإيم الله إني لأرجو أن أربط بكل طناب من أطناب فسطاطي سيذاً منهم . .

(١) فاخلب : أي اخذعه بلطف الكلام : وخلب الفتى خلباً فتنة . المنجد في اللغة .

فقلت له - زوجته الشيبانية - : ما أبغض إلا أن تقاتلهم . . .

قال لها - عبيد الله - : ولم ١٩

قالت : لأنه لم يتوجه إليهم صنديد في جاهلية ولا إسلام وفي رأسه صعر إلا أبادوه . وأخاف أن يقتلوك . . . وكأني بك قتيلاً ، وقد أتيتهم أسألم أن يهبوا لي جيفتك . . .

فرماها بقوس فشجها وقال لها : ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك . . . ثم توجه نحو المعركة ، فحمل عليه حريث بن جابر الجعفي فطعنه ، فقتله وقيل : إن الأشر النخعي هو الذي قتله^(١) الخ .

وكلم نساؤه معاوية في جيفته ، فأمر أن تأتين ربيعة فتبذلن في جيفته عشرة آلاف . . . ففعلن ذلك .

فاستأمرت ربيعة علياً ، فقال لهم علي (عليه السلام) : إنما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ، ولكن قد أحببتهم إلى ذلك^(٢) فاجعلوا جيفته لبنت هانيء بن قبيصة الشيباني زوجته .

فقالوا لنسوة عبيد الله : إن شئت شددناه إلى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل إلى عسكر معاوية .

فصرخن وقلن : هذا أشد علينا ، واخبرن معاوية بذلك .

(١) وقيل : إن علياً (عليه السلام) ضربه ضربة فقطع له ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه ، وإن علياً قال حين هرب - عندما قتل الهرمزان - فطلبه ليقيد منه بالهرمزان لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره . وفي تاريخ اليعقوبي : إن عمر بن الخطاب أوصى أن يقاد ابنه عبيد الله بالهرمزان . وإن عثمان بن عفان أراد ذلك . وقد كان قيل أن يلي الأمر أشد من خلق الله على عبيد الله حتى جرب شعره ، وقال : يا عدو الله ، قتلت رجلاً مسلماً ، وصبية ، وطفلة ، وامرأة لا ذنب لها قتلتني الله إن لم أقتلك ، فلما ولي عثمان رد عبيد الله إلى عمرو بن العاص .

(٢) في بعض النسخ : ولكن إذا أحببتهم فاجعلوا جيفة . الخ .

فقال لمن معاوية : إئتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم في جيفته ،
ففعّلن وأتت القوم ، وقالت : أنا بنت هانيء بن قبيصة ، وهذا زوجي
القاطع الظالم ، وقد حذرت ما صار إليه . . . فهبوا إلي جيفته . . .
ففعّلوا . . . والقت إليهم بمطرف خز فادرجوه فيه ودفعوه إليها .
فمضت به ، وكان قد شد في رجله إلى طنب فسطاط من
فساطيطهم^(١) .

(١) مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٣٩٦ .

قصة عمرو بن العاص في مبارزته لأمير المؤمنين علي

في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي : إنه كان علي بن أبي طالب يخرج كل غداة لصفين في سرعان الخيل - أوائلها - فيقف بين الصفين ثم ينادي :

يا معاوية ... علّام يقتتل الناس ؟ أبرز إلي ... وبرز إليك ... فيكون الأمر لمن غلب .

فقال عمرو بن العاص لمعاوية : أنصفك الرجل .

فقال له معاوية : أردتها يا عمرو ! - أي أردت الخلافة - .

ثم قال له : والله لا رضيت عنك يا عمرو حتى تبارز علياً .

فبرز عمر إلى علي متنكراً ... فلما غشيه علي (عليه السلام) بالسيف ... رمى عمرو بنفسه إلى الأرض ، وأبدى له سوأته ، فضرب علي وجه فرسه وانصرف عنه^(١) .

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة أن عمرو بن العاص قال لمعاوية : أتجن عن علي .. وتتهمني في نصيحتي إليك ؟ والله لأبارزن علياً ولو مت ألف موته في أول لقائه .

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي : ج ٤ ص ٣٣٩ .

فبارزه عمرو . . . فطعنه علي فصرعه . . . فأتقاه بعورته . . .

فانصرف عنه علي وولى بوجهه دونه .

وكان علي رضي الله عنه لم ينظر قط إلى عورة أحد ، حياءً وتكرماً . . . وتنزهاً عما لا يحل . . . ولا يجمل بمثله ، كرم الله وجهه^(١) .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : أما خبر عمرو في صفين ، واثقائه حملة علي (عليه السلام) ، بطرحه نفسه على الأرض وإبداء سوائته . . . فقد ذكره كل من صنف في السير كتاباً ، وخصوصاً الكتب الموضوعة لصفين .

كان عمرو بن العاص عدواً للحارث بن نصر الخثعمي . . . وكان الخثعمي من أصحاب علي (عليه السلام) وكان علي (عليه السلام) قد تهيئته فرسان الشام ، وملأ قلوبهم بشجاعته ، وامتنع كل منهم من الإقدام عليه .

وكان عمرو بن العاص قلماً جلس مجلساً إلا ذكر فيه الحارث بن نصر الخثعمي وعابه ، فقال الحارث أبياتاً منها :

ليس عمرو بتارك ذكره الحارث بالسوء أو يلاقي عليا
ليت عمراً يلقاه في حومة النقة مع وقد أمست السيوف عصيا
فألقه إن أردت مكرمة الدهر سر أو الموت كل ذاك عليا
فشاعت هذه الأبيات حتى بلغت عمراً ، فأقسم بالله ليلقين علياً ، ولو مات ألف موة .

فلما اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمح . فتقدم علي (عليه السلام) وهو مختلط سيفاً ، معتقل رمحاً ، فلما رهقه همز فرسه ليعلو عليه . . .

فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغراً برجليه . . . كاشفاً عورته .

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ١ ص ١٠٧ .

فانصرف علي عنه لافتاً وجهه مستدبراً له ، فعد الناس ذلك من مكارمه وسؤدده ، وضرب بها المثل .

وفي شرح نهج البلاغة عن محمد بن إسحاق ، قال : اجتمع عند معاوية في بعض ليالي صفين ، عمرو بن العاص ، وعتبة بن أبي سفيان ، والوليد بن عقبة ، ومروان بن الحكم ، وعبد الله بن عامر ، وابن طلحة الطلحات الخزاعي .

فقال عتبة : إن أمرنا وأمر علي بن أبي طالب لعجب . . . ما فينا إلا موتور محتاح .

أما أنا . . فقتل علي جدي عتبة بن ربيعة ، وأخي حنظلة ، وشرك في دم عمي شيبه يوم بدر .

وأما أنت يا وليد . . . فقتل علي أباك صبراً . . .

وأما أنت يا بن عامر . . . فصرع علي أباك ، وسلب عمك . . .

وأما أنت يا بن طلحة . . . فقتل علي أباك يوم الجمل ، وأيتم أخوتك . . .

وأما أنت يا مروان فكما قال الشاعر :

وافلتهن علباء جريضاً ولو أدركنه صفر الوطاب^(١)
فقال معاوية : هذا الإقرار . . . فأين الغير . . . ؟^(٢) .

قال مروان : وأي غير تريد ؟

قال معاوية : أريد أن تشجروه بالرماح . .

قال مروان : والله يا معاوية ما أراك إلا هاذياً . . . أو هازئاً . . .
وما أرانا إلا نقتلنا عليك !

(١) أبيات لامرئ القيس : وعلباء : قاتل والد امرئ القيس ، والجريض : الذي يؤخذ بريقه . وصفر وطابة : كناية عن القتل .

(٢) الغير : جمع غيور : والغيرة المحبة . وهنا معاوية يحرض قومه على قتال علي واترهم .

فقال ابن عقبة : أبياتاً منها :

يقول لنا معاوية بن حرب أما فيكم لو اترككم طلبوب
يشد على أبي حسن علي باسمر لا تهجنه الكعوب
فقلت له أتلعب يا بن هند كأنك بيننا رجل غريب
أتغرينا بحية بطن واد إذا نهشت فليس لها طبيب
إلى أن يقول :

سوى عمرو وقته خصيتهاه وكان لقلبه منه وجيب
فغضب عمرو ، وقال : إن كان الوليد صادقاً فليلق علياً ، أو
فليقف حيث يسمع صوته . . . وقال عمرو مجيئاً للوليد بن عقبة في ذلك
أبياتاً منها :

وعيرني الوليد لقاء ليث إذا ما شد هابته الأسود^(١)
فرمها منه يا بن أبي معيط وأنت الفارس البطل النجيد!
واقسم لو سمعت ندا علي لطار القلب وانتفخ الوريد
ولولا قيته شقت جيوب عليك ، ولطمت فيك الخدود
وفي شرح النهج أيضاً : عن الواقدي : أنه قال : قال معاوية يوماً
بعد استقرار الملك له لعمر بن العاص : يا أبا عبد الله ، لا أراك إلا
وغلبي - ويغلبي الضحك . . .

قال عمرو : بماذا ؟

قال معاوية : أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين . . .
فأزريت نفسك فرقاً من شباسنانه ، وكشفت سوأتك له . . .

فقال عمرو : أنا أشد منك ضحكاً . . . إني لأذكر يوم دعاك إلى
البراز ، فانتفخ سحرك^(٢) وربما لسانك في فمك ، وغصصت بريقك ،
وارتعدت فرائصك ، وبدا منك ما أكره ذكره لك . . .

(١) وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم : إذا ما زار هابته الأسود .

(٢) يقال : انتفخ سحره : أي جبن كأن الخوف ملأ جوفه فانتفخ سحره . المنجد في
اللغة .

فقال معاوية : لم يكن هذا كله . . . وكيف يكون ودوني عك
والإشعريون !

قال عمرو : إنك لتعلم إن الذي وصفت دون ما أصابك . . .
وقد نزل ذلك بك ، ودونك عك والأشعريون . . . فكيف كانت حالك
لو جمعكما مآقط^(١) الحرب ؟!

فقال معاوية : يا أبا عبد الله ، خض بنا الهزل إلى الجدد . . . إن
الجبين والفرار من علي لا عار على أحد فيهما^(٢) .
وفي تاريخ اليعقوبي إنه لما حضرت عمرو بن العاص الوفاء ، قال
لابنه :

لو د أبوك إنه كان مات في غزاة ذات السلاسل ، إني قد دخلت في
أمور لا أدري ما حجتي عند الله فيها . . .

ثم نظر إلى ماله ، فرأى كثرته ، فقال : يا ليتني كان بعراً . . . يا
ليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة . . . أصلحت لمعاوية دنياه ،
وأفست ديني . . . أثرت دنياي . . . وتركت آخرتي . . . عمي علي
رشدي حتى حضرني أجلي . كأي بمعاوية قد حوى مالي ، وأساء فيكم
خلافتي . . .

وتوفي عمرو ليلة الفطر سنة ٤٣ وله من العمر ثمان وتسعون
سنة .

وولي عمرو بن العاص مصر عشر سنين ، منها لعمر بن الخطاب
أربع سنين ، ولعثمان بن عفان أربع سنين إلا شهرين ، ولعوية بن أبي
سفيان سنتين وثلاثة أشهر^(٣) .

(١) المآقط : موضع القتال .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٥ ص ٣١٤ - ٣١٧ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ٢١١ .

أقول : وهكذا كانت نهاية عمرو بن العاص بالندم والحسرات على ما فاتته من سلوك طريق الهداية والرشاد . . . حيث اتبع هواه ، وباع دينه بدينه . ولم ينتبه أو ينعوي إلا حين أدركته الوفاة . . . وحين لا ينفع الندم . . . وهذه صفات ضعف الإيمان متزلزلي العقيدة الذين اتخذوا من الإسلام سلماً لنيل مآربهم وشهواتهم .

وعرض لبسر بن أرطاة ما عرض لعمرو بن العاص من كشف سوائه واتقاء سيف علي بعورته .

في الاستيعاب لابن عبد البر عن الدارقطني : كان بسر بن أرطاة من الأبطال الطغاة ، وكان مع معاوية بن أبي سفيان بصفين ، فأمره معاوية أن يلقي علياً في القتال ، وقال له سمعتك تتمنى لقاءه . . . فلو أظفرك الله به ، وصرعته ، حصلت على دنيا وآخرة . ولم يزل به يشجعه ، ويمنيه حتى رأى بسر علياً (عليه السلام) فقصده في الحرب .

والتقيا فصرعه علي في الحال وعرض له معه مثل ما عرض فيما ذكروا لعلي مع عمرو بن العاص . وذكر ابن الكلبي في كتابه في أخبار معين . إن بسر ابن أرطاة بارز علياً يوم صفين فطعنه علي رضي الله عنه فصرعه فانكشف له - أي كشف بسر عن سوائه - فكف عنه علي ، وقيل في ذلك أشعار .

وذكر ابن الكلبي والمدائني قول الحرث بن نصر السهمي أبياتاً

منها :

وفي كل يوم فارس ليس ينتهي	وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه علي سنانه	ويضحك منها في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو ففنع رأسه	وعورة بسر مثلها حذو حاذية
فقلوا لعمرو ثم بسر ألا انظرا	سبيلكم لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما	هما كانتا والله للنفس واقية ^(٢)

(١) الاستيعاب لابن عبد البر : حاشية الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ج ١ ص ١٦٠ - ١٦٢ .

ليلة الهرير

في كتاب صفين لنصر بن مزاحم : غلس علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالناس صلاة الغداة ، يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين - وقيل : عاشر صفر ، ثم زحف على أهل الشام بعسكر العراق ، والناس على راياتهم ، وزحف إليهم أهل الشام وكانت الحرب كلت الفريقين ، ولكنها في أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعا . فقد ملوا الحرب ، وكرهوا القتال وتضعضت أركانهم .

ولما زحف الناس بعضهم إلى بعض ، فارتقوا بالنبل حتى فنيتم ، ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت واندقت . ثم مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيف ، وعمد الحديد ، فلم يسمع السامع إلا وقع الحديد بعضه على بعض . فوالله لهو أشد هولاً في صدور الرجال من الصواعق .

وكان الأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة ، فيأمر كل قبيلة أو كتيبة من القراء بالإقدام على التي تليها . . . فاجتلدوا في السيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل .

وافترقوا على سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة وهي ليلة الهرير . ثم استمر القتال من نصف الليل الثاني إلى ارتفاع

الضحى ، والأشتر يقول لأصحابه : ازحفوا قيد رحى هذا ، وإذا فعلوا قال : ازحفوا قاب هذا القوس ، حتى أكثر الناس الإقدام فلما رأى ذلك دعا بفرسه وركّز رايته ، وخرج يسير في الكتائب ويقول : ألا من يشري نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق بالله . . فلا يزال الرجل من الناس يخرج إليه ويقاتل معه .

ثم قام الأشتر في أصحابه فقال : شدوا فداً لكم عمي وخالي ، شدة ترضون بها الله . . . وتعزّون بها الدين . ثم شدّ على القوم وشدّ معه أصحابه وقاتلوا قتالاً شديداً . فقتل صاحب رايته . . . وأخذ علي (عليه السلام) لما رأى الظفر قد جاء من قبله يده بالرجال .

ثم إن علياً (عليه السلام) قام خطيباً : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيها الناس قد بلغ بكم الأمر وبعدوكم ما قدر رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها . . . وقد صبر لكم القوم على غير دين ، حتى بلغنا منهم ما بلغنا . وأنا غاد عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله عز وجل » .

وعن نعيم الأنصاري قال : والله لكأنني أسمع علياً يوم التحرير حين سار أهل الشام وذلك بعدما طحنت رحى مذحج فيما بيننا وبين عك ، ولحم ، وجذام والأشعريين ، بأمر عظيم ، تشيب منه النواصي . من حين استقبلت الشمس حتى قام قائم الظهيرة .

ثم إن علياً قال : حتى متى نخلي بين هذين الحيين ! قد فنيا وأنتم وقوف تنظرون إليهم . . أما تخافون مقت الله !

ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله ثم نادى : « يا الله . . . يا رحمن . . . يا واحد يا صمد . . . يا إله محمد . . . اللهم إليك نقلت الأقدام ، وأفضت القلوب ، ورفع الأيدي ، وامتدت الأعناق ، وشخصت الأبصار ، وطلبت الحوائج . . . إنا نشكو إليك غيبة نبينا (ص) وكثرة عدونا ، وتشتت أهوائنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا .

بالحق وأنت خير الفاتحين . . . سيروا على بركة الله . . . » .

ثم نادى علي (عليه السلام) : « لا إله إلا الله والله أكبر . . . كلمة التقوى » .

ثم قال غير الأنصاري : لا والله الذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحق نبياً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السموات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب . إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب ، يخرج بسيفه منحنيماً فيقول : « معذرة إلى الله عز وجل وإليكم من هذا . . . لقد هممت أن أفلقه ، ولكن حجزني عنه إني سمعت رسول الله يقول كثيراً . . . لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي وأنا أقاتل به دونه .

قال الأنصاري : فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من أيدينا ، فيقتحم به في عرض الصف ، فلا والله ما ليث بأشد نكاية في عدوه منه .

وفي حديث عمرو بن شمر بإسناده ، قال : لما إن كان اليوم الأعظم ، قال أصحاب معاوية : والله ما نحن لنبرح اليوم العرصة حتى يفتح الله لنا أو نموت . . .

وقال أصحاب علي (عليه السلام) : والله ما نحن بتاركي العرصة اليوم إن شاء الله حتى يفتح لنا أو نموت .

فباكروا القتال غداً يوماً من أيام الشعرى طويلاً شديد الحر ، فتراموا حتى فنيتم النبل ، ثم تتطاعنوا حتى تقصفت رماحهم ، ثم نزل القوم عن خيولهم فمشى بعضهم إلى بعض بالسيوف ، حتى كسرت جفونها . . . وقامت الفرسان في الركب . . . ثم اضطربوا بالسيوف ، وبعمد الحديد ، فلم يسمع السامع إلا تغمغم القوم ، وصليل الحديد في الهام . . . وتكادم الأفواه . . .

وكسفت الشمس . . . وثار القتام^(١) . . . وضلت الألوية في
الرايات . . .

وأقبل الأشر على فرسه وهو يقول : اصبروا يا معشر المؤمنين ،
فقد حمي الوطيس ، ورجعت الشمس من الكسوف ، واشتد القتال ،
وأخذت السباع بعضها بعضاً .

فبلغ ذلك معاوية ، فدعا عمرو بن العاص وقال له : إنما هي
الليلة حتى يغدو علي علينا بالفيصل . . . فما ترى ؟!

قال عمرو : أرى أن رجالك لا يقومون لرجاله . . . ولست مثله
وهو يقاتلك على أمر ، وأنت تقاتله على غيره . . . أنت تريد
البقاء . . . وهو يريد الفناء . . . وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت
بهم . . . وأهل الشام لا يخافون عليك إن ظفر بهم^(٢) .

ولكن . . . الق إليهم امراً إن قبلوه اختلفوا . . . وإن ردوه
اختلفوا . . . ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم ، فإنك بالغ
به حاجتك في القوم . فإني لم أزل أؤخر هذا الأمر لحاجتك إليه . . .
فعرف ذلك معاوية فقال : صدقت . . .^(٣)

(١) ثار القتام : ارتفع الغبار ضارباً إلى السواد . المنجد في اللغة .
(٢) إن أهل العراق يعرفون غدر معاوية وظلمة وفتكه في سبيل نيل مآربه ولذلك فهم
يخافونه إن ظفر بهم ، وأما أهل الشام لا يخافون عليك لعلمهم بما هو عليه من العدل
والصفح والحلم ، والعفو عند المقدرة إن ظفر بهم . وهم ليسوا ببعيدين عن يوم
الجميل حينما عفا علي (عليه السلام) عن أعدائه وصفح عن كل من ألقى سلاحه
وأغلق عليه بابه .

(٣) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٣٤٧ - ٣٥٠ .

خدعة رفع المصاحف

روى الطبري في تاريخه عن أبي مخنف : إنه لما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد ، وخاف في ذلك الهلاك ، قال للمعاوية :

هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا اجتماعاً ، ولا يزيدهم إلاّ فرقة ؟

قال معاوية : نعم . . .

قال عمرو : ترفع المصاحف ثم نقول : ما فيها حكم بيننا وبينكم ، فإن أبي بعضهم أن يقبلها ، وجدت فيهم من يقول : بلى ، ينبغي أن نقبل ، فتكون فرقة تقع بينهم . . . !

وإن قالوا : بلى . . . نقبل ما فيها ، رفعنا هذا القتال عنا ، وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين . . . (١) .

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة : إن أهل العسكرين باتوا بشدة من الألم ، ونادى علي أصحابه فأصبحوا على راياتهم ومصافهم .

(١) تاريخ للطبري : ج ٥ ص ٤٨ .

فلما رأهم معاوية ، وقد برزوا للقتال - وقد أيقن بالهلاك - قال
لعمر بن العاص : يا عمرو . . . ألم تزعم أنك ما وقعت في أمر قط إلا
خرجت منه . . . ؟

قال معاوية : وما ذلك ؟

قال عمرو : تأمر بالمصاحف فترفع . . . ثم تدعوهم إلى ما فيها ،
فوالله لئن قبله لتفرقن عنه جماعته ، ولئن رده ليكفرنه أصحابه^(١) .

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير : إنه لما اشتد القتال ، ورأى
عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك ، قال
لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك ؟ وأشار عليه برفع المصاحف
وساق الحديث كما أسلفنا^(٢) .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم : عن جابر ، أنه قال :
سمعت تميم بن حذيم يقول : لما أصبحنا من ليلة الهرير ، نظرنا فإذا
أشباه الرايات أمام صف أهل الشام ، وسط الفيلق من حيال موقف
معاوية .

فلما أسفرنا فإذا هي المصاحف قد رُبِطت على أطراف الرماح ،
وهي عظام مصاحف العسكر . وقد شدوا ثلاثة رماح جميعاً ، وقد
ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم بمسكه عشرة رهط واستقبلوا علماً
بمائة مصحف ، ووضعوا في كل مجنبه مائتي مصحف وكان جميعها
خمسائة . . الخ .

ونادى أهل الشام : يا أهل العراق من لذرارينا إن قتلتمونا ،
ومن لذراريكم ، إن قتلناكم ، الله الله في البقية . .

وأصبح أهل الشام ، وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ١ ص ١١٥ .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٦٠ .

وقلدها الخيل والناس على الرايات وقد اشتهروا بما دعوا إليه . . .
ورفع مصحف دمشق الأعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح
ونادوا : يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم . . .

وأقبل أبو الأعور السلمي على برذون أبيض ، وقد وضع
المصحف على رأسه ، وينادي : يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم .

وأقبل عدي بن حاتم فقال : يا أمير المؤمنين إن كان أهل الباطل
لا يقومون بأهل الحق فإنه لم تصب عصابة منا وإلا وقد أصيب مثلها
منهم . وكل مقروح ، ولكننا أمثل بقية منهم . وقد جزع القوم وليس
بعد الجزع إلا ما تحب فناجز القوم . . .

فقام الأشتر النخعي فقال : يا أمير المؤمنين إن معاوية لا خلف له
من رجالك ولك بحمد الله الخلف ، ولو كان له مثل رجالك ، لم يكن
له مثل صبرك ، ولا بصرك . . . فاقرع الحديد بالحديد ، واستعن بالله
الحميد .

ثم قام عمرو بن الحمق^(١) فقال : يا أمير المؤمنين أنا والله ما
اخترناك ، ولا نصرناك عصبية على الباطل ، ولا أجبننا إلا الله عز

(١) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٢٧٨ . عمرو بن الحمق الخزاعي من
السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو من حواريه رواه الكشي ،
ونقله العلامة ، وروى له مدائح آخر - وفي الإصابة للعسقلاني ج ٢ ص ٥٣٣ ،
عمرو بن الحمق الخزاعي هاجر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمع منه في
فضل علي وشهد بذرأ . سكن الشام ثم سكن الكوفة ثم قام على عثمان مع أهلها ،
وشهد مع علي حروبه . وذكر ابن عبد البر في الإستيعاب - عمرو بن الحمق هاجر
إلى النبي وله صحبة وحفظ عنه أحاديث وسكن الشام ثم انتقل إلى الكوفة فسكنها
وروى عنه جبير بن نفير ، ورفاعة بن شداد وغيرهما . كان من شيعة علي رضي الله
عنه وشهد معه مشاهدته كلها . وأعان حجر بن عدي ثم هرب في زمن زياد إلى
الموصل فقتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وبعث برأسه إلى زياد فبعث به زياد إلى
معاوية وكان أول رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى بلد وكان مقتله سنة خمسين .
وستأتي ترجمة عمرو بن الحمق في باب لاحق من هذا الكتاب إن شاء الله .

وجل ، ولا طلبنا إلا الحق ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوت إليه لكان فيه
اللجاج ، وطالت فيه النجوى ، وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك
رأي^(١) .

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٥٤ .

اختلاف رأي أهل العراق بعد رفع المصاحف

انطلقت حيلة رفع المصاحف على أهل العراق ، وُخِذُوا بها ، وأصبح الكثير منهم كطير النعام أغمضوا عيونهم عن شراك الصياد ، واخفوا رؤوسهم في الرمال غير ملتفتين إلى ما سوف تجره عليهم هذه الحيلة من الوبال . . .

وقعت الفتنة التي أرادها معاوية وحليفه عمرو بن العاص أن تكون بين صفوف جيش أمير المؤمنين علي . . . فاختلف أهل العراق في الآراء وتشعبوا بعد أن كان النصر حليفهم . . . وبجانبهم قاب قوسين أو أدنى . .

صاح الناس وماجوا . . وارتفعت الأصوات بين المحبذين لإنهاء الحرب والركون للموادعة ، وبين من عرفوا أن رفع المصاحف ما هي إلا خدعة ومكيدة يراد منها إيقاع الفتنة بين صفوف جيش علي كما أسلفنا .

وحينما رأى علي (عليه السلام) أهل الشام رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح . . وراحوا يدعون إلى حكم القرآن قال : عباد الله ، اتقوا الله . . . أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله . . الخ كما ذكر ذلك جميع المؤرخين وأصحاب السير .

ففي تاريخ الطبري عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب

الأزدي عن أبيه إن علياً قال :

« عباد الله امضوا على ححكم ، وصدقكم ، وقتال عدوكم . فإن معاوية ، وعمرو بن العاص ، وابن أبي معيط ، وحبيب بن مسلمة ، وابن أبي سرح ، والضحاك بن قيس ، ليسوا بأصحاب دين ، ولا قرآن . أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالاً ، وصحبتهم رجالاً . . . فكانوا شر أطفال ، وشر رجال .

ويحكم إنهم ما رفعوها - أي المصاحف - ثم لا يرفعونها ، ولا يعلمون بما فيها ، وما رفعوها لكم إلا خديعة . . . ودهنا ومكيذة » .

فقالوا له : ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل ، فنأبى أن نقبله . . فقال لهم (عليه السلام) : إني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب ، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ، ونسوا عهده ، ونبذوا كتابه .

فقال له مسعر بن فدكي التميمي ، وزيد بن حصين الطائي ، ثم السنبي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارجاً بعد ذلك :

يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه وإلاّ ندفعك برمتك إلى القوم . . . أو نفعل كما فعلنا بآبن عفان . إنه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه . . . والله لتفعلنها ، أو لنفعلنها بك .

قال أمير المؤمنين علي : فاحفظوا عني إياكم ، واحفظوا مقالكم لي . أما أنا فإن تطيعوني ، فقاتلوا . . . وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم . . .

قالوا له أما لا . . . فابعث إلى الأشر فليأتك^(١) .

وفي كتاب صفين : إنه لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال علي (عليه السلام) : « عباد الله أنا أحق

(١) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ٣٤ .

من أجاب إلى كتاب الله ، ولكن معاوية ، وعمرو بن العاص ، وابن أبي معيط ، وحبيب بن مسلمة ، وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ، ولا قرآن إني أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالاً ، وصحبتهم رجالاً ، فكانوا شر أطفال وشر رجال . . . إنها كلمة حق يراد بها باطل .

إنهم والله ما رفعوها . . . إنهم يعرفونها ولا يعلمون بها . وما رفعوها لكم إلا خديعة ومكيدة .

أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة ، فقد بلغ الحق مقطعه ، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا .

فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد ، شاكي السلاح ، سيوفهم على عواتقهم ، وقد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكي ، وزيد بن حصين ، وعصابة من القراء ، الذين صاروا خوارج من بعد ، فنادوه باسمه لا بأمره المؤمنين .

يا علي أحب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه ، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان ، فوالله لنفعلنها إن لم تجبههم .

فقال لهم : ويحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله ، وأول من أجاب إليه ، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله . . . إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن ، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ، ونقضوا عهده ، ونبذوا كتابه .

ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم ، وأنهم ليسوا بالعمل بالقرآن يريدون

قالوا : فابعث إلى الأشتر ليأتينك . . . وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهزير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله . .

فأرسل علي (عليه السلام) يزيد بن هاني إلى الأشتر ليستدعيه . . .

فقال له الأشتر : أتبه . . . (١) فقل له : ليس هذه الساعة ينبغي لك أن تزيلي فيها عن موقعي . . . إني قد رجوت أن يفتح الله لي فلا تعجلني . . .

فرجع يزيد بن هانيء إلى علي (عليه السلام) فأخبره . . .

فقال له القوم : والله ما نراك إلا أمرته بالقتال . . .

قال (عليه السلام) : « رأيتوني ساررت رسولي !! أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون . . . » .

قالوا : فابعث إليه فليأتك وإلا . . فوالله اعتزلناك (٢) .

قال : ويحك يا يزيد قل له اقبل إلي ، فإن الفتنة قد وقعت .

فأتاه فأخبره ، فقال له الأشتر : الرفع هذه المصاحف ؟

قال : نعم .

قال الأشتر : أما والله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة ، إنما من مشورة ابن النابغة (٣) يعني عمرو بن العاص ، ثم قال ليزيد : ألا ترى إلى الفتح . . . ألا ترى إلى ما يلقون . . . ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا . . . أينبغي أن ندع هذا ونصرف عنه ؟

فقال له يزيد : أتحب أنك ظفرت ههنا ، وإن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه ويسلم إلى عدوه .

قال الأشتر سبحانه الله ، والله ما أحب ذلك .

قال يزيد : فإنهم قالوا : لترسلن إلى الأشتر فليأتك ، أو لنقتلنك كما قتلنا عثمان ، أو لنسلمنك إلى عدوك . .

(١) وفي رواية : إته .

(٢) وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير : وإلا دفعناك برمتك إلى القوم .

(٣) وفي تاريخ الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير : إنما مشورة ابن العاص - يعني عمرو بن العاص .

فأقبل الأشر حتى انتهى إليهم فصاح : يا أهل الذل والهوان . . . والوهن أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم ظاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها . . . !

وقد والله تركوا ما أمر الله فيها وسنة من أنزلت عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فلا تحييوهم . . . امهلوني فواقا . . . فإني قد أحسست بالفتح . .

قالوا : لا . .

قال : فامهلوني عدو الفرس ، فإني قد طمعت في النصر . . .

قالوا : إذا ندخل معك في خطيئتك .

قال الأشر : فحدثوني عنكم ، وقد قتل أمثالكم ، وبقي أراذلكم ، متى كنتم محقين ؟! حيث كنتم تقتلون أهل الشام . . . فأنتم الآن حين أمسكنم عن القتال . مبطلون ؟ أم الآن محقون ؟ . . . فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم في النار ؟!

قالوا : دعنا منك يا أشر . . . قاتلناهم في الله ، وندع قتالهم في الله ، أنا لسنا نطيعك فاجتنبنا .

قال الأشر : خدعتم والله فانخدعتم ، ودعوتهم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود ، كنا نظن أن صلاتكم زهادة إلى الدنيا وشوق إلى لقاء الله ، فلا أرى قراركم إلا إلى الدنيا^(١) من الموت .

ألا فقبحاً يا أشباه النيب الجلالة^(٢) . . . ما أنتم برائين بعدها

(١) هكذا وردت في الأصل : والأصح : فراركم إلى الدنيا .

(٢) النيب الجلالة : النيب النوق الهرمة المسنة . وإبل جلالة : تأكل العذرة وقد ينهي عن لحومها وألبانها . والجلالة البقرة التي تتبع النجاسات ونهى النبي (صلى الله عليه وآله) =

عزاً أبداً . . فابعدوا كما بعد القوم الظالمون .

فسبوه وسبهم . . . وضربوا بسياطهم وجهه دابته ، وضرب بسوطه وجوه دوابهم ، فصاح بهم علي أمير المؤمنين (عليه السلام) . . . فكفوا .

فقال الأشر : يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف ، يصرع القوم .

فقالوا له : إن علياً أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن ، ولم يسعه إلا ذلك . . .

قال الأشر : إن كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي بحكم القرآن ، فقد رضيت بما رضي به . . .

فأقبل الناس يقولون قد رضي أمير المؤمنين . . . قد قبل أمير المؤمنين . . . وهو (عليه السلام) ساكت لا يفيض بكلمة . . . مطرق إلى الأرض^(١) .

= (وسلم) عن أكل الجلالة وركوبها . وفي حديث آخر نهى عن لبن الجلالة . والجلالة من الحيوان : التي تأكل الجلة والعذرة . راجع المنجد في اللغة - ولسان العرب لابن منظور .

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

عرض وتحليل

أقول : من حق الإسلام أن ينتصر لأنه في مبادئه العالية ،
وشريعته العادلة التي هي أعظم دستور يفيد البشرية في كل زمان
ومكان .

أجل . . . من حق الإسلام أن ينتشر ويعم الكون بأجمعه . .
ومن حق معتنقيه أن يكونوا المثل السامي ، والنبراس الوضيء ، والنور
الساطع للبشرية جمعاء لأن الإسلام خير منقذ من الجهالة ، وحيرة
الضلالة ، وخير هادٍ يهدي إلى الحق والصواب .

هذا إذا تعقل الإنسان ، ونظر بعين الحقيقة والواقع ، وترك
العصبية الجاهلية ، وحقاقة أهل الأطماع .

وإذا وقفنا قليلاً في منعطف تاريخي ، وتأملنا عهداً مضى من
سنة ٣٦ - ٣٧ للهجرة نجد أن معاوية بن أبي سفيان الذي أظهر
الإسلام وأبطن غير ما أظهر من العصبية الجاهلية ، والعادات
القبلية ، وعمل مع عمرو بن العاص على الكيد للإسلام . كل ذلك
من أجل دنيا فانية . . . وليمكن من الإستيلاء على كرسي الخلافة
الإسلامية التي لولا عناية الله سبحانه وتعالى برسوله (صلى الله عليه وآله
وسلم) وتأنيده له وجهاد المهاجرين والأنصار الصالحين من المسلمين

وسيف علي (عليه السلام) لما قام للدين قائمة .

لكن الكثير من الناس أغواهم الشيطان وراحوا يحاولون محاربة الحق ولا يراعون أو يثوبون إلى رشدهم إلا بعد فوات الآوان عند نهاية العمر كما جرى لعمر بن العاص الذي بقي على عناده وضلاله حتى آخر أيامه إذ أخذ عند الإحتضار يتأوه ويتحسر عندما مرّ أمامه شريط أعماله السيئة وفداحة أفعاله وراح يتندم حيث لا ينفع الندم .

كان الأجدد بعمر بن العاص وهو الشيخ الهرم الذي أشرف على نهاية حياته بعدما جاوز الخامسة والتسعين من العمر يوم كان بصفين أن يترك الطمع وبها رج الدنيا ويرجع إلى رشده . . . لا أن يبيع دينه بدنياه ويتحالف مع معاوية لمحاربة أمير المؤمنين علي إمام الحق . . . لقاء سنتين أو ثلاثة من ولاية مصر يعمل لمعاوية بن أبي سفيان

وهل ينفع عمرو قوله عندما حضرته الوفاة . . . ليتني مت قبل ثلاثين سنة . . . وليتني . . . وليتني . . الخ .

أما معاوية وحربه لعلي (عليه السلام) فما هو إلا لشارات له على المسلمين وعلى الهاشميين وعلى علي بن أبي طالب بوجه خاص . . .

فمعاوية لا يهتم إلا الدنيا والسلطان ، وقد عمل بعد حرب صفين على الفتك بالإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) حيث دس له السم بواسطة زوجته جعدة بنت الأشعث على ما سيأتي . .

وعمل معاوية أيضاً : على الفتك بسعد بن أبي وقاص - أحد أصحاب الشورى الست - وعلى عبد الرحمن بن أبي بكر على ما ذكر المؤرخون .

وما كان عمل معاوية هذا والفتك بمن ذكرنا وغيرهم إلا بغية استتباب الأمر لولده يزيد . . . الطاغية المستهتر .

وهذا ما ابتلى به المسلمون من صدر الإسلام إلى يومنا هذا . . .

فقد عمل أعداء الإسلام على تقويض دعائمه وتشتيت المسلمين وتفريق كلمتهم وجعلهم أحزاباً وشيعاً يحارب بعضهم بعضاً . . . ليتتصر الباطل على الحق . . . وحتى يستتب الأمر لأعداء الله .

ولنرجع إلى حرب صفين فبعد أن كان النصر حليفاً لأهل العراق وبعد أن اشتد أمرهم . . . اندس الشيطان فنث سمومه في رأس عمرو بن العاص بخدعة ومكيدة ألا وهي خدعة رفع المصاحف . . على الرماح والدعاء إلا الإحتكام إلى كتاب الله . . . ففرقت صفوفهم وتشتت أمرهم .

لذلك نجد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال لهم : « ويلكم قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم ، وأنهم ليسوا بالعمل بالقرآن يريدون » الخ .

وانطلقت الخدعة على أهل العراق ، وسقطوا في الشرك وخاصة المنافقين ، والذين ملوا الحرب ، واستعظموا الجهاد والتضحية ، وتناسوا أن علياً (عليه السلام) هو أول من أجاب إلى كتاب الله ودعا إليه .

انطلت الحيلة - خدعة رفع المصاحف على ضعفاء العقيدة الذين ملوا الحرب ، وآثروا السلامة ، أمثال شقيق بن ثور البكري وغيره حيث قال : أكلتنا الحرب ولا نرى البقاء إلا في المودعة .

وكان في جيش علي (عليه السلام) أيضاً من المنافقين الذين خاضوا الحرب عن حمية . . . لا عن إيمان وعقيدة . . . فاكثفوا بالوقائع التي حاربوا فيها ووقفوا يوم منعوا من الماء ، فابدوا من البسالة في القتال . . . كالأشعث بن قيس الذي قال فيه علي (عليه السلام) : « هذا اليوم نصرنا فيه الأشعث بالحمية » .

وكان بين أولئك وهؤلاء فريق خايله فريق دنيا معاوية بن أبي سفيان من ثراء ، وجاه ، وعطايا ، وهبات ، ووعود براقة ، في الوقت الذي أيقنت فيه هذه الفئة أن علي بن أبي طالب (عليه السلام)

صاحب آخرة ليست ترجى عنده العطايا ، والهبات ، والترف ، وأطايب الحياة .

وهناك فريق كان من غبائه وتزمتته يحسب أن عدم قبوله للإحتكام إلى كتاب الله خروج على شرعة الدين . . . وهذا الفريق قد ضل طريق الرشد والهداية ظناً منه أنه ممسك بأهداب الدين وأحكام القرآن أمثال مسعر بن فدكي ، وزيد بن حصين وغيرهما . . . وهؤلاء هم الخوارج المارقون الذين قتلوا عثمان بن عفان ، وقتلوا علياً غيلة فيما بعد بسيف بن ملجم المرادي الخارجي عليه لعائن الله - وذلك بعدما حاربوا علياً يوم النهروان على ما سيأتي .

وبعد أن انطلت الحيلة وانخدع الكثير من أهل العراق بخدعة رفع المصاحف وهاج الناس وماجوا ، وطالبوا علياً بالموافقة ، وانقسموا إلى فرق متباينة الأهواء والآراء ، ولم يبق ثابت مع علي (عليه السلام) إلا المخلصين من المؤمنين الأخيار أمثال : عبد الله بن العباس ، والأشتر الذي أمره أمير المؤمنين علي بالرجوع عن الحرب بعد أن كان الفتح أمامه قيد رمح ، والذي اشتبك مع الخوارج في معركة كلامية شديدة كما أسلفنا .

في هذه الفترة العصيبة من تاريخ المسلمين أطرق علي (عليه السلام) لا خوفاً من أن يقتلوه كما فعلوا بعثمان بن عفان فتاريخه (عليه السلام) حافل يفيض ببطولاته التي لا مثيل لها . . .

ولكنه (عليه السلام) سكت عن حقه خوفاً على المسلمين من الفتنة - وطالما سكت عن حقه خوفاً على الإسلام الذي عمل له منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وما زال يعمل لطرد الفتنة من بين صفوف المسلمين ، فقد كان همه الأكبر . . . دائماً الوحدة . . . وإعلاء كلمة الإسلام !

قصة التحكيم . . . والحكمين

فتنة عمياء ، أضلت العقول ، والقلوب بالإنضواء والشبهات الكاذبة . تلك الفتنة التي اطلع الشيطان قرنه فيها ، وحمل عمرو بن العاص على إخراجها والنداء بها حتى أخذت سبيلها في قلوب ضعفاء الإيمان الذين ملوا الحرب وآثروا السلامة فجاءوا إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) جماعات وفرادى يطلبون منه الموافقة وإيقاف القتال والرجوع إلى حكم القرآن تلبية لدعوة أهل الشام .

لم يملك (عليه السلام) إلا أن ينزل على حكم القوم الذين أحبوا التحكيم وهو كاره له ، برم به . يرى أنه خدعة تعود على المسلمين بكوارث لا نهاية لها .

لكن ضعاف الإيمان والعقيدة ، الذين صدمتهم محنة الحرب وملوا القتال كما أسلفنا ، ما إن سمعوا نداء أهل الشام يدعونهم للموادعة والتحكيم حتى صاحوا : رضينا . . . رضينا . . . وأصبحوا ينظرون بالبصر دون البصيرة . . . ويسمعون بالأذان دون القلوب . . .

وسرعان ما تبدلت بهم الحال ، فهُوُوا من سماء الروح إلى أرض المادة ولم يسمعوا لكلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حين قال لهم : « لم يزل أمري معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم

الحرب . . . وقد والله أخذت منكم وتركت . . . وأخذت من عدوكم ولم تترك . . . وأنها فيهم أنكى وانهك » .

ثم قال لهم (عليه السلام) وهم يلحون عليه بالإستجابة لضراعة أصحاب معاوية في خدعة رفع المصاحف وندائهم : كتاب الله بيننا وبينكم . . .

« ويحكم . . أنها كلمة حق يراد بها باطل » .

ثم قال (عليه السلام) : فاحفظوا عني نهبي إياكم واحفظوا مقاتلتكم لي ، فإن تطيعوني فقاتلوا . . و إن تعصوني فاصنعوا بما بدا لكم » .

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير: أنه جاء الأشعث بن قيس إلى علي (عليه السلام) فقال : أرى الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن ، فإن شئت أتيت معاوية ، فسألته ما يريد ؟ .

قال (عليه السلام) : إئتته . .

فأتى الأشعث معاوية فقال : يا معاوية ، لأي شيء رفعتم هذه المصاحف ؟

قال معاوية : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه ، تبعثون رجلاً ترضون به ، ونبعث نحن رجلاً نرضى به ، نأخذ عليهما أن يعملوا بما في كتاب الله ، لا يعدوانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه .

قال له الأشعث : هذا الحق . . .

فعاد الأشعث إلى علي فأخبره .

فقال الناس : قد رضينا . . . وقبلنا . . .

فقال أهل الشام : قد رضينا عمرو بن العاص . .

وقال الأشعث : وأولئك القوم الذين صاروا خوارج . . أنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري .

فقال علي (عليه السلام) : « قد عصيتموني في أول الأمر . . فلا تعصوني الآن . . لا أرى أن أولي أبا موسى » .

فقال الأشعث وزيد بن حصين ، ومسر بن فدكي : لا نرضى إلا بأبي موسى ، فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه .

قال علي (عليه السلام) : « فإنه ليس بثقة ، قد فارقتني ، وخذل الناس عني - بالكوفة عند الذهاب لحرب الجمل - ثم هرب مني حتى أمنت به بعد أشهر » .

ثم قال (عليه السلام) : « ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك . . قالوا : لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس . . لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء » .

قال (عليه السلام) : « فإني أجعل الأشر . . . »

قالوا : وهل سعر الأرض - بالحرب - غير الأشر ؟

فقال (عليه السلام) : « قد أبيتم إلا أبا موسى ! »
قالوا : نعم . . .

قال (عليه السلام) : « فاصنعوا ما أردتم » .

فبعثوا إلى أبي موسى وقد اعتزل القتال بعرض^(١) فأتاه مولى له فقال : إن الناس قد اصطلحوا .

فقال : الحمد لله^(٢) .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد إن علياً (عليه السلام) حينما اختار أهل العراق أبا موسى الأشعري قال لهم :
« ألا وإن القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبون ، وإنكم

(١) العرض بضم العين المهملة وسكون الراء ، الجانب أو الناحية .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٦١ - ١٦٢ .

اخترتم لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون . وإنما عهدكم بعبد الله بن قيس^(١) بالأمس يقول : إنها فتنة فقطعوا أوتاركم ، وشيموا سيوفكم ، فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكره ، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة^(٢) .

فادفعوا عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس ، وخذوا مهل الأيام ، وحوطوا قواصي الكلام . . .

« ألا ترون إلى بلادكم تغزى ، وإلى صفاتكم تُرمى ! »

وفي كتاب صفين : جاء أبو موسى الأشعري حتى دخل عسكر علي (عليه السلام) وجاء الأشر حتى أتى علياً ، فقال له :

يا أمير المؤمنين . . . ألزني^(٣) بعمر بن العاص ، فوالله الذي لا إله غيره لئن ملأت عيني منه لأقتلنه .

وجاء الأخنف بن قيس التميمي ، فقال :

يا أمير المؤمنين أنك قد رُميت بحجر الأرض^(٤) ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام . . . وإني قد عجمت هذا الرجل ، يعني أبا موسى ، وحلبت أشطره ، فوجدته كليل الشفرة ، قريب القعر . وأنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم ، ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم . فإن شئت أن تجعلني حكماً ، فاجعلني ، فإنه لا يعقد - عمرو بن العاص - عقدة إلا حللتها ، ولن يحل عقدة إلا عقدتها ، وعقدت لك أخرى أشد منها .

(١) المراد بعبد الله بن قيس : هو أبو موسى الأشعري .

(٢) لعل المراد من قوله (عليه السلام) فإن كان صادقاً بما يرويه من أنها فتنة فقد أخطأ بمسيره إلينا إلى صفين وإن كان كاذباً لزمته التهمة - أي بالكذب والتزوير - والله العالم .

(٣) الزه به : الزمه إياه .

(٤) ويقال : رمي فلان بحجر الأرض : إذا رمي بداهية من الرجال .

وفي رواية شرح النهج : وإن شئت أن تجعلني ثانياً . . . أو
ثالثاً . . .

فعرض علي (عليه السلام) ذلك على الناس ، فأبوا . . .
وقالوا : لا يكون إلاّ أبا موسى .

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة : بعد ما ذكر قصة اختيار أمير
المؤمنين علي لعبد الله بن العباس . . . أو الأشتر ، ورفض الكثير من
أهل العراق ذلك : جاءه الأخنف بن قيس فقال له : يا أمير المؤمنين إن
أبا موسى رجل يمانى ، وقومه مع معاوية ، فابعثني معه ، فوالله لا يحل
لك عقدة إلاّ عقدت لك أشد منها ، فإن قلت : إني لست من أصحاب
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فابعث ابن عباس ، وابعثني
معه .

فقال علي : « إن الأنصار والقراء ، أتوني بأبي موسى ، فقالوا :
ابعث هذا فقد رضيناه . . ولا نريد سواه . . والله بالغ أمره »

وهكذا أفلحت حيلة معاوية وعمر بن العاص وبلغوا مع
الأشعث بن قيس مأربهم من الكيد لعلي (عليه السلام) وتفتيت
جيشه ، وأخيراً اتّحد الأشعث مع المنخدين وأبوا على علي كل ما أراد
لهم من الخير والنصر وأبوا عليه أيضاً : أن يرسل أحد ثقاته المخلصين
للإسلام للمفاوضة . فسكت عن حقه - وطالما سكت - واعطاهم ما
أرادوا ، وقال بمرارة : والله بالغ أمره .

وقفة تأمل في اختيار الحكمين

حاول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بشق الوسائل ، وبكل حجة صريحة حمل العصابة الغالية في معارضته على الترحيح عن رأيها في التحكيم ، والرجوع إلى رشدها في انتخاب الحكم - أو المفاوض - الذي سوف يمثل جهتها .

لقد بين لهم (عليه السلام) بكل أناة وهدوء ماضي الأشعري .
قال لهم علي (عليه السلام) : « إنه - أي الأشعري - ليس لي برضى ، قد فارقني ، وخذل الناس عني ، ثم هرب حتى أمتته . لكن هذا ابن عباس أوليه ذلك . . . » .

لكن نار الفتنة كانت قد اشتعلت . . وداء التفرقة قد اشتد واستفحل ، وإذا العصابة المعارضة قد ختم الشيطان على قلب ذويها ، فأصبحت وفي آذانها وقر . . . لا تسمع ولا تعي . . . بل آثرت المضي في ضلالها . وإن أودى بها إلى الخسران . . .

وبكل خشونة وصلافة رفضت هذه العصابة رأي أمير المؤمنين علي المأمون على الدنيا والدين في اختياره لعبد الله بن العباس بقولها :
لا نريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء . . .
- ليت شعري . . هل كان عمرو بن العاص مرشح معاوية هو

من معاوية ومن علي سواء . . ؟!

أم هو التعتت . . . والفساد . . . أو الضلال . . والنكيات . .
تحدوها الأهواء والأغراض . . ؟

- ليت شعري . كيف سوغت هذا العصابة . أو الفئة الضالة
لنفسها أن تقف بوجه أمير المؤمنين علي وهو أميرها ، الواجب عليها
إطاعته والإنقياد لأمره والسمع لرأيه . . . وتجبره على إيقاف الحرب
أولاً . . . وقبول التحكيم ثانياً . . . وثالثاً . . . تفرض عليه مفاوضاً
يكون حكماً من تريده هي ، لا من يريد . . !

- وليت شعري . . كيف تنكر هذه الفئة الضالة على أميرها أمير
المؤمنين (عليه السلام) اختيار مرشحه . . . وتلزمه باختيار مرشح
مفاوض يكون حكماً . . . ثم لا تدع له حرية الاختيار ، بل تفرض
عليه رجلاً هو أدنى إلى عدوه منه إليه . . . بل هو أدنى إلى
خذلانه ! . . . وفي ماضي الأشعري الأسود ما يفصح عن هذا الخذلان
وذلك عندما استنهضه أمير المؤمنين علي للحرب أعدائه بالبصرة يوم الجمل
حين كان الأشعري على الكوفة والياً . . . حيث لم يتمكن من كبح جماح
خذلان الأشعري لعلي إلا كبش العراق . . مالك الأشتر . . الذي
كان سيفاً من سيوف الله على أعدائه .

- وليت شعري . . كيف عميت بصائر هذه الفئة عن الحق الأبلج
علي بن أبي طالب فراحت تملي عليه إرادتها وتلزمه بمن تريد . . . بينما قد
أباححت لمعاوية بن أبي سفيان اختيار حكم يرتضيه ، حليفة عمرو بن
العاص المتآمر معه على حرب علي (عليه السلام) كما أسلفنا .

على أن عمرو بن العاص كان أحرص من معاوية على مطامعه
ومطامحه ، وأكثر الناس انغماساً في شأنه إلى أذنيه . . .

- وليت شعري . . كيف عميت بصائر المؤيدين للأشعث بن
قيس حين قال لعلي : لا والله لا يحكم فينا مضرين حتى تقوم الساعة

ولكن اجعله رجلاً من أهل اليمن . . الخ .

- وليت شعري . . . هل نسوا أو تناسوا أن معاوية وعمرو بن العاص هما مضریان . . فكيف جاز لمعاوية أن يختار مضرياً مثله . . ولم يجز لعلي وهو إمام الحق أن يختار مضرياً مثله ؟ ألا وهو عبد الله بن عباس .

- وليت شعري . . . هل كانت مضرية ابن عباس هي السبب الحقيقي لرفضهم إياه ؟ .

كلا . . . وألف كلا . . . ولكنهم كانوا على علم بأن ابن عباس سوف يعمل للحق ، وفي سبيل الحق . . . ولا يتمكن عمرو بن العاص أن يكيد له أو يخدعه . .

فابن عباس هو حبر الأمة ومن المخلصين للإسلام والمسلمين العارف بأمور الدنيا والدين .

- وليت شعري لماذا لم ترض العصابة الضالة . . بمالك الأشتر عندما رشحه علي (عليه السلام ليكون أحد الحكمين بعد رفضها لابن عباس ؟ مع العلم بأن مالك الأشتر يمني ، كأبي موسى الأشعري . . . وأصرت على عنادها ضده قائلة : وهل نحن إلا في حكم الأشتر ؟ !

وما كان عنادها وإصرارها على رفض الأشتر مع أنه يمني . . إلا لأنه سوف يحملها على ما يرتئيه أمير المؤمنين (عليه السلام) من اتباع سبيل الحق وسلوك الصراط المستقيم ومحاربة الفئة الباغية . فليتأمل المتأمل .

كتاب الإتفاق . . . أو صحيفة المودعة

لم يتمكن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من رفض طلب ألوف الجنود من جيشه الذين أضلهم التآمر عليهم . . . فصموا آذانهم ولم يسمعوا أو يعوا لمن نصحهم من أن طلب التحكيم خدعة من معاوية وحليفه عمرو بن العاص لما رأيا أن الهزيمة لاحقة بهما .

وبعد الضغط والإلحاح عليه (عليه السلام) بقول التحكيم والإصرار عليه أيضاً على أن يكون أبو موسى الأشعري المفاوض من قبله . . . خشي (عليه السلام) عند ذلك من وقوع الفتنة ، فقال لهم ضجراً من إلحاحهم : « اصنعوا ما أردتم » .

حينئذ كان لا بدّ من كتابة صحيفة تتضمن بنود الإتفاق ، وشروط المودعة ، والمهادنة التي سوف يعمل الطرفان المتقاتلان على طبقها .

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن نصر بن مزاحم أنه قال :

لما رضي أهل الشام بعمر بن العاص ، وأهل العراق بأبي موسى^(١) أخذوا في تسطير كتاب المودعة .

(١) أبو موسى الأشعري : هو عبد الله بن قيس وأمه امرأة من عك ، واختلف في أنه هل =

« هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين ، ومعاوية بن أبي سفيان . . . »

فقال معاوية : بش الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته . . .

وقال عمرو بن العاص : بل نكتب اسمه واسم أبيه . . . إنما هو أميركم . . . فأما أميرنا فلا . . .

فلما أعيد الكتاب إلى علي بن أبي طالب أمر بمحوه . . .

فقال الأحنف بن قيس : لا تمح اسم أمير المؤمنين عنك . . فإنني أتخوف أن محوتها ألا ترجع إليك أبداً . . . فلا تمحها .

فقال علي (عليه السلام) : إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب الكتاب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

= هو من مهاجرة الحبشة أم لا ؟ والصحيح أنه ليس منهم . قيل : إنه لم يهاجر إلى الحبشة ، وإنما أقبل في سفينة مع قوم من الأشعرين ، فرمت الرياح سفينتهم إلى أرض الحبشة ، وخرجوا منها مع جعفر وأصحابه فكان قدومهم معاً ، فظن قوم إنه كان من مهاجرة الحبشة . ولاء عمر بن الخطاب البصرة لما عزل المغيرة عنها فلم يزل عليها إلى صدر من خلافة عثمان ، فنزل أبو موسى الكوفة حيثئذ ، وسكنها فلما كره أهل الكوفة سعيد بن العاص ودفعوه عنها . ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان ، فأقره على الكوفة ، فلما قُتل عثمان عزله علي (عليه السلام) عنها ، فلم يزل واجداً لذلك على علي . ثم كان من أمره يوم الحكمين ما كان . هذا ما ذكره ابن عبد البر في الإستهيعاب : ص ٣٧٢ هامش الإصابة .

وفي شرح النهج عن سويد بن غفلة قال : كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان ، فروى لي خبراً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : سمعته يقول : « إن بني إسرائيل اختلفوا ، فلم يزل الاختلاف بينهم ، حتى بيعتوا حكمين ضالين ، ضللاً وأضللاً من اتبعهما ، ولا ينفك أمر أمتي حتى يبعثوا حكمين يضللان ويُضللان من تبعهما » ، فقلت له : إحدرياً أبا موسى أن تكون أحدهما قال : فخلع قميصه ، وقال : ابرأ إلى الله من ذلك ، كما أبرأ من قميص هذا . وروي أنه كان أبو موسى أحد الحكمين يوم صفين . . . ولقد صدقت فيه نبوءة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلقد كان حكماً لأهل العراق فضل وأضل من اتبعه .

« هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . . » .

فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله لم أفاتلك ، ولم أخالفك ،
إني إذاً لظالم لك إن منعتك أن تطوف ببيت الله الحرام وأنت
رسوله . . . ولكن أكتب : « من محمد بن عبد الله . . » .

فقال لي رسول الله (صلى الله عليه) : « يا علي ، إني
لرسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله ، ولن يحو عني الرسالة كتابي لهم
من محمد بن عبد الله ، فاكتبها ، وامح ما أراد محوه . . . أما إن لك
مثلها ستعطيها وأنت مضطهد . . . » .

قال نصر : وقد روي أن عمرو بن العاص عاد بالكتاب إلى علي
(عليه السلام) ، فطلب منه أن يحو اسمه من أمرة المؤمنين ، فقص
عليه وعلى من حضر صلح الحديبية ، وقال : « إن ذلك الكتاب أنا
كتبته بيننا وبين المشركين ، واليوم أكتبه إلى آبائهم ، كما كان رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) كتبه إلى آبائهم شبيهاً ومثلاً »^(١) .

فقال عمرو : سبحان الله أتشبهنا بالكفار ، ونحن
مسلمون . . . !

فقال علي (عليه السلام) : « يا بن النابغة ومتى لم تكن للكافرين
ولياً . . . وللمسلمين عدواً . . . ! »

فقام عمرو ، وقال : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم .
فقال علي : أما والله إني لأرجو أن يظهر الله عليك وعلى
أصحابك^(٢) .

وفي رواية : إن الأشعث بن قيس جاء إلى علي فقال : امح هذا
الإسم فقال علي (عليه السلام) : « لا إله إلا الله والله أكبر . . . سنة

(١) وفي كتاب صفين : سنة ومثلاً .

(٢) وفي بعض النسخ يظهر بيتي منك ومن أصحابك .

بسنة . . أما والله لعلى يدي دار هذا الأمر يوم الحديبية حين كتبت عن رسول الله . . . إلى آخر الرواية » .

وفي شرح النهج أيضاً : جاءت عصابة قد وضعت سيوفها على عواتقها ، فقالوا : يا أمير المؤمنين مرنا بما شئت . . .

فقال لهم سهل بن حنيف : أيها الناس اهتموا رأيكم ، فلقد شهدنا صلح رسول الله (صلى الله عليه) يوم الحديبية ، ولو نرى قتالاً لقاتلنا .

وزاد إبراهيم بن ديزيل : لقد رأيتني يوم أبي جندل - يعني الحديبية - ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله (صلى الله عليه) لرددته .

وفي شرح النهج : قيل لعلي (عليه السلام) حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام : أتقر أنهم مؤمنون مسلمون ؟

فقال علي (عليه السلام) : « ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون . . . ولا مسلمون . . . ولكن يكتب معاوية ما شاء بما شاء ، ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ، ويسمي نفسه بما شاء وأصحابه . . . » فكتب الكتاب^(١) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

نص الكتاب

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى علي بن أبي طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاوية بن سفيان على أهل الشام ومن كان معه من المسلمين ، أننا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه . ولا يجمع بيننا إلا إياه .

- وإن كتاب الله سبحانه وتعالى بيننا ، من فاتحته إلى خاتمته ، نحى ما أحيا القرآن ، ونغيت ما أمات القرآن ، فإن وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعناه ، وإن لم يجدها أخذاه بالسنة العادلة غير المفرقة . والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ، وقد أخذوا الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين أنها آمنان على أنفسهما ، وأموالهما وأهلتهما ، والأمة لهما أنصار ، وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين ، والمسلمين من الطائفتين عهد الله أن يعملوا بما يقضيان عليه ، مما وافق الكتاب والسنة .

- وإن الأمن والموادعة ، ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين ، إلى أن يقع الحكم ، وعلى كل واحد من الحكامين عهد الله ، ليحكم بين الأمة بالحق . . . لا بالهوى . . . وأجل الموادعة سنة كاملة . .

- فإن أحب الحكمان أن يعجلا الحكم عجلاه . . . وإن توفي أحدهما فلا مير شيعة أن يختار مكانه رجلاً ، لا يألو الحق والعدل .

وإن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرضون أمره ، ويحمدون طريقته .

اللهم أنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة . . . وأراد فيها إلحاداً وظلماً .

وفي رواية نصر عن جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات منها :

وإن هما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الموسم ، فالمسلمون على أمرهم الأول في الحرب ، ولا شرط بين الفريقين ، وعلى الأمة عهداً لله وميثاقه على التمام والوفاء بما في هذا الكتاب ، وهم يد على من أراد فيه إلحاداً وظلماً . . . أو حاول له نقضاً . . .

وشهد فيه من أصحاب علي عشرة ، ومن أصحاب معاوية عشرة .

وتاريخ كتابته لليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين .

وفي رواية نصر أيضاً : عن أبي إسحاق الشيباني قال : قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة في صحيفة صفراء عليها خاتمان خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها . في خاتم علي (عليه السلام) . . . محمد رسول الله . وفي خاتم معاوية محمد رسول الله^(١) .

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير : قيل للأشتر : ليكتب فيها - الصحيفة - فقال :

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٦ .
وكتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٣٦٨ - ٣٦٩ كما ذكر ذلك جميع المؤرخين .

لا صحبتني يميني ، ولا نفعني بعدها شمالي إن خُط لي في هذه
الصحيفة اسم . أولست على بينة من ربي من ضلال عدوي ؟ أولستم
قد رأيتم الظفر . . ؟

فقال له الأشعث : والله ما رأيت ظفراً ، هلم إلينا لا رغبة بك
عنا .

فقال الأشر : بل والله . . . الرغبة عنك في الدنيا للدنيا ، وفي
الآخرة للآخرة . لقد سفك الله بسيفي دماء رجال ما أنت خير عندي
منهم ، ولا أحرم دماً . .

فكأنما قصع الله على أنف الأشعث الحمم . . وخرج .

وكتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة
سبع وثلاثين واتفقوا عل أن يوافي أمير المؤمنين علي موضع الحكمين
بدومة الجندل^(١) أو بأذرح .

وقيل لعلي (عليه السلام) : إن الأشر لا يقرب بما في الصحيفة ،
ولا يرى إلا قتال القوم ، فقال (عليه السلام) : وأنا والله ما رضيت
ولا أحببت أن ترضوا . . . الخ .

ثم قال (عليه السلام) : وأما الذي ذكرت من تركه أمري
- يعني الأشر - وما أنا عليه ، فليس من أولئك . . فليست أخاف على
ذلك . . .

ثم قال (عليه السلام) : يا ليت فيكم مثله - أي مثل الأشر -
اثنين .

يا ليت فيكم مثله واحداً . . . يرى في عدوي ما أرى ، إذاً

(١) الذي في تاريخ الطبري : أنها يجتمعان في دومة الجندل في شهر رمضان فإذا لم يجتمعا
لذلك اجتمعا بأذرح من العام المقبل .

لخفت علي مؤنتكم ، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم ، وقد نهيتكم
فعصيتموني .

والله . . . لقد فعلتم فعلة ضععت قوة . . . وأسقطت
منة . . . وأورثت وهناً وذلة . . .

ولما كنتم الأعلين ، وخاف عدوكم الإجتياح ، واستحربهم
القتل ، ووجدوا ألم الجراح ، رفعوا المصاحف ، فدعوكم إلى ما فيها
ليفتنوكم عنهم ، ويقطعوا الحرب ، ويتربصوا بكم المنون . . خديعة
ومكيدة . . .

فاعطيتموهم ما سألوا ، وأبيتهم إلا أن تدهنوا وتجبروا . . .

وايم الله ما أظنكم بعدها توفقون الرشدا . . ولا تصيبون باب
الحزم^(١) .

ولما كتبت الصحيفة أو رقعة التحكيم وشهد عليها الشهود من
الفريقين المتباينين ، فريق حقق هدفه ونال مأربه من إيقاف القتال ،
وفريق وهم الصفوة المختارة من أصحاب أمير المؤمنين علي
(عليه السلام) كانت في قلوبهم حسرة ، وفي حلوقهم مرارة لأنهم
أكرهوا على ذلك .

أخذ الأشعث بن قيس الصحيفة وراح يتلوها على الأجناد فرحاً
مسروراً قد بدت على وجهه ثورة الظافر وكأنما قد ملك مفاتيح
المجد . . . وحق له ذلك إذ أن مؤامرتة الدنيئة التي عقد عليها العمل
بالخفاء مع معاوية وعمرو بن العاص ، وعتبة بن أبي سفيان قد
نجحت : منها : هو الآن قد استمال الكثيرين من جيش أمير المؤمنين
علي . . . من أهل اليمن ، ودعاة الهدنة ، والمخدوعين ، وكل منافق ،
وأصحاب الدنيا الذين تخايلهم بها رجها ، وكل من نهكتهم الحرب ،
وأفزعتهم الدماء .

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٦٣ .

التحذير لأبي موسى الأشعري

لما انتهى الأمر بتعيين أبي موسى الأشعري حكماً عن أهل العراق ؛ وعمرو بن العاص حكماً عن أهل الشام . . . ولم يبق للمؤمنين المخلصين للرد على ذلك مناص ولا حيلة . . . بل ألجئوا إلى الأذعان والقبول . . .

عند ذلك سارع بعض أهل الرأي والحكمة إلى أبي موسى قبل سفره - إلى مكان المفاوضة الذي اتفق عليه - يحذرونه مغبة الأمر الذي أنيط به إن تنكب طريق العدل واتبع هواه . . .

توجهوا إليه ، باذلين له النصيحة . . . عاملين الجهد في حمله على التبصر والروية . . . لعلمهم أنه ليس بثقة ولا بمؤمن . . . فطالما تنكر لقضايا أمير المؤمنين علي المحقة وأولاهها ظهره . . . وصحيفة ماضيه التي تشف عن نواياه الخبيثة تجاه إمام الحق (عليه السلام) ليست بخافية . . . وموقفه من تثبيط الناس في الكوفة عن محاربة الناكثين بالبصرة ، وتحذيله عن نصره الإمام علي في قصة حرب الجمل أمر لا ينكر .

لذلك تخوفوا منه الإنحراف . . . واتباع الهوى . . . والوقوع في شرك مكائد عمرو بن العاص . . . فجاءوا إليه يحذرونه من الخديعة طالبين منه التبصر والروية .

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن المدائني^(١) أنه قال : لما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى ، واحضروه للتحكيم على كره من علي (عليه السلام) ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس وإشرافهم فقال له :

يا أبا موسى . . . إن الناس لم يرضوا بك ، ولم يجتمعوا عليك لفضل لا تُشارك فيه ، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والإنصار ، والمتقدمين قبلك ! . . . ولكن أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحكم يمانياً ، ورأوا أن معظم أهل الشام يمان . . .

وايم الله . . . إني لأظن ذلك شراً لك . . . ولنا . . . فإنه قد ضُـم إليك داهية العرب - عمرو بن العاص - وليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة ، فإن تقذف بحقك على باطله تدرك حاجتك منه ، وأن يطمع باطله في حقك يدرك حاجته منك . . .

واعلم يا أبا موسى . . . إن معاوية طليق الإسلام ، وإن أباه رأس الأحزاب ، وإنه يدعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق . . . استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطيب ، يحميه ما يشتهي ، ويوجره ما يكره - بل كان يسيره عمر كما يريد - .

ثم استعمله عثمان برأي عمر ، وما أكثر من استعمل ممن لم يدع الخلافة .

واعلم يا أبا موسى إن لعمر ومع كل شيء يسرك خبيثاً يسوءك . . ومهما نسيت فلا تنسى أن علياً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر ،

(١) المدائني هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، صاحب التصانيف الكثيرة ، وأخبار القبائل والخلفاء والفتوح ، والمغازي وغيرها توفي سنة ٢١٥ .

راجع الفهرست لابن النديم : ج ١ ص ١٠٤ وحاشية شرح نهج البلاغة .

وعمر ، وعثمان ، وأنها بيعة هدى ، وأنه لم يقا تل إلا العاصين ،
والناكثين ... (١) .

وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم عن الجرجاني قال : لما أراد أبو
موسى الأشعري المسير ، قام شريح بن هاني فأخذ بيد أبي موسى فقال :
يا أبا موسى ... إنك قد نصبت لأمر عظيم ، لا يجبر صدعه ،
ولا يستقال فتقه ، ومهما ثقل شيئاً لك أو عليك ... يثبت حقه ويزول
باطله ...

وأنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكها معاوية ... ولا بأس على
أهل الشام إن ملكها علي ... وقد كانت منك تشبيطة أيام قدمت
الكوفة ... فإن تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقيناً ... والرجاء منك
يأساً ، ثم قال :

أبا موسى رميت بشر خصم	فلا تضع العراق فدتك نفسي
واعط الحق شامهم وخذه	فإن اليوم في مهل كأس
ولا يخذلك عمرو إن عمراً	عدو الله مطلع كل شمس
له خدع يحار العقل فيها	مموهة مزخرفة بلبس

وفي كتاب صفين أيضاً : كان آخر من ودع أبا موسى الأحنف بن
قيس ..

أخذ الأحنف بيد أبي موسى ، ثم قال له : يا أبا موسى .. اعرف
خطب هذا الأمر ، واعلم أن له ما بعده ، وإنك إن أضعت العراق ،
فلا عراق ... فاتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك ... وإذا لقيت
عمرواً غداً ، فلا تبدأه بالسلا م ، فإنها وإن كانت سنة الأمة ، إلا
أنه ليس من أهلها ... ولا تعطه بيدك ، فإنها أمانة ... وإياك أن
يقعدك على صدر الفراش ، فإنها خدعة ... ولا تلقه

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٢٤٦ ط دار إحياء التراث العربي /
بيروت .

وحده . . . واحذره إن يكلمك في بيت فيه مخدع تجبأ فيه الرجال والشهود .

ثم أراد الأحنف أن يشور - يختبر - ما في نفس أبي موسى لعلي ، فقال له : فإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي ، فخيره أن يختار أهل العراق من قريش الشام من شاؤا . . . أو فليختر أهل الشام من قريش العراق من شاؤا . .

قال أبو موسى : قد سمعت ما قلت . . . ولم يتحاش لقول الأحنف . . (١) . . فرجع الأحنف ، فأتى علياً فقال :

يا أمير المؤمنين اخرج والله أبو موسى زبدة سقائه في أول مخضة . . . لا أرانا إلا بعثنا رجلاً لا ينكر خلعتك . . . فقال علي (عليه السلام) : « يا أحنف . . . إن الله غالب على أمره . . . »

وفشا أمر الأحنف ، وأبي موسى في الناس . فجهز الشني (٢) راكباً ، فتبع به أبا موسى بهذه الأبيات :

عراقك أن حظك في العراق	أبا موسى جزاك الله خيراً
من الأحزاب معروف النفاق	وإن الشام قد نصبوا إماماً
أبا موسى إلى يوم التلاق	وإننا لا نزال لهم عدواً
إماماً ما مشت قدم بساق	فلا تجعل معاوية بن حرب
أبا موسى تحاماه الرواق	ولا يخذلك عمرو إن عمراً
طريقك لا تزل بك المراقبي (٣)	فكن منه على حذر وانهج

وفي شرح النهج عن البلاذري (٤) في كتاب أنساب الأشراف أنه

(١) وفي رواية شرح النهج : ولم ينكر ما قاله من زوال الأمر عن علي .

(٢) الشني الشاعر : من أصحاب علي (عليه السلام) ، واسمه بشر بن منقذ - أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين .

(٣) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٤) البلاذري : هو أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، صاحب كتاب البلدان ، =

قال : قيل لعبد الله بن عباس : ما منع علياً أن يبعثك مع عمرو بن العاص يوم التحكيم . . . ؟

فقال عبد الله بن عباس : منعه حاجز القدر . . . ومحنة الإبتلاء . . . وقصر المدة . . . أما والله لو كنت ، لقعدت على مدارج أنفاسه . . . ناقضاً ما أبرم . . . ومبرماً ما نقض . . . أطير إذا أسف^(١) ، وأسف إذا طار . . . ولكن قد سبق قدر . . . وبقي أسف . . . ومع اليوم غد . . . والآخره خير لأمير المؤمنين^(٢) .

وبعث أيمن بن خزيمة الأسدي^(٣) وهو معتزل لمعاوية بهذه الأبيات ، وكان هواه أن يكون هذا الأمر لأهل العراق فقال :

لو كان للقوم رأي يعظمون به	بعد الخطار رموكم بابن عباس
لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن	ما مثله لفصال الخطب في الناس
أن يخل عمرو به يقذفه في لجج	لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس
أبلغ لديك علياً غير عائبه	يهوى به النجم تيساً بن أتياس
ما الأشعري بمأمون أبا حسن	قول امرئ لا يرى بالحق من باس
فاصدم بصاحبك الأدنى زعيمهم	فاعلم هديت وليس العجز كالراس
	إن ابن عمك عباس هو الآسي

= وأنساب الأشراف ، توفي سنة ٢٧٩ . الفهرست ١١٣ ومعجم الأدباء - ٨٥٩ راجع حاشية شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ؛ ج ٢ ص ٢٤٦ .

(١) أسف الطائر : دنا من الأرض .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٣) ذكره الشيخ في رجاله : في أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : أيمن بن خزيمة ابن فاتك الأسدي وفي الاستيعاب أسلم يوم الفتح وهو غلام يفاع .

رجوع أمير المؤمنين علي من صفين

بعد الإتفاق والمواذعة . . . وتعيين الحكّمين . . . وكتابة صحيفة الإتفاق وذلك في صفر سنة ٣٧ للهجرة ، وعين الأجل في شهر رمضان لثمانية أشهر يلتقي الحكّمان بدومة الجندل . . . أقبل الناس على قتلهم يدفنونهم . ويتجهزون للعودة إلى بلادهم . . .

روى نصر بن مزاحم عن عبد الرحمن بن جندب، قال: لما أقبل علي (عليه السلام) من صفين أقبلنا معه فأخذ طريقاً غير طريقنا الذي أقبلنا فيه . . .

فقال علي : « آيئون . . . عائدون . . . لربنا حامدون . . .

أللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر ، وكآبة المنقلب . . . وسوء المنظر في المال والأهل . . . » .

قال - عبد الرحمن - : ثم أخذ بنا علي (عليه السلام) طريق البر ، على شاطئ الفرات ، حتى انتهينا إلى هيت^(١) ، وأخذنا على

(١) سُميت هيت لأنها في هوة من الأرض . وذكر أهل الأثر أنها سميت باسم بانيها وهو هيت بن سبندي بن مالك ، بن دعر بن بسوب بن عنقا بن مدين بن إبراهيم (عليه السلام) .

صندوداء^(١) ، فخرج الأنماريون بنو سعيد بن حزيم ، واستقبلوا علياً ، فعرضوا عليه النزول ، فلم يقبل . . . فبات بها . ثم غدا وأقبلنا معه حتى جزنا النخيلة^(٢) ورأينا بيوت الكوفة . . . فإذا نحن بشيخ جالس في ظل بيت على وجهه أثر المرض ، فأقبل إليه علي ونحن معه ، حتى سلم عليه وسلمنا عليه ، فرداً حسناً .

فقال له علي (عليه السلام) : بعدما سأله عن اسمه وعشيرته : فقال : إسمي صالح بن سليم

« أخبرني يا عبد الله - يا صالح - ما يقول الناس فيما بيننا وبين أهل الشام ؟ »

قال صالح : منهم المسرور ، فيما كان بينك وبينهم . . . وأولئك أغنياء الناس . . . ومنهم المكبوت الأسف لما كان من ذلك . . . وأولئك نصحاء الناس لك .

ثم مضى (عليه السلام) غير بعيد ، فلقيه عبد الله بن وديعة الأنصاري ، فدنا منه وسأله ، فقال : ما سمعت الناس يقولون في أمرنا هذا ؟

قال - الأنصاري - : منهم المعجب به . . . ومنهم الكاره له . . . والناس كما قال الله تعالى : ﴿ ولا يزالون مختلفين . . . ﴾ .

فقال له : « فما يقول ذوو الرأي . . ؟ »

= وهي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة ، وهي مجاورة للبرية - معجم البلدان لياقوت .

(١) قال ابن الكلبي : سميت صندوداء باسم امرأة ، وهي صندوداء ابنة لخم بن عدي المعجم لياقوت .

(٢) النخيلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه علي (عليه السلام) لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها ، وخطب خطبة مشهورة ذم فيها أهل الكوفة ، وبالنخيلة قتلت الخوارج لما ورد معاوية إلى الكوفة . معجم البلدان لياقوت .

قال : يقولون إن علياً كان له جمع عظيم ففرقه .. وحصن حصين فهدمه ... فحتى متى يبني مثل ما قد هدم ... وحتى متى يجمع مثل ما قد فرق ... !

فلو أنه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه ، فقاتل حتى يظهره الله أو يهلك ... إذا كان ذلك هو الحزم ...

فقال علي (عليه السلام) : « أنا هدمت ... ؟ ! أم هم هدموا ؟ ! »

وأنا فرقت ... أم هم فرقوا ؟ !

وأما قولهم لو أنه مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه .. فقاتل حتى يظفر ، أو يهلك إذا كان ذلك هو الحزم ... فوالله ما غفلت عن ذلك الرأي ... وإن كنت سخي النفس بالدنيا طيب النفس بالموت ...

ولقد هممت بالإقدام فنظرت إلى هذين - الحسن والحسين - قد استقدماني فعلمت أن هذين إن هلكا انقطع نسل محمد (صلى الله عليه وآله) من هذه الأمة . فكرهت ذلك ، وأشفقت على هذين أن يهلكا ... ! »

ثم مضى (عليه السلام) يقطع أحياء الكوفة وسككها حتى مرّ بالشباميين - حي من اليمن^(١) - فخرج إليه حارب بن شرحبيل الشبامي ، وأقبل يمشي معه وعلي (عليه السلام) راكب ...

فقال له علي : « ارجع ... ووقف .. »

ثم قال له : « ارجع ... فإن مشي مثلك فتنة للوالي ومذلة للمؤمنين » .

(١) شبام : حي من اليمن : حي من همدان . وفي الصحاح الشبام حي من العرب . لسان العرب لابن منظور .

ثم مضى علي (عليه السلام) حتى مرّ بالناعطين^(١) فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن مرثد ، يقول : ما صنع علي شيئاً . . . ذهب ثم انصرف في غير شيء .

فلما نظر أمير المؤمنين علي إليه . . . أبلس^(٢) .

فقال علي : « وجوه قوم ما رأوا الشام العام » ثم قال لأصحابه : « قوم فارقتهم أنفأ خير من هؤلاء . . . » ثم قال : أخوك الذي إن أجرفتك ملمة^(٣) من الدهر لم يبرح لبشك واجما وليس أخوك بالذي إن تمنعت عليك أمور ظل يلحاك لائها ثم مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل الكوفة .

(١) نسبة إلى ناعط ، لقب ربيعة بن مرشد أبو بطن من همدان . وأصله اسم جبل بصنعاء .

(٢) أبلس : انكر وحزن وتحير في أمره . المنجد في اللغة .

(٣) جرض : غص ، وجهد ، واغتم . والجريض : الشديد الهم وقال زيد بن كثوة : أنه يقال عند كل أمر كان مقدوراً عليه فحيل دونه . لسان العرب لابن منظور .

اجتماع الحكمين

ذكر الطبري في تاريخه : في سنة ٣٧ للهجرة كان اجتماع الحكمين بدومة الجندل ، قال أبو مخنف : حدثني المجالد بن سعيد عن الشعبي عن زياد بن النظر الحارثي . إن علياً (عليه السلام) بعث أربعمئة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثي ، وبعث معهم عبد الله ابن عباس ، وهو يصلي بهم ويلى أمورهم ، وأبو موسى الأشعري معهم . وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة رجل من أهل الشام - حتى توافوا بدومة الجندل - بأذرح .

قال - أبو مخنف - : فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو - جاء الرسول ، وذهب لا يدري بما جاء به ... ولا بما رجع به ... ولا يسأله أهل الشام عن شيء ...

وكان إذا جاء رسول علي إلى ابن عباس فسأله ما كتب به إليك أمير المؤمنين ؟ ... فإن كنتم ... ظنوا به الظنون ، فقالوا : ما نراه كتب إلا بكذا ... وكذا ...

فقال ابن عباس : أما تعقلون ، أما ترون رسول معاوية يجيء لا يُعلم بما جاء به ، ويرجع لا يُعلم ما رجع به ... ولا يُسمع لهم صياح ولا لغط ... وأنتم عند كل يوم تظنون الظنون ...

وذكر المسعودي في تاريخه : إنه في شهر رمضان من سنة ثمان وثلاثين للهجرة التقى أبو موسى وعمرو - بدومة الجندل - فقال عمرو لأبي موسى : تكلم وقل خيراً . . .

فقال أبو موسى : بل تكلم أنت يا عمرو . . .

فقال عمرو : ما كنت لأفعل وأقدم نفسي قبلك ، ولك حقوق كلها واجبة لسنك ، وصحبتك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنت ضيف . . .

فحمد الله أبو موسى وأثنى عليه ، وذكر الحدث الذي حل بالإسلام ، والخلاف الواقع بأهله ، ثم قال : يا عمرو . . . هلم إلى أمر يجمع الله به الألفة ، ويلم الشعب ، ويصلح ذات البين ؟ . .

فجزاه عمرو خيراً ، وقال : إن للكلام أولاً وآخرأ ، ومتى تنازعنا الكلام خطبأ لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله ، فاجعل ما كان من كلام بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا . فدعا عمرو بصحيفة وكتاب وكان الكاتب غلامه فكتب الغلام :

بسم الله الرحمن الرحيم . . هذا ما تفاضى عليه فلان وفلان . . . وبدأ بعمره . . . فقال له عمرو : لا أم لك . . أتقدمني قبله ، كأنك جاهل بحقه . . . فبدأ باسم عبد الله بن قيس . . .

أقول : وهنا يبدأ عمرو في نصب شرك الخديعة وحبكها جيداً ليضع أبا موسى فيها . . فأمل على غلامه بكتابة صحيفة طويلة . . . فتطرق فيها من خلافة أبي بكر إلى عمر . . . إلى عثمان . . . ومقتله . . . وإلى وليه . . . والمطالب بدمه . . تمهيداً لمعاوية .

فقال أبو موسى وقد ملّ الإطالة : هذا أمر قد حدث في الإسلام ، وإنما اجتمعنا لغيره ، فهلم إلى أمر يصلح الله به أمر أمة محمد .

قال عمرو : وما هو ؟

قال أبو موسى : قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً ، وإن أهل الشام لا يحبون علياً أبداً ، فهل نخلعهم جميعاً ، ونستخلف عبد الله بن عمر . . . ؟ وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب على بنت أبي موسى .

قال عمرو : أيفعل ذلك عبد الله بن عمر ؟
قال أبو موسى : نعم . . . إذا حمله الناس على ذلك فعل .
فعمد عمرو إلى كل ما مال إليه أبو موسى فصوبه ، وقال له : هل لك في سعد بن أبي وقاص ؟
قال له أبو موسى : لا . . . فعدده له عمرو جماعة . . . وأبو موسى يابى ذلك إلا ابن عمر . . .

ويستمر عمرو في حبك شرك خديعة لأبي موسى الأشعري . .
فأخذ عمرو بن العاص الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختمها جميعاً .

وقال عمرو لأبي موسى : أرايت إن رضي أهل العراق بعبد الله بن عمر ، وأباه أهل الشام . . . أتقاتل أهل الشام ؟ . .
قال أبو موسى : لا . .

قال عمرو : فإن رضي أهل الشام ، وأبا أهل العراق . . . أتقاتل أهل العراق ؟

قال أبو موسى : لا . . .

قال عمرو : أما إذا رأيت الصلاح في هذا الأمر والخير للمسلمين ، فقم فاخطب الناس واخلع صاحبينا معاً وتكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلفه . .

فقال أبو موسى : بل أنت قم فاخطب فانت أحق بذلك . . .

قال عمرو : ما أحب أن أتقدمك ، وما قولي وقولك للناس إلا قول واحد ، فقم راشداً .

وأتم عمرو الخديعة على أبي موسى حيث قدمه ، وعظمه وبجله وأخيراً ضرب له على الوتر الحساس وهو الموافقة على تعيين عبد الله بن عمر مرشح أبي موسى وصهره .

انخدع أبو موسى بكلام عمرو وانطلت عليه الحيلة فقام وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله : أيها الناس ، أنا قد نظرنا في أمرنا ، فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ، ولمّ الشعث ، وحقن الدماء ، وجمع الألفة ، خلعنا علياً ومعاوية . . . وقد خلعت علياً كما خلعت عمامتي هذه ، ثم أهوى إلى عمامته فخلعها . واستخلفنا رجلاً قد صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه ، وصحب أبوه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فبرز في سابقته وهو عبد الله بن عمر ، واطراه ورغب الناس فيه ، ثم نزل .

فقام عمرو فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال : أيها الناس ، إن أبا موسى عبد الله بن قيس - الأشعري - قد خلع علياً وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وإني قد خلعت علياً معه وأثبت معاوية عليّ وعليكم . . .

فقال أبو موسى : كذب عمرو ، لم نستخلف معاوية ، ولكننا خلعنا معاوية وعلياً معاً . . .

فقال عمرو : بل كذب عبد الله بن قيس . . . قد خلع علياً ، ولم أخلع معاوية .

فقال أبو موسى : ما لك لا وفقك الله ، غدرت . . . وفجرت ؟ ! إنما مثلك كمثّل الحمار يحمل أسفاراً . . .

فقال له عمرو : بل إياك يلعن الله ، كذبت وغدرت . . . إنما مثلك مثل الكلب أن تحمل عله يلهث أو تتركه يلهث . . . ثم ركل أبا موسى فألقاه لجنبه . .

فلما رأى ذلك شريح بن هانيء قنع عمرواً بالسوط ، وتحول أبو

موسى فاستوى على رحلته ، ولحق بمكة ، ولم يعد إلى الكوفة .

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي أنه : لما أراد عمرو بن العاص التوجه إلى دومة الجندل ، قال له معاوية : « إنك قد رميت برجل طويل اللسان قصير الرأي . . . فلا ترمه بعقلك كله . . .

وفي دومة الجندل . . . أُخلي لهما مكان - لعمرو ولأبي موسى - يجتمعان فيه . فامهله عمرو بن العاص ثلاثة أيام . . . ثم أقبل إليه بأنواع من الطعام يشتهيها . حتى إذا استبطن أبو موسى نجاه عمرو ، فقال له :

يا أبا موسى أنك شيخ أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وذو فضلها ، وذو سابقتها ، وقد ترى ما وقعت فيه هذه الأمة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها . . فهل لك أن تكون ميمون هذه الأمة فيحققن الله بك دماءها . . . فإنه يقول في نفس واحدة : « ومن أحيائها فكأنما أحيانا الناس جميعاً » ، فكيف بمن أحيانا أنفس هذا الخلق كله ؟ !

قال أبو موسى : وكيف ذلك ؟

قال عمرو : تخلع أنت علي بن أبي طالب ، واخلع أنا معاوية بن أبي سفيان ، ونختار لهذه الأمة رجلاً لم يحضر في شيء من الفتنة ، ولم يغمس يده فيها . .

قال له أبو موسى : ومن يكون ذلك ؟

وكان عمرو بن العاص قد فهم رأي أبي موسى في عبد الله بن عمر ، فقال له : عبد الله بن عمر . . .

فقال أبو موسى : أنه لكما ذكرت ، ولكن كيف لي بالوثيقة منك ؟

فقال له - عمرو - : يا أبا موسى ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، خذ من العهود والمواثيق حتى ترضى .

ثم لم يبق عمرو بن العاص عهداً ولا موثقاً ، ولا يميناً مؤكدة حتى

حلف بها . . . حتى بقي الشيخ مبهوتاً . . . وقد انطلت عليه خديعة عمرو وصدق بها -

فقال له : قد أجبت . . .

فنودي في الناس بالإجتماع إليهما . . . فاجتمعوا .

فقال له عمرو : قم فاخطب الناس يا أبا موسى .

فقال أبو موسى : قم أنت اخطبهم .

فقال عمرو : سبحان الله ! أنا أتقدمك وأنت شيخ أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والله لا فعلت أبداً . . .

قال أبو موسى : أو عسى في نفسك أمر ؟

فزاده عمرو إيماناً وتوكيداً ، حتى قام الشيخ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، أني قد اجتمعت أنا وصاحبي على أن أخلع أنا علي بن أبي طالب ، ويعزل هو معاوية بن أبي سفيان ، ونجعل هذا الأمر لعبد الله بن عمر ، فإنه لم يحضر في فتنة ، ولم يغمس يده في دم امرئ مسلم .

ألا وإني قد خلعت علي بن أبي طالب كما أخلعت سيفي هذا ، ثم خلع سيفه من عاتقه ، وجلس وقال لعمرو : قم . .

فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، إنه كان من رأي صاحبي ما قد سمعتم ، وأنه قد أشهدكم أنه خلع علي بن أبي طالب كما يخلع سيفه . . وأنا أشهدكم أني قد أثبت معاوية بن أبي سفيان كما أثبت سيفي هذا وكان قد خلع سيفه قبل أن يقوم إلى الخطبة فأعاده على نفسه .

فاضطرب الناس ، وخرجت الخوارج ، وقال أبو موسى لعمرو : لعنك الله . . فإنّ مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

قال عمرو - لأبي موسى - : لعنك الله . . . فإن مثلك كمثّل
الحمار يحمل أسفاراً^(١) .

هذا ما كان من أمر الحكمين أبي موسى الأشعري وعمرو بن
العاص . . .

لكن اختلفت الروايات فبعضها يذكر أن الذي اقترح خلع . . .
علي . . . (عليه السلام) . . . ومعاوية هو أبو موسى الأشعري
- مندوب أهل العراق -

وبعض الروايات تذكر أن الذي اقترح الخلع هو عمرو بن العاص
كما ذكرنا آنفاً من رواية صاحب العقد الفريد .

وعلى كل حال سواء كان المقترح للخلع والشنحية هو عمرو بن
العاص . . . أم هو أبو موسى الأشعري فإن كلا الرجلين لم يكن أحدهما
ليضمّر خيراً في نفسه لعلّ (عليه السلام) . . . إذ بمجرد أن اقترح
أحدهما الخلع وافقه الثاني على ذلك . .

أما أبو موسى فقد ظلمه الهوى . . . واستدرجه الغرور . . فأراد
أن يفوز بالخلافة صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب . علاوة على ما في
نفسه من الحقد على علي (عليه السلام) .

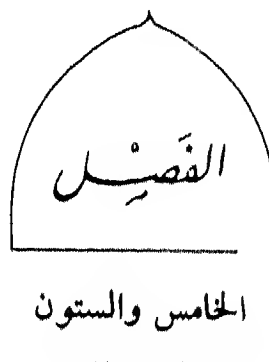
وأما عمرو بن العاص مندوب معاوية وأهل الشام فمواقفه السيئة
من الإسلام معروفة وحقده على علي لا ينكر . وخصوصاً بعد ما اشترى
معاوية ولاءه بوالاية مصر طعنة إذا استتب لهما الأمر .

ومهما اختلفت الروايات والعبارة في قصة اتفاق الحكمين
فالمضمون واحد . . .

وعلى كل حال فإنّ الحكمين لم يكن عملهما إلّا خالصاً للدنيا ولم
يكن للأخرة عندهم نصيب .

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي : ج ٤ ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

ولا يسعنا إلا القول : إن نتيجة التحكيم كانت ضربة قاسية على المسلمين إذ جرت عليهم الولايات ومزقت صفوفهم وقد سجل التاريخ على صفحاته لمعاوية وعمرو بن العاص سجلاً أسوداً مملوءاً بالغدر والخداع ، والزيف ، والضلال .



قصة الخوارج

لا يسعنا ونحن نذكر وقعة صفين وما رافقها من وقائع ، وما تلاها من أحداث . . . إلا التعرض والبحث في أمر العصاة التي انشقت عن جيش أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في صفين ، وانحازت عنه إلى حروراء - قرية قرب الكوفة - في طريق عودته إلى الكوفة . . . وبعد ذلك خرجت عليه تحاربه . . . فمن هي هذه العصاة المنشقة . . . ؟

ومن هي هذه العصاة الخارجة على إمام زمانها وخليفة رسول الله علي ؟

ومن هي هذه العصاة التي أعلنت العصيان على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين بعد أن بايعته بالخلافة طاعة مختارة . . . ثم ثارت عليه تحاربه . . . ؟

. . . إنها هي الفئة المارقة . . .

إنهم الخوارج الذين لقبوا بالحرورية نسبة إلى حروراء القرية التي انحازوا إليها . . . وأعلنوا العصيان فيها . . . ومنها خرجوا لمحاربته . . .

الخوارج قوم كانوا مع علي أمير المؤمنين ، ومن جملة المقاتلين ،

الذين خرجوا معه إلى صفين لحرب معاوية بن أبي سفيان وأتباعه . . .
القاسطين . . .

والخوارج هم من جملة القراء ، والمتعبدين . . . الذين أطلق
عليهم - لقب أصحاب الجباه السود . . . لكثرة سجودهم .

والخوارج هم المارقون الذين وصفهم رسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) بقوله : « قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من
 الرمية . . . »

والخوارج هم من جملة القراء الذين تحدث عنهم رسول الله
 (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال : يتلون القرآن لا يتجاوز
 تراقيهم . . .

والخوارج هم الحرورية . . تلك الطائفة أو العصابة الغالية في
 مشاقها . . . وهم الذين اتوى بهم تفكيرهم ، فأنحازوا عن جادة
 الصواب ، وسلكوا طريق الضلال . . .

والخوارج هم الذين انتفضوا يأبون التحكيم يوم صفين
 وصاحوا :

. . . لا حكم إلا لله . . . كلمة حق يراد بها باطل .
 أليس هم الذين بالأمس أرادوا التحكيم . . . حتى أجبروا أمير
 المؤمنين علي على قبوله . . . ؟!

أليسوا هم الذين أغرقوا في التعسف على حمل أمير المؤمنين لإيقاف
 القتال وإصدار أمره لقائده الباسل مالك الأشتر بالرجوع عن القتال بعد
 أن كان النصر يرفرف فوق لوائه . . . وبعد أن كان مالك على أبواب
 فسطاط معاوية .

فالعجب كل العجب كيف استمرت عقول الخوارج أن تحالف
 أمير المؤمنين وتعصيه بعد أن بايعته ، وخرجت معه تحارب الفئة
 الباغية . . . معاوية وأتباعه ففيم خروجها عليه حين مرجعها . . . ؟!

وأي الأمور تنكرها عليه . . ؟! وكان الأخرى بها أن تبدي له من ندمها وتوبتها عما فرط منها في صفين . . . من اغترارها بقول المنافقين وأهل الأهواء والأغراض من أعدائه لحمله على وقف القتال . . . وقبول التحكيم .

أجل . . فالخوارج قبلوا التحكيم ، وغالوا في تقبله حتى أجبروا علياً على قبوله كما أسلفنا .

وها هم بعد ذلك يابون التحكيم . . ويخرجون على إمامهم أمير المؤمنين ومن بين هذين الموقفين ، فرخت الفتن ، وجرت على المسلمين الحروب والويلات في أزمنة شتى .

استحدث الخوارج نظاماً جديداً ، قادهم إليه تفكيرهم الخاطيء . . فإنهم بعد وثيقة التحكيم أدركوا أنهم قد أخطأوا في إيقاف القتال ، وبأن لهم أن التحكيم الذي أرادوه وأصروا عليه ، هو خطأ كبير لا يحويه إلا العودة إلى القتال . . . وقد نسوا أو تناسوا أنهم هم الذين ارتكبوا ذنباً عظيماً بانشقاقهم إذ فتحو ثغرة أدت إلى تفريق الجيش العراقي وتشتيته .

ومن غبائهم ، وسوء تفكيرهم ، وعنادهم ذهبوا إلى علي (عليه السلام) يطلبون منه العودة إلى القتال ونقض التحكيم . . .

ومن غبائهم أيضاً أنهم نسوا إلى أن التحكيم لا يمكن الرجوع عنه لأسباب عدة أهمها . . . إن صحيفة التحكيم كتبت ، وختمت من الطرفين وأعطى الفريقان العهود والمواثيق على العمل بما فيها . . . وأنه لا يمكن نقضها والرجوع إلى القتال إلا بعد انقضاء مدة الأجل وعدم العمل بالشروط المدونة فيها . . .

وعلى هذا كان جواب أمير المؤمنين علي لهم : « قد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً ، وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا . . . وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ

بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً أن الله يعلم ما تفعلون ﴿١﴾ .

روى الطبري في تاريخه : إن علياً (عليه السلام) لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج وهما زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي فقالا له : لا حكم إلا لله . . وقال حرقوص : تب من خطيئتك يا علي ، وارجع عن قضيتك وأخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا . . .

قال علي (عليه السلام) : « قد أردتكم على ذلك فعصيتُموني وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عهداً . . . الخ » . فقال حرقوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه . .

« فقال علي (عليه السلام) : ما هو ذنب ولكنه عجز من الرأي وضعف من الفعل وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه » . وقال زرعة : أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله قاتلتك .

فقال علي : « بؤساً لك ما أشقاك كأي بك قتيلاً تسفي عليك الريح » .

ثم أن الخوارج لقي بعضهم بعضاً واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فخطبهم ، فزهدهم في الدنيا وحرَضهم ، ثم قال : أخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى كور الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن .

فقال حمزة بن سنان الأسدي : يا قوم أن الرأي ما رأيتم ، فولوا أمركم رجلاً منكم ، فإنكم لا بد لكم من عماد ، وسناد ، وراية تحفون بها ، وترجعون إليها . فولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي . . .

(١) سورة النحل : الآية ٩١ .

فبايعوه لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ هجرية وكان يقال له . . . ذو الثفنات^(١) .

ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبيسي : فقال ابن وهب : اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنقاذ حكم الله .

قال شريح : نخرج إلى المدائن ، فننزلها ونأخذ بأبوابها ونخرج منها سكانها ونبعث إلى أخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا .

فقال زيد بن حصين : أنكم إن خرجتم مجتمعين اتبعتم ، ولكن أخرجوا وحداناً مستخفين ، فأما المدائن فإن بها من يمنعكم ولكن سيروا حتى جسر النهروان ، وتكاتبوا أخوانكم . فقالوا : هذا هو الرأي .

وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة يعلمهم ما اجتمعوا عليه ويحثهم على اللحاق بهم . ولما عزموا على المسير ساروا يوم السبت إلى النهروان^(٢) .

(١) الثفنات : جمع ثفنة وهي من البعير ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغلظ . . . يريد أن جبهته لأثر السجود فيها تشبه الثفنات من البعير .
(٢) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ٥٤ - ٥٥ راجع أيضاً الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٧٠ وغيرهما من كتب التاريخ .

بعض خطب أمير المؤمنين علي بالكوفة لما خرجت عصابة الخوارج

ذكر ابن الأثير في تاريخه : لما خرجت الخوارج من الكوفة ، أتى علياً أصحابه وشيعته ، فبايعوه ، وقالوا :

نحن أولياء من واليت . . وأعداء من عاديت . . فشرط لهم فيه سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . الخ .

وأما خوارج البصرة فلإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل ، وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي . فعلم بهم ابن عباس فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي ، فلحقهم بالجسر الأكبر ، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل ، وأدلى مسعر بأصحابه . وأقبل يعترض الناس ، وعلى مقدمته الأشرس بن عوف الشيباني . وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر .

فلما خرجت الخوارج ، وهرب أبو موسى إلى مكة وردَّ علي ابن عباس إلى البصرة ، قام علي (عليه السلام) في الكوفة فخطب ، فقال : كما جاء في نهج البلاغة .

« الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

أما بعد فلإن معصية الناصح الشفيق العالم ، المجرب تورث

الحسرة ، وتعقب الندامة . وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت^(١) لكم مخزون رأي لو كان يطاع لقصير أمر^(٢) فأبيتم علي إباء المخالفين الجفأة . . والمنابذين العصاة . . . حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وظن الزند بقدحه . . فكنت وإياكم كما قال أخوا هوازن : » .

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى
فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد^(٣)

وفي تاريخ ابن الأثير أيضاً عن علي (عليه السلام) أنه قال بعد الخطبة :

« إلا أن هذين الرجلين - هما أبو موسى الأشعري وعمر بن العاص - الذين اخترتموهما حكمين » قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، واحييا ما أمات القرآن وأتبع كل واحد منهما هواه ، بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة . . . ولا سنة ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد ، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين .

استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام ، وأصبحوا في معسكرهم إن شاء الله يوم الإثنين ثم نزل وكتب إلى الخوارج بالنهر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معها من الناس .

أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيناها حكمين ، قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله ، فلم يعملوا بالسنة ولم ينفذا

(١) وفي الطبري وابن كثير في البداية والنهاية : ونخلتكم رأي فأبيتم إلا ما أردتم .
(٢) هو مولى جذيمة المعروف بالأبرش وكان حاذقاً ، وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته ، فقال قصير : « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً .
(٣) نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده : ج ١ ص ٨٦ .

للقرآن حكماً فبرئ الله ورسوله منها والمؤمنون . . . فإذا بلغكم كتابي هذا ، فاقبلوا فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم ، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام » .

فكتبوا إليه : أما بعد . . . فإنك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر ، واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نبذناك^(١) على سواء إن الله لا يحب الخائنين .

فلما قرأ - أمير المؤمنين - كتابهم آيس منهم ، ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس حتى يلقي أهل الشام ، فيناجزهم . فقام في أهل الكوفة فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد . . . فإنه من ترك الجهاد في الله وأدهن في أمره كان على شفا هلكة ، إلا أن يتداركه الله بنعمته . . فاتقوا الله ، وقاتلوا من حاد الله ورسوله ، وحاول أن يطفئ نور الله فقاتلوا الخاطئين . . الضالين . . القاسطين الذين ليسوا بقراء للقرآن ، ولا فقهاء في الدين ، ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام ، والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى ، وهرقل ، تيسروا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب - ويراد بهم أهل بلاد الشام - وقد بعثنا إلى أخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا اجتمعتم شخصنا إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »^(٢) .

(١) وفي تاريخ الطبري نابذناك .

(٢) تاريخ ابن الأثير : ج ٣ ص ١٧٠ - ١٧١ .

من بعض أفعال الخوارج المنكرة

أعلنت العصيان عصابة الخوارج ، واجتمع رأي قوادها على تفجير الثورة والتمرد على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين علي بن أبي طالب . وتواطئوا على المسير إلى المدائن منتجعهم الجديد ، فكان الشيطان لهم قائداً . . . والضلال رائداً فكانوا مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً - أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ (١) .

هؤلاء الجهلة الضالون الذين زين لهم إبليس سوء أعمالهم فضلوا وما كانوا مهتدين ، وعاثوا في الأرض فساداً . . فسفكوا الدماء . . . وقطعوا السبل . . واستحلوا المحارم . . وراحوا يؤولون القرآن كلام الله سبحانه حسب أهوائهم المضلة ومفاهيمهم الفاسدة . . .

وقد أخذوا يفعلون أفعالاً ينكرها عليهم الدين الذي تلبسوا به وتستروا بظله . . وينكرها عليهم العرف الإنساني . . وينكرها عليهم العمل بمكارم الأخلاق وخصوصاً أن الإسلام أوصى بمكارم الأخلاق .

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ .

والخوارج بعد أن انشقوا عن جماعة المسلمين لم يفعلوا فعلاً مرضياً أو عملاً يحمدون عليه ، بل سجل لهم التاريخ على صفحاته أفعالاً مشينة ، وأخلاقاً سيئة وأموراً لا يمجها العقل ، وينكرها الوجدان ، وهي مسجلة عليهم حتى قيام الساعة .

جاء في تاريخ الطبري : أن الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من أخوانها بالنهر ، فخرجت عصابة منهم ، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار . . فعبروا إليه ، فدعوه ، فتهددوه ، وأفزعوه وقالوا له : من أنت ؟

قال : أنا عبد الله ابن خباب صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(١) . ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض ، وكان سقط عنه لما أفزعوه . . .

فقالوا له : أفزعاك . . . ؟

قال : نعم . .

قالوا له : لا روع عليك . . .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أنهم قالوا له : فما سمعت من أبيك يحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ . .

قال لهم : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « إن طائفة تمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، يقرءون القرآن ، صلاتهم أكثر من صلاتكم . . . » الحديث .

وفي تاريخ الطبري أيضاً أن عصابة الخوارج قالت لعبد الله بن خباب : ما تقول في علي قبل التحكيم . . . وبعده . . . ؟

قال : إنه أعلم بالله منكم . . . وأشد توقياً على دينه . . . وأنفذ بصيرة .

(١) كان عبد الله بن خباب بن الأثر عاملاً لعلي (ع) على المدائن قتله الخوارج ذبحاً .

فقالوا له : إنك تتبع الهوى ، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها ، والله لنقتلك قتلة ما قتلناها أحداً . .

فأخذوه . . . فكتفوه . . ثم أقبلوا به وبامراته وهي جبلى متم . . . حتى نزلوا تحت نخل موافر^(١) فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم ، فقف بها في فمه .

فقال أحدهم : بغير حلها . . . وبغير ثمن ! . . . فلفضها . . . وألقاها من فمه .

ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه - وتابع سيره - فمر به خنزير لأهل الذمة . . . فضربه بسيفه .

فقالوا له : هذا فساد في الأرض . . . !

فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره .

فلما رأى عبد الله بن خباب ذلك منهم قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى . . . فما علي منكم بأس . . . إني لمسلم ، ما أحدثت في الإسلام حدثاً . . . ولقد آمنتوني قلتم . . . لا روع عليك . . . وكانوا قالوا له ذلك لما لقيهم .

فجاءوا به فاضجعوه ، فذبحوه . . وسال دمه في الماء . .

وأقبلوا إلى المرأة . . فقالت : إني إنما أنا امرأة . . . ألا تتقون الله . . . ؟

فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاثة نسوة من طيء . . وقتلوا أم سنان الصيداوية^(٢) .

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين عن أبي العباس المبرد في

(١) أوقرت النخلة : كثر حملها فهي موقرة . المنجد في اللغة .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ٦٠ - ٦١ .

الكامل أنه قال : الخوارج مضوا إلى النهروان ، فمن طريف أخبارهم ، أنهم أصابوا في طريقهم مسلماً ونصرانياً . فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر ، لأنه على خلاف معتقدهم . واستوصوا بالنصراني . . . وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم .

قال : ونحو ذلك أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة ، فأحس بالخوارج . .

فقال واصل لأهل الرفقة : إن هذا ليس من شأنكم ، فاعتزلوا ، ودعوني وإياهم . . . وكانوا قد أشرفوا على العطب . فقالوا له : شأنك . . .

فخرج إليهم ، فقالوا له : ما أنت وأصحابك ؟ قال واصل قوم مشركون ، مستجيرون بكم ليسمعوا كلام الله ، ويفهموا حدوده .

قالوا : قد أجرناكم . . . قال واصل : فعلمونا . . . ؟ فجعلوا يعلمونهم أحكامهم . . . ويقول واصل : قد قبلت أنا ومن معي .

قالوا : فامضوا مصاحبين فقد صرتم إخوانا . فقال واصل : بل تبلغوننا مأمناً ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ (١) .

قال : فينظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا : ذلك لكم . فساروا معهم بجمعهم حتى أبلغوهم المأمن . وبهذا الأسلوب نجى واصل بن

(١) سورة التوبة: الآية ٦ .

عطاء ورفاقه من الخوارج الذين لم يتورعوا عن قتل أي كان على خلاف رأيهم .

وفي البداية والنهاية لابن كثير : لما بلغ الناس هذا من صنع الخوارج خافوا أن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله أن يخلفهم هؤلاء في ذرايعهم وديارهم بهذا الصنع . فخافوا غائلتهم وجاءوا إلى علي (عليه السلام) بأن يبدأ هؤلاء - الخوارج - ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام بعد ذلك والناس آمنون من شرهم .

فاجتمع الرأي على هذا . . فأرسل علي إلى الخوارج رسولا من جهته وهو الحرب بن مرة العبدي ، فقال له :

أخبر لي خبرهم . . واعلم لي أمرهم . . واكتب إلي به على الجلية . .

فلما قدم الحرب بن مرة العبدي على الخوارج . . . قتلوه . . ولم ينظروه .

فلما بلغ ذلك علياً عزم على الذهاب إليهم أولاً قبل أهل الشام^(١) .

أقول : هكذا كان فعل الخوارج مع من لا يكون معهم ولا يوافقهم على رأيهم الضال . . . فمن جملة أعمالهم المنكرة قتلهم عبد الله بن خباب بن الإريث صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان عبد الله عامل علي على المدائن قتلوه مع زوجته الحامل بعد أن بقروا بطنها وقتلوا معها جملة من النساء من غير ذنب جنوه أو جريرة اقترفوها .

وهكذا قتل الخوارج الحرب بن مرة العبدي رسول علي (عليه السلام) إليهم إذ أرسله أمير المؤمنين علي ليعلم رأيهم وما هم

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٧ ص ٢٨٦ .

عليه . فقتلوه قبل أن يكلمهم ويسمعوا منه سبب مجيئه .
وقد خالفوا بذلك العرف المعمول به من قديم الزمان . . والسنة
الاجتماعية من أن الرسول لا يقتل .

مسير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج ومواجهتهم

لما بلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن الخوارج أخذوا يعترضون الناس ويفعلون الأفعال المنكرة ، كقتلهم عبد الله بن خباب وامراته التي بقروا بطنها عن جنينها . . . وقتل ثلاث نسوة من طيء ، وأم سنان الصيداوية وكذلك قتلهم لرسوله إليهم الحرب بن مرة العبدي . . .

وبعد أن طلب منه أصحابه السير إلى الخوارج قائلين سر بنا إلى قتالهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام . . . كان لا بد له (عليه السلام) من تغيير وجهة سيره ، ومواجهة هذه العصاة المنشقة المفسدة في الأرض .

جاء في تاريخ ابن الأثير : لما أجمع علي (عليه السلام) على الخروج إلى الخوارج ، خرج فعبر الجسر ، وسار إليهم ، فلقاه منجم في مسيره ، فأشار عليه أن يسير وقتاً من النهار ، فقال له : إن أنت سرت في غيره ، لقيت أنت وأصحابك ضراً شديداً . . .

فخالفه علي (عليه السلام) وسار في الوقت الذي نهاه عنه . . .

فلما فرغ من أهل النهر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

لو سرنا في الساعة التي أمر بها المنجم ، لقال الجهال الذين لا

يعلمون شيئاً : سار في الساعة التي أمر بها المنجم . . . فظفر . . .

وكان المنجم هو مسافر بن عفيف الأزدي .

وأرسل علي (عليه السلام) إلى أهل النهروان^(١) أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم ، اقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم ، حتى ألقى أهل المغرب^(٢) فلعل الله يقبل بقلوبكم^(٣) ، ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم .

فقالوا : كلنا قتلهم ، وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم . . .

وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة ، فقال لهم : عباد الله ، اخرجوا إلينا طلبتنا منكم ، وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه ، وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم ، فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشرك . . . وتسفكون دماء المسلمين !

فقال له عبد الله بن شجرة السلمي : إن الحق قد أضياء لنا ، فلسنا متابعيكم . . .

فقال قيس بن سعد : نشدتكم الله في أنفسكم أن تهلكوها ، فلم يـ
لا أرى الفتنة إلا وقد غلبت عليكم .

وخطبهم أبو أيوب الأنصاري ، فقال : عباد الله إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها . . . ليست بيننا وبينكم فرقة . . . فعلاًم
تقاتلوننا ؟

(١) نهروان : وأكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون ، وهي ثلاثة نهروانات : الأعلى ، والأوسط والأسفل ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد . وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع الخوارج مشهورة ، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب . معجم البلدان لياقوت .

(٢) في الطبري : حتى ألقى أهل الشام .

(٣) في الطبري : يقبل بقلوبكم .

فقالوا : أنا لو تابعنكم اليوم حكمتكم غداً . . .

قال أبو أيوب : فإني أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام ، مخافة ما يأتي في القابل .

وأتاهم علي (عليه السلام) فقال : « أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء ، واللجاجة . . . وصدها عن الحق الهوى . . وطمع بها النزق . . وأصبحت في الخطب العظيم^(١) إني نذير لكم إن تصبحوا تلعنكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا الوادي ، وبأهضام هذا الغائط^(٢) بغير بينة من ربكم ولا برهان مبين .

ألم تعلموا أنني نهيتكم عن الحكومة ونبأتكم أنها مكيدة ، وأن القوم ليسوا بأصحاب دين . . . فعصيتُموني . فلما فعلت شرطت ، واستوثقت على الحكمين أن يحيا ما أحيا القرآن ، ويميتا ما أمات القرآن . . . فاختلفا ، وخالفا حكم الكتاب والسنة ، فنبذنا أمرهما ، ونحن على الأمر الأول^(٣) فمن أين أتيتُم . . ؟!

فقالوا : إنا حكمنا . . . فلما حكمنا أثمنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا . . . فإن تبت فنحن معك ، ومنك ، وإن أبيت فإننا منابذك على سواء .

فقال علي (عليه السلام) : « أصابكم حاصب . . . ولا بقي منكم وابر^(٤) ، أبعد إيماني برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) وفي تاريخ الطبري : وأصبحت في اللبس والخطب العظيم .

(٢) الغائط : المطمئن من الأرض ، المنجد في اللغة .

(٣) وفي تاريخ الطبري : ونحن على أمرنا الأول ، فما الذي بكم ، ومن أين أتيتُم .

(٤) وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : أبر : وقوله (عليه السلام) « ولا بقي منكم أبر » يروي على ثلاثة أوجه : أحدها : أبر بالراء ، من قولهم : رجل أبر ، للذي يأبر النخل أي يصلحه .

ويروي آثر بالشاء : للذي يأثر الحديث ، أي يرويه ، ويحكيه . كأنه (عليه السلام) قال : لا بقي منكم مخبر : ويروي : أبرز - بالزاء المعجمة وهو =

وهجرني معه ، وجهادي في سبيل الله ، أشهد على نفسي بالكفر . . لقد ضللت إذأ وما أنا من المهتدين » ثم انصرف عنهم .

وذكر صاحب شرح النهج ابن الحديد كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى الخوارج : كما ذكر الطبري وابن الأثير . وزاد من أنه قال لهم (عليه السلام) : فأوبوا شر مآب . . وارجعوا على أثر الأعقاب .

أما أنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاطعاً ، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة » .

وفي تاريخ ابن الأثير أيضاً : أن الخوارج قصدوا جسر النهر بعد أن انصرف علي عنهم وكانوا غرب النهر .

فقال لعلي (عليه السلام) أصحابه : إنهم - أي الخوارج - قد عبروا النهر .

فقال (عليه السلام) : لن يعبروا . . .

فأرسلوا طليعة ، فعاد وأخبرهم أنهم عبروا النهر ، وكان بينه وبينهم عطفة من النهر ، فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم ، فعاد ، فقال : أنهم قد عبروا النهر .

فقال علي (عليه السلام) : « والله ما عبروه ، وأن مصارعهم لدون الجسر ، والله لا يقتل منكم عشرة ، ولا يسلم منهم عشرة » .

وتقدم علي (عليهم السلام) إليهم ، فرآهم عند الجسر لم يعبروه . . . وكان الناس قد شكوا في قوله . . . وارتاب به بعضهم . . .

= الوائب ، والهالك . وفسر الرضي رحمه الله : يجوز أن يريد بقوله (عليه السلام) : « ولا بقي منكم أبر » أي غام يفسد ذات البين . والمثيرة : النيمة . والأبر أيضاً : من يبغي القوم الغوائل خفية .

فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا . . . وأخبروا علياً بحالهم . . .
فقال (عليه السلام) : « والله ما كذبت ولا كذبت »^(١) .

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٧٤ .

قتال الخوارج

في البداية والنهاية لابن كثير أنه لما وصل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى النهروان تقدم إلى الخوارج ، ووعظهم ، وخوفهم . وحذرهم ، وأنذرهم ، وتوعدهم ، وقال : « إنكم أنكرتم علي أمراً أنتم دعوتوني إليه ، فنهيتكم عنه ، فلم تقبلوا . . . وها أنا وأنتم ، فارجعوا إلى ما خرجتم منه ، ولا تتركبوا محارم الله ، فإنكم قد سولت لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين ، والله لو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيماً عند الله ، فكيف بدماء المسلمين ؟! »

فلم يكن للخوارج جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ، ولا تكلموهم ، وتهيؤوا للقاء الرب عز وجل . . .
الرواح ، الرواح إلى الجنة . .

أقول : أثر الخوارج الحرب إذ وجدوه برأيهم حلاً لازماً للخلاف الذي أنشبهه ، فأساليب التفاهم بينهم وبين علي بن أبي طالب وأصحابه قد تقطعت ، وفكرة العودة إلى جماعة المسلمين والإنضمام معهم تحت لواء أمير المؤمنين علي ذابت في غمرة العناد الذي يجافي كل حق ، ومنطق ، وروية . . .

أصروا على تشددهم وعنادهم ، فكان علي (عليه السلام)

يخاطبهم فلم يسمعون لقوله . . . ولم يصغوا إلى نصيحته وكأنما كان يخاطب أجساماً بلا عقول .

كان (عليه السلام) يعلم مصيرهم وأن عاقبة أمرهم إلى خسران . . . ولكن من باب الحجة عليهم بقي يعظهم . . . ويخوفهم عاقبة الأمور حتى آخر لحظة . . .

لكنهم كانوا لا يفقهون قوله (عليه السلام) وكأنهم سكارى ، إذ غلب على أفئدتهم هواها ، فعميت منهم البصائر ، وخفت منهم الأحلام ، فراحوا يخبطون إلى الهاوية خبط عشواء ، كأنهم معصوبو الأعين . . . وما أكثف العمى الذي يجيء عن تعصب . . . حتى أصبحوا لا يرون إلّا رأيهم ، ولا يسمعون إلّا قولهم ، ولم يزدتهم دعاء علي (عليه السلام) وتحذيره إياهم إلّا فراراً فأبوا الإنصياح إلى قوله ، وتنادوا بشعارهم . . الرواح الرواح إلى الجنة .

وفي البداية والنهاية لابن كثير أيضاً : تقدم الخوارج فاصطفوا للقتال ، وتأهبوا للنزال ، وجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي ، وعلى اليسرة شريح بن أوفى ، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان ، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي ووقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه .

وعبأ علي (عليه السلام) أصحابه فجعل على ميمنته حجر بن عدي ، وعلى اليسرة شيب بن ربعي ومعقلة بن قيس الرياحي ، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري ، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري ، وعلى أهل المدينة - وكانوا في سبعمائة - قيس بن سعد بن عبادة .

وأمر علي (عليه السلام) أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم : من جاء إلى هذه الراية فهو آمن . . . ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن . . . إنه لا حاجة لنا فيكم إلّا فيمن قتل أخواننا . .

فانصرف منهم طوائف كثيرون - وكانوا في أربعة آلاف . . .
 وقال علي (عليه السلام) لأصحابه : كفوا عنهم حتى
 يبدوكم . . .
 وأقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلا لله . . . الرواح الرواح
 إلى الجنة . . .

فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي . . . واشتدت المعركة .
 نهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف ، فأناموا الخوارج ،
 فصاروا صرعى تحت سنانك الخيول . . .
 وقتل أمراؤهم . . . عبد الله بن وهب ، وحر قوص بن زهير ،
 وشريح بن أوفى ، وعبد الله السلمي . . . قبحهم الله .
 ولم يقتل من أصحاب علي (عليه السلام) إلا سبعة نفر . . .
 وجعل علي يمشي بين القتلى منهم ويقول : « بؤساً لكم . . . لقد
 ضرركم من غركم . . . » .

فقالوا له : يا أمير المؤمنين . . . ومن غرهم ؟ .
 قال (عليه السلام) : « الشيطان . . . وأنفس بالسوء أماره ،
 غرّتهم بالأماني ، وزينت لهم المعاصي ، نبأتهم أنهم ظاهرون » .
 ثم أن علياً أمر بالجرحى من بينهم ، فإذا هم أربعمائته ، فسلمهم
 إلى قبائلهم ليداووهم .

وقال الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج عن النزال بن سبرة : إن
 علياً لم يغمس ما أصابه من الخوارج يوم النهروان ، ولكن رده إلى أهله
 كله ، حتى كان آخر ذلك مرجل ، فأتي به فردّه^(١) .

أقول : نهج أمير المؤمنين علي (عليه السلام) منهجاً عادلاً رحيماً

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٧ ص ٢٨٨ .

في جميع معاركه وحروبه ، يتلائم مع مثله العليا وسجاياه من العفو والحلم والصفح . . .

فما فعله مع أهل النهروان - الخوارج - كان مماثلاً لما فعله مع من حاربه من أهل البصرة يوم الجمل . .

فكما نادى مناديه يوم الجمل : لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً . . . ومن دخل داره فهو آمن . . . الخ .

نجدته (عليه السلام) أعطى يوم النهروان راية الأمان لأبي أيوب الأنصاري ، وأمره بأن ينادي : من جاء تحت هذه الراية فهو آمن . . . ومن لم يقتل ولم يستعرض ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن . . . الخ .

كذلك نجدته (عليه السلام) لم يتخذ يوم الجمل من مغانم الحرب لأصحابه شيئاً ، ولم يباح لهم سوى ما وجدوه في المعسكر من سلاح أو كراع . . .

وفي يوم النهروان لم يخمس (عليه السلام) ما أصابه من الخوارج من مغانم بعد انتهاء المعركة . . . بل ردها إلى أهلها . وفي الطبري : وأما السلاح والدواب وما شهدوا به عليه الحرب فقسمه^(١) .

وربّ قائل يقول : لماذا اختلفت معاملة أمير المؤمنين علي مع أهل الشام يوم صفين إذ لم يأمر جيشه بالكف عن المدبر والمنهزم ؟ بل أمر بقتالهم حتى النهاية . . . عكس سيرته مع أهل الجمل والنهروان . . . مع أن الكل له عدو ومحارب . . .

ويأتي الجواب . . . بأن الخوارج وأصحاب الجمل ، كانوا جماعة

(١) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ٦٦ قال علي (ع) خذوا ما في عسكريهم من شيء . وأما السلاح والدواب وما شهدوا به عليه الحرب فقسمه بين المسلمين وأما المتاع والعبيد ، والإماء فإنه رده على أهله .

أعلنت العصيان والتمرد . . . وليس لها ركن تأوي إليه كسلطان أو أمير تلوذ به بعد الإهزام ، وتستند عليه لتعود إلى حرب علي في أي لحظة استعادت بها أنفاسها ، وتمكنت من مقاومته وحربه . . . ويختلف الحال مع أهل الشام الذين بايعوا معاوية بن أبي سفيان على حرب علي (عليه السلام) ومناوئته . . . إذ اتخذوا من معاوية ركناً يلجئون إليه .

وفي الوسائل للحر العاملي : عن حفص بن غياث أنه قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الطائفتين من المؤمنين إحداها باغية ، والأخرى عادلة . فهزمت الباغية العادلة . . . ؟ .

قال : ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبراً ، ولا يقتلوا أسيراً ، ولا يجهزوا على جريح ، وهذا إذا لم يبق من أهل البغي أحد ، ولم يكن فئة يرجعون إليها . . .

فلماذا كانت لهم فئة يرجعون إليها فإن أسيرهم يقتل ومدبرهم يتبع ، وجريحهم يجهز عليه .

وفي الوسائل أيضاً : عن عبد الله بن شريك عن أبيه ، قال : لما هزم الناس يوم الجمل قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : لا تتبعوا مولياً ، ولا تجهزوا على جريح ، ومن أغلق بابهُ فهو آمن . . .

فلما كان يوم صفين ، قتل المقبل والمدبر ، وأجاز والظاهر : وأجهز على جريح .

فقال أبان بن تغلب لعبد الله بن شريك : هذه سيرتان مختلفتان ! فقال : إن أهل الجمل . . . قُتل طلحة والزبير ، وإن معاوية كان قائماً بعينه ، وكان قائدهم^(١) .

ولا يخفى أن أهل الشام يوم صفين كانوا هم الفئة الباغية التي

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٦ ص ٥٥ .
وكلمة ولا تجهزوا - على جريح - والمراد ولا تجهزوا .

بغت على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وحاربته وقتلت عمار بن ياسر (رضي الله عنه) وعلى هذا كان أهل الشام هم المصداق لقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يا عمار تقتلك الفئة الباغية الناكبة عن الطريق » .

وفي الكامل لابن الأثير : قال علي لأصحابه : والله لا يقتل منكم عشرة ، ولا يسلم منهم عشرة .

وفي مروج الذهب للمسعودي أنه كان جملة من قُتل من أصحاب علي (عليه السلام) - يوم النهروان - تسعة نفر ، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة .

وأق على القوم . . وهم أربعة آلاف ، فيهم المخدج . . ذو الثدية .

مقتل المخدج ذي الشدية^(١)

ذكر ابن الأثير في تاريخه : إن علياً (عليه السلام) كان يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج . . . إن قوماً يخرجون ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، علامتهم رجل مخدج اليد سمعوا ذلك منه مراراً .

فلما خرج أهل النهروان سار علي بأصحابه إليهم وكان منه معهم ما كان ، فلما فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج ، فالتمسوه فقال بعضهم : ما نجده . . حتى قال بعضهم : ما هو فيهم . . وعلي يقول : والله أنه فيهم . . . والله ما كذبت ولا كذبت .

ثم إنه جاء رجل فبشره ، فقال : يا أمير المؤمنين قد وجدناه .
وقيل : بل خرج علي (عليه السلام) في طلبه قبل أن يبشره لرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفي والريان بن صبرة فوجدوه في حفرة

(١) الخداج النقصان : خدجت الناقة ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام . وكل مشوه الخلق في أحد أعضائه فهو مخدج . وفي الحديث : كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج أي نقصان : لسان العرب لابن منظور ، وفي الطبري : إنه اسمه نافع وأنه طالما سمع من علي (عليه السلام) أن قوماً يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية علامتهم رجل مخدج اليد ، وكان نافع يتأفف حين يسمع ذلك من علي .

على شاطئ النهر في خمسين قتيلاً . فلما استخرجه نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة ، وحلمة عليها شعرات سود ، فإذا مُدت امتدت حتى تحاذي يده الطولى ، ثم تُترك فتعود إلى منكبيه .

فلما رآه علي (عليه السلام) قال : الله أكبر . . ما كذبت ولا كذبت لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قص الله^(١) على لسان نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم ، عارفاً للحق الذي نحن عليه .

وفي مروج الذهب للمسعودي : قام علي - حين لم يعثروا على المخدج - وعليه أثر الحزن لفقده ، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض ، فقال : أفرجوا ، ففرجوا يميناً وشمالاً . . . واستخرجه .

فقال علي (عليه السلام) : الله أكبر ، ما كذبت على محمد . . . وأنه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة مثل ثدي المرأة عليها خمس شعرات أو سبع ، رؤوسها معققة .

فقال علي : ائتوني به ، فنظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود إذا مدت اللحم امتدت حتى تحاذي بطن يده الأخرى ثم تترك فتعود إلى منكبه

فثنى علي (عليه السلام) رجله ونزل . . . وخر لله ساجداً . . الخ .

وفي البداية والنهاية لابن كثير : عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : « ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذا الثدي ، فقال : « شيطان الردهة كراعي الخيل ، يحذره رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب ، علابة^(٢) في قوم ظلمة » .

(١) في الطبري : بما قضى الله . . . وهو أظهر .

(٢) إلب جمع علوب : المكان الغليظ الذي لا ينبت . ويقال : رجل علب أي جاف وغليظ .

وبلغ سعد بن أبي وقاص أن علي بن أبي طالب قتل الخوارج ،
فقال : قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة^(١) .

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد قوله : وفي الصحاح المتفق عليها
أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينا هو يقسم قسماً جاء رجل
من بني تميم ، يدعى ذا الخويرة ، فقال : أعدل يا محمد . . .

فقال (عليه السلام) : « قد عدلت » .

فقال له الرجل ثانية : أعدل يا محمد . . فإنك لم تعدل . . .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ويلك . . . ومن يعدل إذا
لم أعدل . . . ! »

فقام عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ، إئذن لي أضرب
عنقه . . .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « دعه . . . فسيخرج من
ضئلي^(٢) هذا قوم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية ، ينظر
أحدكم إلى نصله فلا يجد شيئاً ، فينظر إلى نضيه فلا يجد شيئاً ، ثم
ينظر إلى القذ فكذاك سبق الفرث والدم^(٣) يخرجون على حين فرقة من
الناس ، تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم ، وصومكم عند صومهم ،
يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم .

آيتهم رجل أسود - أو قال : أدعج^(٤) مخدج اليد^(٥) إحدى يديه

(١) البداية والنهاية : لابن كثير ج ٧ ص ٢٩٧ .

(٢) ضئلي هذا : أي من جنس هذا .

(٣) في حاشية شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : قال المبرد : يقال : مرق السهم من
الرمية ، إذا نفذ منها ، وأكثر ما يكون ذلك ألا يعلق به من دمها شيء ، والضمير
عائد على السهم والكلام على التشبيه والاستعارة التمثيلية ، ضربه (صلى الله عليه
وآله وسلم) مثلاً لخروجهم من الدين ، لم يعلق بقلوبهم منه شيء .

(٤) الأدعج : شدة سواد العين مع اتساعها .

(٥) مخدج اليد : من أخدجه الله إذا قص عضواً منه .

كأنها ثدية امرأة ، أو بضعة تدردر^(١) .
وفي بعض الصحاح أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ،
قال لأبي بكر وقد غاب الرجل عن عينيه : « قم إلى هذا الرجل
فاقتله .. » .

فقام - أبو بكر - ثم عاد وقال : وجدته يصلي ..
فقال : - رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - لعمر مثل
ذلك .

فعاد عمر وقال : وجدته يصلي ..
فقال : - رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - لعلي
(عليه السلام) مثل ذلك .
فعاد علي فقال : لم أجده .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لو قُتل هذا
لكان أول فتنة وآخرها ... أما إنه سيخرج من ضئضئ هذا
قوم ... » الحديث .

وفي مسند أحمد بن حنبل ، عن مسروق ، قال : قالت لي
عائشة : إنك من ولدي ومن أحبهم إلي ، فهل عندك علم من
المخدج ؟ .

فقلت : نعم ... قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لاعلاه
تأمراً^(٢) ولأسفله النهروان ، بين لخانيق وطرفاء^(٣) .

(١) تدردر : قال ابن الأثير في النهاية ج ٢ ص ١٩ : تدردر ، أي ترجرج ، تجمي
وتذهب ، والأصل تتدردر ، فحذف إحدى التاءين تخفيفاً .

(٢) تأمرا : بفتح الميم ، وتشديد الراء ، نهر واسع ، ومخرج هذا النهر من جبال شهرزور
والجبال المجاورة لها . وقال : هشام ابن محمد : تأمرا والنهروان ابنا جونخي حفرا
هذين النهرين فنسبا إليهما . وتأمرا وديالى اسم لنهر واحد ، معجم البلدان لياقوت .

(٣) لخانيق : جمع لحقوق ، وهو ضيق في الأرض ، والطرفاء شجر واحدته طرفا .

قالت عائشة : أبغني على ذلك بينة ؟

فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك .

قال - مسروق - : فقلت لها : سألتك بصاحب القبر ، ما الذي سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم .

فقلت : نعم . . سمعته يقول : « إنهم شر الخلق والخلقة ، يقتلهم خير الخلق والخلقة ، وأقربهم عند الله وسيلة . . . »^(١) إلى غير ذلك من الروايات .

أقول : وهكذا انتهت معركة النهروان مع الخوارج وكان علي (عليه السلام) على علم بأنهم هم الفئة المارقة التي أخبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وكان علي (عليه السلام) على علم أيضاً بدقائق تفاصيل المعركة ونتائجها إذ روى المؤرخون أنه قال لأصحابه قبل بدء القتال :

« والله لا يقتل منكم عشرة . . . ولا ينجو منهم عشرة . . . » .

وهكذا كان ، فقد جاءت نتيجة المعركة طبق ما أخبر به (عليه السلام) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

رجوع أمير المؤمنين علي إلى الكوفة

ذكر ابن الأثير في تاريخه أنه : لما فرغ علي (عليه السلام) من أهل النهر - الخوارج - حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« إن الله قد أحسن بكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم بالشام »

قالوا : يا أمير المؤمنين . . . نفذت نبأنا ، وكلت سيوفنا ، ونصلت أسنة رماحنا ، وعاد أكثرها قصداً - أي قطعاً - فارجع بنا إلى مصرنا ، فلنستعد . . . ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا ، فإنه أقوى لنا على عدونا . . .

وكان الذي تولى كلامه الأشعث بن قيس^(١) .

فأقبل علي (عليه السلام) حتى نزل النخيلة فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقلوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم .

فأقاموا فيه أياماً . . . ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا - الكوفة -

(١) كل فساد كان في خلافة علي (عليه السلام) وكل اضطراب حدث فاصله الأشعث بن قيس المنافق .

إلا رجلاً من وجوه الناس ، وتُرك المعسكر خالياً .

فلما رأى ذلك أمير المؤمنين علي - دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير . . . وقال لهم أيضاً : « أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدوكم ، ومن في جهاده القربة إلى الله عز وجل ، ودرك الوسيلة عنده ، . حيارى عن الحق ، جفاة عن الكتاب ، يعمهون في طغيانهم ، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، وتوكلوا على الله . . . وكفى بالله كيلاً . . . وكفى بالله نصيراً » .

فلم ينفروا . . . ولا تيسروا . . . فتركهم أياماً حتى إذا آيس من أن يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوهم . . فسألهم عن رأيهم . . . وما الذي يبطلهم ؟ !

فمنهم المعتل . . ومنهم المتكره . . . وأقلهم من نشط . . . فقام (عليه السلام) فيهم فقال : « عباد الله . . . ما بالكم إذا أمرتكم أن تنفروا أثاقلتم إلى الأرض . . أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة . . . وبالذل والهوان من العز خلفاً . . . ؟ ! »
وكلما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكان قلوبكم مألوسة^(١) وأنتم لا تعقلون فكأن أبصاركم كمه^(٢) وأنتم لا تبصرون .

لله أنتم . . . ما أنتم إلا أسد الشرى في الدعة . . . وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس . .

ما أنتم لي بثقة . . . سجييس^(٣) الليالي . . . ما أنتم بركب يصلح به . . !

(١) الس : اختلط عقله ، فهو مألوس - المنجد في اللغة .

(٢) كمه : عمي أو صار أعشى وكمه بصره اعترته ظلمة تطمس عليه . المنجد في اللغة .

(٣) سجييس الماء : وسجييس كدر متغير ، وسجييس المنهل أنتن ماؤه وآجن . ويقال : « آتيك سجييس الليالي أي آخرها - وسجييس الليالي والأيام ، أي ابدأ - لسان العرب لابن منظور .

لعمري الله . . . لبئس حشاش الحرب^(١) أنتم . . أفكم تكادون
ولا تكيدون . . . ويتنقص أطرافكم وأنتم لا تتحاشون . . ولا ينام
عنكم . . وأنتم في غفلة ساهون ! »

ثم قال (عليه السلام) : « أما بعد . . . فإن لي عليكم حقاً ،
وإن لكم علي حقاً . .

فأما حقكم علي . . . فالنصحية لكم ما صحبتكم . . . وتوفير
فيئكم عليكم . . . وتعليمكم كي لا تجهلوا . . . وتأديبكم كي
تعلموا . . .

وما حقي عليكم . . . فالوفاء بالبيعة . . والنصح لي في المغيب ،
والمشهد . . والإجابة حين أدعوكم . . . والطاعة حين آمركم . .

فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره ، وترجعوا إلى ما أحب ،
تنالوا ما تطلبون . . . وتدركوا ما تأملون . . . »^(٢) .

(١) حش الحرب : هيجها . وحش النار أوقدها وحركها بالمحش . ولعل المعنى لستم
مهيجي الحرب ولستم بأهل لها . المنجد في اللغة .
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٧٦ .

أمير المؤمنين علي في الكوفة بعد قتال الخوارج

عاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى الكوفة
يتبعه أصحابه بعد انتهائهم من معركة النهروان مع الخوارج . . .

عاد أمير المؤمنين إلى الكوفة وقد أسف لاضطراره أن تقاتل هذه
العصابة من جيشه الخارجة عليه ، التي أعماها تشددتها في فهمها
الخطأ للدين ، وانحرفت عن طريق الهداية والصواب من غير تبصر
أو تفكير . . .

عاد أمير المؤمنين إلى الكوفة بعد أن حسم الموقف مع الفئة الخارجة
عليه من أصحاب حروراء . . تلك القطعة من جيشه التي نزعته إلى
العصيان . . . والتحيف والإغراق في العنف الذي ألجأه لقتالهم في
الوقت الذي كان (عليه السلام) يريد التوجه لقتال القاسطين من أهل
الشام . . .

عاد أمير المؤمنين إلى الكوفة متأسفاً لاستنزاف قسم كبير من
قدرات جيشه الذي كان قد أعده لقتال أعداء الله وأعداء رسوله :
معاوية وأتباعه . . .

عاد أمير المؤمنين إلى الكوفة متأسفاً لابتنائه . . . بأهل
العراق . . . بأقوام متقلبي الأحوال . . . متفرقي الأهواء لا يثبتون على

ورأي حتى وصفهم (عليه السلام) في بعض خطبه بقوله : « يا أشباه الرجال . . . » إلى قوله : « أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان . . . » وسنأتي على ذكر نفسية أهل العراق وتقلبهم في باب لاحق إن شاء الله .

وهكذا كان نصيب علي (عليه السلام) من أهل العراق هو الخذلان ، والتضعضع والعصيان . . . وكان أهل الشام على باطلهم أقوى من أهل العراق على حقهم . . . لأن أهل الشام كانوا أشد تماسكاً على ضلالهم . . . إذ وفوا لسلطانهم مع علمهم أنهم يحاربون علي بن أبي طالب وصي رسول الله وابن عمه وأول مؤمن به ومهاجر معه كما قال النعمان بن جبلة التنوخي لمعاوية بن أبي سفيان يوم صفين - وقد كان النعمان صاحب راية قومه في تنوخ وبهراء - مع معاوية - وذلك عندما قال له معاوية : لقد هممت أن أولى قومك من هو خير منك مقدماً . . .

فأجابه النعمان بن جبلة قائلاً : والله لقد نصحتك على نفسي . . وآثرت ملكك على ديني ، وتركت لهواك الرشيد وأنا أعرفه ، وحدث عن الحق وأنا أبصره ، وما وفقت لرشد حين أقاتل على ملكك ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأول مؤمن به ومهاجر معه . . ولو أعطيتاه ما أعطيتناك لكان أراف بالرعية ، وأجزل في العطية . .

ولكن قد بذلنا لك الأمر . . . ولا بد من إتمامه كان غياً أو رشداً . . . وحاشا أن يكون رشداً . . . وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها إذ حرمتنا أثمار الجنة وأنهارها . . .^(١) .

نرى جيش أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من أهل العراق قد تسللوا بعد عودتهم معه إلى الكوفة جماعات وفردى ، حتى اضطر

(١) راجع قصة النعمان ابن جبلة التنوخي مع معاوية بن أبي سفيان مفصلة في كتاب مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٣٩٥ .

(عليه السلام) أن يدخل الكوفة ويجمع رؤساءهم ويخطب فيهم محرضاً إياهم على المسير إلى حرب أعداء الله من أهل الشام . . .

ولكن عبثاً حاول استنهاض همهم ونفخ روح الغيرة والحمية فيهم للذب عن الإسلام وأهله . . إلا أنهم تقاعسوا وكرهوا الخروج إلى الحرب ، وأخلدوا إلى الدعة . .

وإذا تأملنا قليلاً وبحثنا عن أسباب تقاعس الجيش العراقي عن واجبه وعدم نهوضه لما يدعوه إليه إمامه من حرب أعدائه وأعداء الإسلام الضالين والمضللين . . . يتضح لنا أن من جملة الأسباب هو ذهاب معظم الرجال الصالحين من الصحابة الأتقياء الذين كانوا دعامة جيش أمير المؤمنين علي وأركانه ، وقادته . . . وكانوا أدمغة المجاهدين ، وأبطال الحرب ، أمثال عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ذي الشهاداتتين ، وعبد الله بن بديل ، وهاشم المرقال وغيرهم الكثير من المخلصين الذين كانوا يؤلفون الشريان الحيوي للجيش يوم الجمل وصفين . . .

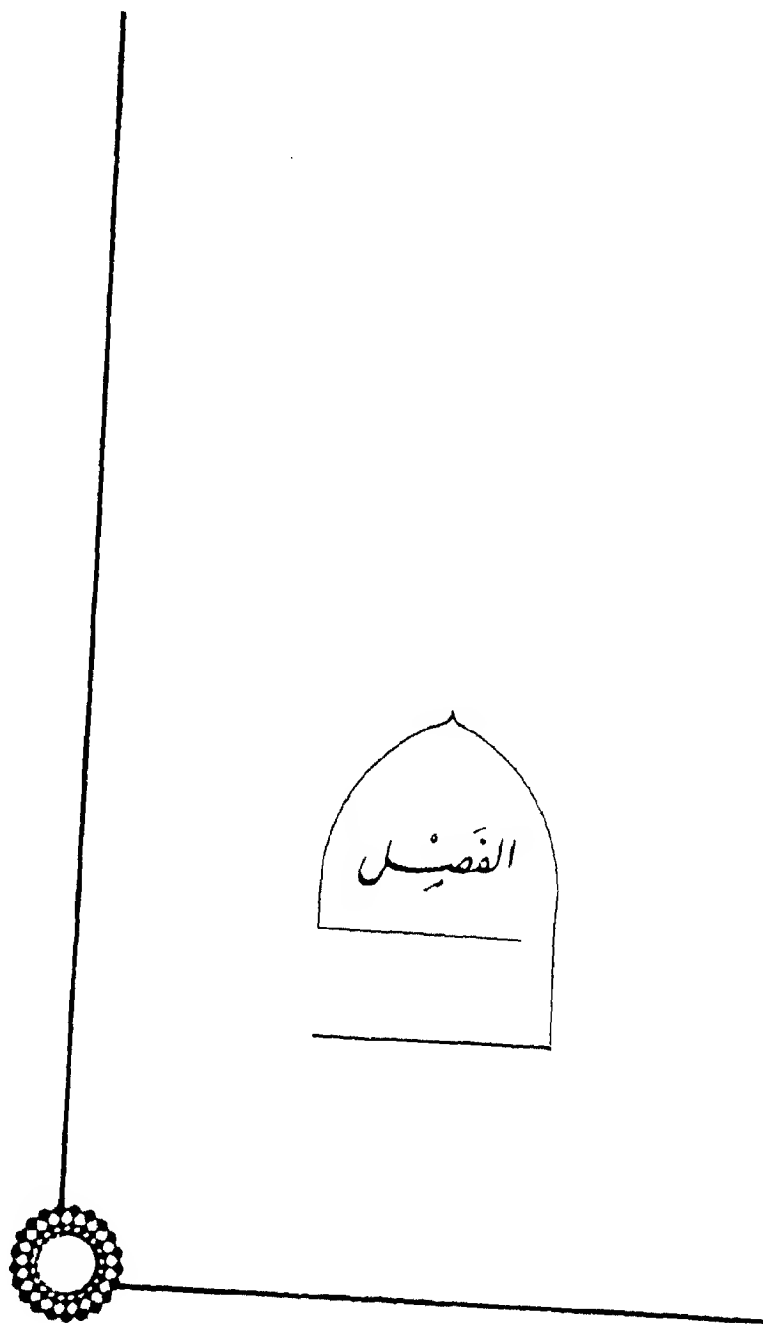
هؤلاء الصفوة من القادة كانوا قد لقوا حتفهم ، وذهبوا إلى لقاء ربهم صابرين محتسبين . . .

هؤلاء الأبطال وغيرهم أمثال مالك الأشتر من الذين كانوا يحرسون على مستقبل الإسلام ، ويبدلون في سبيل إعلاء كلمة الحق أموالهم وأنفسهم كانوا هم الحلقات القوية المتماسكة التي تربط الجماهير بأمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

هؤلاء الأبرار الذين كان الإيمان قد ملأ قلوبهم كانوا يعرفون الناس ما لأمر المؤمنين من الحق والفضل ، وما سمعوه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه . . . والثناء عليه . ويحرضون المسلمين على طاعته ويعطونهم من النصائح والأمثلة الحية لتنفيذ أوامره ، والإخلاص لمبادئه . . فكانوا رضي الله عنهم أول الملبين لندائه والسامعين له .

هؤلاء النخبة من الصالحين المؤمنين مضوا إلى ربهم ، وحلّ محلهم
في جيش علي (عليه السلام) في توجيه الجماهير رجال لم يخالط الإيمان
قلوبهم منافقون كالأشعث بن قيس . . .

لذلك نرى أن النتيجة كانت يوم الجمل والنهروان وصفين قبل
التحكيم غيرها فيما بعد . . . وأن الحماس الذي كان موجوداً حينذاك قد
اضمحل الكثير منه بمضي هذه الصفوة من ذوي الدين والبصائر الذين
كانوا يهتمون بمصير الإسلام والمسلمين . مع العلم أنه كان قد بقي مع
أمير المؤمنين علي من المخلصين بذلوا له النصح ، لكنهم لم يكونوا
قادرين وحدهم على استقطاب أهل العراق بعد ذهاب الكثير من القادة
الذين ذكرناهم .



ولاية قيس بن سعد على مصر

ذكر المؤرخون وأصحاب السير أنه بعد مقتل عثمان بن عفان في المدينة ، واجتماع الناس على بيعة علي (عليه السلام) لأنه الوحيد الذي يستطيع أن ينقذ المسلمين من الضياع ولأنه أيضاً هو الوحيد الصالح لمنصب الخلافة لثقة المسلمين به ، ونصّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه بالخلافة كما سبق منا الكلام في ذلك يوم غدیر خم

وحينما تسلم (عليه السلام) مقاليد الخلافة وقام بأعبائها بما يرضي الله ورسوله أخذ في تفريق عماله على الأقطار الإسلامية وذلك في سنة ٣٦ للهجرة .

كان قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري وهو من الصحابة الأجلاء من جملة العمال - الولاة - أرسله علي (عليه السلام) والياً على مصر .

وعلى حسب التسلسل التاريخي كان ينبغي أن نذكر ولاية قيس بن سعد^(١) على مصر في أحداث سنة ٣٦ وقبل وقعة صفين ولكن

(١) في الإصابة لابن حجر : قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي . كان =

للأسلوب الذي اتبعناه السهل السلس وتجنباً للتعقيد أحرنا ذكر ولاية قيس لتكون أخبار ولاية مصر من قبل علي (عليه السلام) والأحداث التي رافقت تلك الحقبة من الزمن متوالية متتابعة وذلك من سنة ٣٦ إلى سنة ٣٨ حيث مقتل محمد بن أبي بكر (رض).

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أنه كان قيس بن سعد بن عبادة من شيعة علي (عليه السلام) ومناصحيه ، فلما ولي علي الخلافة قال له : « سر إلى مصر فقد وليتها ، وأخرج إلى ظاهر المدينة ، واجمع ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك ، حتى تأتي مصر ومعك جند ، فإن ذلك أرعب لعدوك ، وأعز لوليك ... »

فإذا أنت قدمتها إن شاء الله ، فأحسن إلى المحسن ، واشتد^(١) على المريب ، وارفق بالعامه ، والخاصة فالرفق بمن ... » .

فقال قيس : رحمك الله يا أمير المؤمنين ... قد فهمت ما ذكرت ...

أما الجند فإني أدعه لك ، فإذا احتجت إليهم كانوا قريباً منك ... وإن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كان لك عدة ... ولكنني أسير إلى مصر بنفسي وأهل بيتي ...

= قيس رجلاً ضخماً حسناً طويلاً ، إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض . وقال الواقدي : كان سخياً كريماً ، داهية وأخرج البغوي من طريق ابن شهاب قال : كان قيس حامل راية الأنصار مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان من ذوي الرأي من الناس .

وقال ابن يونس : شهد قيس فتح مصر ، واختلط بها داراً ، ثم كان أميراً عليها لعلي بن أبي طالب . وفي صحيح البخاري عن أنس : كان قيس بن سعد من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير . وأخرج البخاري في التاريخ من طريق مريم بن أسد قال : رأيت قيس بن سعد وقد خدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عشر سنين . وقال أبو عمر : كان قيس أحد الفضلاء الجللة من دهاة العرب من أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والسخاء والشجاعة وكان شريف قومه غير مدافع ، وكان أبوه وجده كذلك .

(١) في بعض النسخ : واشدد .

وأما ما أوصيتني به من الرفق ، والإحسان ، فالله تعالى هو
المستعان على ذلك . . .

فخرج قيس في سبعة نفر من أهله حتى دخل مصر ، فصعد
المنبر ، وأمر بكتاب معه يُقرأ على الناس . . . وهو كتاب أمير المؤمنين
علي (عليه السلام) إلى أهل مصر ، فيه إشارة لما حصل من أحداث في
المدينة المنورة من حين وفاة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله
وسلم) إلى حين مبايعة الناس له (عليه السلام) وتولية الخلافة .
ويأمرهم بالسمع والطاعة ، والمؤازرة لقيس بن سعد الذي اختاره والياً
عليهم . وفي ختام كتابه يقول :

« وقد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصاري أميراً . . . فواظروه ،
وأعينوه على الحق . . .

وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم ، والشدة على مريبكم ، والرفق
بعوامكم وخواصكم ، وهو بمن أرضى هديته ، وأرجو صلاحه
ونصحه . . .

نسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً ، وثواباً جزيلاً ، ورحمة واسعة ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . »

وكتبه عبد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين .

وفي شرح النهج أيضاً : أنه لما فرغ من قراءة الكتاب ، قام قيس
خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

الحمد لله الذي جاء بالحق ، وأمات الباطل ، وكبت
الظالمين . . .

أيها الناس . . . إنا بايعنا خير من نعلم من بعد نبينا محمد
(صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة
رسوله . . .

فإن نحن لم نعمل بكتاب الله وسنة رسوله فلا بيعة لنا عليكم .
فقام الناس فبايعوا . . . واستقامت مصر وأعمالها لقيس وبعث
عليها عماله . . .

إلا أن قرية منها قد أعظم أهلها قتل عثمان ، وبها رجل من بني
كنانة يقال له يزيد بن الحارث ، فبعث إلى قيس :

إننا لا نأتيك . . فابعث عمالك . . فالأرض أرضك . . . ولكن
أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس . - وهذه القرية تدعى
خربتة - .

وكان قيس بن سعد ذا رأي وحزم ، فبعث إلى الذين اعتزلوا :
إني لا أكرهكم على البيعة ، ولكني أدعكم ، وأكف عنكم . . .
فهادنهم وجبى الخراج وليس أحد ينازعه .

بين قيس بن سعد ومعاوية

لما كان قيس بن سعد الأنصاري الخزرجي من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الأجلء البارزين إذ كان رئيس الخزرج ومن شيعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والمخلصين له وهو صاحب المكانة المرموقة من حيث الوجاهة والرياسة في قومه وصاحب السخاء والشجاعة في الحرب والرأي الصائب في السياسة .

لذلك كان قيس بن سعد بوضعه المادي والمعنوي وبما يتحلى به من المزايا الحميدة أثقل خلق الله على معاوية بن أبي سفيان خاصة عندما أرسله علي (عليه السلام) والياً على مصر . . .

أخذ معاوية يحسب لقيس ألف حساب لأنه يخشى سطوته أو دهائه وحنكته في السياسة والحرب . . .

خشي معاوية أن يهاجمه قيس بن سعد في جيش كثيف من جهة مصر ، ويهاجمه علي بن أبي طالب أيضاً من جهة الكوفة . . . فيكون معاوية حينئذ بين فكي أسدين لا قدرة له على مواجهتهما . . . لذلك راح يفكر في مكيدة ينجو فيها من الخطر الذي يحدق به . . . فكتب إلى قيس يلزمه بدم عثمان بن عفان تارة . . . ويرأوغه ويمنيه بالجاه والسلطان تارة أخرى . . .

فكان من جملة ما كتب معاوية لقيس على ما ذكره ابن الأثير في تاريخه :

أما بعد . . . فإنكم نقيمتم على عثمان ضربة بسوط ، أو شتمة ، أو تسير آخر ، واستعمال فتى . وقد علمتم أن دمه لا يحل لكم ، فقد ركبتم عظيماً ، وجئتم أمراً إذا . . .

فتب إلى الله يا قيس فإنك من المجلبين على عثمان . فأما صاحبك فإننا استقيناه الذي أغرى به الناس وحملهم حتى قتلوه ، وأنه لم يسلم من دمه عظيم قومك . .

فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطالب بدم عثمان فافعل . . . وتابعنا على أمرنا ، ولك سلطان العراقيين . . . ولمن أحببت من أهللك سلطان الحجاز . . . وسلني ما شئت فلإني أعطيك ، واكتب إلي برأيك . . .

فلما جاء - قيس - الكتاب أحب أن يدافع معاوية ولا يبدي له أمره ، ولا يتعجل إلى حربه فكتب إليه .

أما بعد . . . فقد فهمت ما ذكرته من قتلة عثمان ، فذلك شيء لم أقاربه ، وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى به حتى قتلوه ، فهذا مما لم أطلع عليه . وذكرت أن عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فأول الناس كان فيه قياماً عشيرتي .

وأما ما عرضته من متابعتك ، فهذا أمر لي فيه نظر وفكرة وليس هذا مما يسرع إليه . . . وأنا كافٍ عنك . . . وليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه ، حتى ترى ونرى إن شاء الله تعالى .

فلما قرأ معاوية كتاب قيس ، رآه مقارباً . . . مباعداً . . . فكتب إليه :

أما بعد . . . فقد قرأت كتابك ، فلم أرك تدنو فأعدك سلماً . . . ولا متباعداً ، فأعدك حرباً . . . وليس مثلي يصانع المخادع ، وينخدع

للمكايد ومعه عدد الرجال ، وييده أعنة الخيل .
 فلما قرأ قيس كتابه ورأى أنه لا يفيد معه المدافعة . . .
 والمهاطلة . . أظهر له ما في نفسه فكتب إليه .
 أما بعد . . . فالعجب من اغترارك بي . . . ! وطمعك في . .
 واستسقاطك إياي !

أتسومني الخروج عن طاعة أولى الناس بالإمارة . . ؟ وأقولهم
 بالحق . . . وأهداهم سبيلاً . . . وأقربهم من رسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) وسيلة . . . وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس
 من هذا الأمر . . . وأقولهم بالزور . . . وأضلهم سبيلاً . . . وأبعدهم
 من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيلة . . . ولد ضالين
 مضلين . . . طاغوت من طواغيت إبليس . . .

وأما قولك . . إني مالىء عليك مصر خيلاً ورجالاً . . الخ فوالله
 إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون أهم إليك . . إنك لذو جد -
 والسلام .

فلما رأى معاوية كتاب قيس آيس منه . . . وثقل عليه مكانه . .
 وعلم أنه لم تنجح حيلة فيه - فكاده من جهة علي فغير اتجاه مكيدته
 وألبسها ثوباً آخر - فقال لأهل الشام :

لا تسبوا قيس بن سعد . . . ولا تدعوا إلى غزوه . . . فإنه لنا
 شيعة ، قد تأتينا كتبه ونصيحته سراً . . . ألا ترون ما يفعل بأخوانكم
 الذين عنده من أهل خربت . . . ! يجري عليهم أعطياتهم ، وأرزاقهم ،
 ويحسن إليهم .

وافتعل معاوية كتاباً عن قيس إليه بالطلب بدم عثمان والدخول
 معه في ذلك ، وقرأه على أهل الشام^(١) .

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٣٨ .

نظرة حول كتاب معاوية المختلق عن لسان قيس بن سعد

ذكر المؤرخون وأصحاب السير : إن معاوية بن أبي سفيان عندما رأى أن مكائده التي كادها لقيس بن سعد الأنصاري - والي مصر من قبل علي بن أبي طالب (عليه السلام) - باءت بالفشل . وأن حيله مع قيس لم تنفع . . وأن جميع المحاولات التي استعملها من إغراء بالمال . . والسلطان . . . وبالكلام المعسول ذهبت سدى . . . إذ لم ينخدع قيس بكل ذلك بل ماطله وبادله الدهاء . . .

فقيس بن سعد كان صاحب رأي وحنكة ودهاء . . . لا تنطلي عليه مخادعة معاوية له ووعوده البراقة بالإمارة والسلطان وغيرهما مما عرض لإغرائه ، واستقطابه . بجلبه إلى جانبه كما فعل مع عمرو بن العاص . . .

لكن قيس بن سعد الصحابي الجليل ، العميق الإيمان ، صاحب العقيدة الإسلامية الصحيحة يعلم من هو معاوية أليس هو الطليق وابن الطليق ومن المؤلفة قلوبهم وقد وصفه بجوابه له كما في تاريخ ابن الأثير :

« أتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر وأقولهم بالزور . . . وأضلهم سبيلاً وأبعدهم من رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) . . . ولد ضالين مضلين . . . طاغوت من طواغيت إبليس . . . الخ . . . » .

ولا يمكن والحالة هذه لقيس بن سعد وهو الصحابي الذي سمع ووعى من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : بأن علياً مع الحق والحق مع علي أن يتبع معاوية ولو أغراه معاوية بأموال الدنيا وسلطانها .

لذلك نرى أن معاوية بعدما جند دهاءه لاستقطاب قيس إليه وجلبه إلى جانبه . . . وبعدهما فشلت جميع مساعيه ومكائده لاتقاء بطش قيس بن سعد وسطوته قام بعمل آخر غير الإغراء والوعود . . . فغير طريقته وأسلوبه ونهج نهجاً مغايراً للتهديد والوعيد . . . وسلك سبيل الزور والإختلاق فافعل عن لسان قيس كتاباً يتضمن موافقته له بالطلب بدم عثمان ومتابعته على ذلك . . .

خرج معاوية على أهل الشام بأسلوب جديد ومكيدة البسها حلة قشبية . فقال لهم : لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا إلى غزوه فإنه لنا شيعة . . الخ .

ثم أخرج الكتاب الذي اختلقه عن لسان قيس بن سعد وقرأه على أهل الشام كما ذكر ذلك جمال الدين يوسف بن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة حيث قال : لما آيس معاوية من قيس بن سعد شق عليه لما يعرف من حزمه وبأسه ، فأظهر للناس أن قيساً قد بايعه . .

واختلق معاوية كتاباً فقرأه على أهل الشام وفيه :

أما بعد . . لما نظرت أنه لا يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم ، محرماً مسلماً برأً تقياً مستغفراً . . . وأني معكم على قتله بما أحببتكم من الأموال والرجال ، ومتى شئتم عجلت إليكم^(١) .

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لجمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١ .

وهنا لا بد لنا من وقفة تأمل إذ يأخذنا العجب من فعل معاوية الذي سمى نفسه أميراً للمسلمين ، كيف يسوغ لنفسه اختلاق كتاب عن لسان قيس بن سعد زوراً واختلاقاً ! . .

وهل يحسن بأمر المسلمين أن يكون مختلقاً . . . ومزوراً . . . ؟ !
وهل يحسن بأمر المسلمين أن يكون خائناً لأمانة الصدق التي أمر بها الإسلام ؟ !

وهذا الكتاب الذي اختلقه معاوية عن لسان قيس بن سعد هو من بعض أباطيله وألأعيبه التي كان يتعاطاها للحفاظ على سلطانه .

وهنا لا بد لنا من القول : كيف يحسن بالمسلمين الذين يرضون عن معاوية بعد كل ما صدر عنه من ظلم ، وجور ، وزور ، وبهتان ، وقتل ، وسفك دماء بريئة وارتكاب معاصي أن يجعلوه إماماً . . . وبعد كل ما ذكرنا نرى بعض المسلمين عند ذكر معاوية يقولون : رضي الله عنه . . .

وهل يرضى الله سبحانه وتعالى عن رجل يرتكب المنكرات ويختلق الزور لأجل مصلحة دنيوية . . . وسلطان زائل . . حاشا لله . . .
حاشا لله عز وجل أن يرضى إلا عن المؤمنين الصالحين .

تنحية قيس بن سعد عن ولاية مصر

الذي لا جدال فيه أن قيس بن سعد الخزرجي الأنصاري كان من المخلصين للإسلام ولرسوله الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، وقد اعتنق الدين الإسلامي عن صدق وعقيدة ، وجاهد في سبيله جهاد من لا تأخذه في الله لومة لائم . . . حكيماً في مسلكه ، شجاعاً في حروبه ، سخيّاً في خدمة الدين مخلصاً للمسلمين ، يبذل لأجل إعلاء كلمة . . . لا إله إل الله محمد رسوله . . . كل غال ورخيص .

لذلك حينما تولى أمير المؤمنين علي مقاليد الخلافة ، رأى من المصلحة إرسال قيس بن سعد إلى مصر والياً عليها . . . لعلمه (عليه السلام) بإخلاص قيس وصدقه وشجاعته ، وحنكته عند الشدائد .

ذهب قيس بن سعد إلى مصر والياً عليها من قبل علي (عليه السلام) ودخلها - في شهر صفر من سنة ٣٦ للهجرة - وأدار الحكم فيها رغم الصعوبات التي كان يلقاها من أعدائه وأخصامه الشيء الكثير وذلك من جراء الدسائس والمكائد التي كانت تحاك ضده وضد أميره أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

لكن قيساً كان لحنكته وحسن سيرته وضلوعه في أمور السياسة وتصريف شؤون الدولة تغلب على كل ما كان يلقاه .

وبفضل سياسته الحكيمة استتب الأمر له على ولاية مصر ، وسار في أهلها سيراً حسناً وأخذ من المصريين البيعة لعلي (عليه السلام) وانقادوا طائعين ، سوى قرية تسمى - خربتا - كانت عثمانية الهوى لم تباع علياً ، إلا إنها لم تشهر حرباً في ذلك الحين على قيس . « وبها رجل من بني كنانة ، يقال له : يزيد بن الحارث ، فبعث إلى قيس : إنا لا نأتيك ، فابعث عمالك ، فالأرض أرضك . . . ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس »^(١) .

وقد أخذ منها قيس الخراج حسب الأصول وليس أحد ينازعه .

لكن مسلك قيس هذا المسلك من عدم الضغط على من تخلف عن البيعة من أهل خربتا لم يعجب بعض أصحاب أمير المؤمنين علي أمثال محمد بن أبي بكر . . . وعبد الله بن جعفر وغيرهما من الذين كانوا يرون حرب أهل خربتا وجلبهم طائعين كي لا يتفقم أمرهم ويكونوا أعواناً لمعاوية بن أبي سفيان وأعوانه . وغاب عنهم أن قيساً برأيه الصائب ، وحنكته السياسية سوف يعمل لمصلحة الإسلام والمسلمين ، وهو في ذلك الوقت أعرف بنفسية الشعب المصري ، وما يتقاذفه من أمواج وأعاصير تهب عليه من قبل معاوية المتربص بالشام والذي يبذل جهده في دس الدسائس ، وحبك المكائد والأضاليل للتفرقة بين أصحاب علي (عليه السلام) وبث الشكوك بينهم .

وعندما أتت الأخبار بأن معاوية أمر أهل الشام بعدم سب قيس بن سعد لأنه صار له شيعة وانحاز إلى جانبه . . . بعد أن أبرز معاوية الكتاب الذي زوره عن لسان قيس بن سعد كما أسلفنا وقرأه على أهل الشام . . . انطلت على محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر حيلة

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٥٩ .

معاوية ومكيدته . . . بالإشاعة الكاذبة . . . والكتاب المزور عن لسان قيس . . فأرادوا من أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أن يرسل إلى قيس يأمره بالتضييق على أهل خربت - إما بأخذ البيعة منهم وإن امتنعوا فحربهم وعدم مهادنتهم .

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : أنه شاع في الشام كلها أن قيساً صالح معاوية ، وأتت عيون علي بن أبي طالب إليه بذلك ، فأعظمه وأكبره وتعجب له . . .

فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، دع ما يريك إلى ما لا يريك ، اعزل قيساً عن مصر . . .

قال علي (عليه السلام) : « والله إني غير مصدق بهذا على قيس . . . » .

فقال عبد الله : اعزله يا أمير المؤمنين ، فإن كان ما قد قيل حقاً فلا يعتزل لك إن عزلته .

ولأنهم لذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد ، فيه :

أما بعد . . . فإن أخبر يا أمير المؤمنين . . . أكرمك الله وأعزك . . . إن قبلي رجالاً معتزلين سألوني أن أكف عنهم ، وادعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى ويرون ، وقد رأيت أن أكف عنهم ، ولا أعجل بحربهم ، وأن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم ، ويفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله . والسلام .

فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنك إن أطعته في تركهم واعتزالهم استشرى الأمر وتفاقت الفتنة ، وقعد عن بيعتك كثير من تريده على الدخول فيها ، ولكن مره بقتالهم .

فكتب علي (عليه السلام) إلى قيس : « أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت ، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون ، وإلا فناجزهم ، والسلام » .

فلما أتى هذا الكتاب قيساً ، فقرأه لم يتمالك أن كتب إلى علي
(عليه السلام) :

أما بعد يا أمير المؤمنين ، تأمرني بقتال قوم كافين عنك ، ولم يدعوا
يداً للفتنة ، ولا أرصدوا لها ، فأطعني يا أمير المؤمنين وكف عنهم ، فإن
الرأي تركهم والسلام .

فلما أتاه هذا الكتاب ، قال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين ابعث
محمد بن أبي بكر إلى مصر يكفك أمرها . . . واعزل قيساً . . . وكان
عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمه أسماء بنت عميس . وكان
يجب أن يكون له أمة وسلطان . . .

استعمل علي (عليه السلام) محمد بن أبي بكر على مصر ، وكتب
معه كتاباً إلى أهلها . . .

سار محمد بن أبي بكر حتى قدم مصر فقال له قيس بن سعد بعد
أن علم بعزله :

ما بال أمير المؤمنين؟! ما غيره . . أدخل أحد بيني وبينه . . .؟!
قال محمد بن أبي بكر : لا . . . وهذا السلطان سلطانك .
ولما خرج قيس بن سعد من مصر أقبل حتى قدم المدينة ، فجاءه
حسان بن ثابت شامئاً به - وكان عثمانياً - .

فقال له حسان : نزعت علي بن أبي طالب ، وقد قتلت عثمان ،
فبقي عليك الإثم ، ولم يحسن لك الشكر . . !

فزجره قيس وقال : يا أعمى القلب . . يا أعمى البصر ، والله
لولا ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك . . . ثم أخرجه من
عنده .

ثم إن قيساً وسهل بن حنيف ، خرجا حتى قدما على علي
(عليه السلام) الكوفة ، فخبّره قيس الخبر ، وما كان بمصر . . .
فصدقه علي .

وشهد قيس مع علي صفين هو وسهل بن حنيف . وكان قيس
شيخاً شجاعاً مجرباً مناصحاً لعلي ولولده ، ولم يزل على ذلك إلى أن
مات (١) .

وفي النجوم الزاهرة : كانت ولاية قيس بن سعد على مصر من
يوم دخلها إلى أن صُرف عنها ، أربعة أشهر وخمسة أيام ، وكان عزله في
خامس رجب من سنة سبع وثلاثين (٢) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٦٢ - ٦٣ .
(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري الأتابكي : ج ١ ص ٩٧ .

نظرة وتحليل حول عزل قيس بن سعد عن ولاية مصر

يحدثنا التاريخ على صفحاته من أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعدما بايعه الناس بالخلافة وتسلم مقاليد الحكم قام بتفريق الولاة على الأمصار ، فأرسل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري والياً على مصر . فقام قيس بأعباء الولاية مدة أربعة أشهر وخمسة أيام حتى جاء كتاب العزل في خامس رجب من سنة سبع وثلاثين للهجرة^(١) .

أقول : لقد عزل أمير المؤمنين (عليه السلام) قيس بن سعد عن ولاية مصر ، وأرسل محمد بن أبي بكر والياً عليها ، مع العلم بصدق قيس ومحبه له ، وإخلاصه للمسلمين ، والمحافظة على مصالحهم ، وجمع شتاتهم . . .

مع العلم أيضاً أن علياً (عليه السلام) حينما بلغه خبر المراسلة بين قيس ومعاوية ، وبلغه أيضاً عن متابعة قيس لمعاوية وانحيازه إلى جانبه . . وأنه وافق معاوية على القيام معه بالمطالبة بدم عثمان . . . علاوة على الكتاب المزعوم الذي اختلقه معاوية - عن لسان قيس - إلى

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : تأليف يوسف بن تغري الاثابكي : ج ١ ص ٩٧ .

غير ذلك من الإفتراءات على قيس . . . فما كان جواب علي (عليه السلام) حينما بلغه ذلك إلا أن قال : « والله إني غير مصدق بهذا على قيس . . . » .

وهنا لرب قائل يقول . . . أو سائل يسأل : لماذا عزل علي (عليه السلام) قيساً عن ولاية مصر مع علمه بكفائته . . . وأهليته . . . لمنصب الولاية الذي أناطه به ؟

ولماذا أرسل محمد بن أبي بكر بديلاً عن قيس مع علمه أيضاً بأن قيس بن سعد أقدر سياسياً وأكبر سنّاً من محمد بن أبي بكر . . . ؟ لأن قيساً هو الرجل المجرب في الحروب وصاحب المواقف المشهورة التي كانت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . هذا بالإضافة إلى حداثة سن محمد بن أبي بكر . . .

وتأتي التساؤلات : هل أن علياً (عليه السلام) لمحبته لمحمد بن أبي بكر وعطفه عليه - إذ هو ربيبه - أرسله والياً على مصر بدل قيس بن سعد ؟ .

أو أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - شقيق محمد بن أبي بكر لأمه أسماء بنت عميس - هو الذي كان له الأثر الفعال على سياسة علي تجاه قيس بن سعد فحمله على عزله عن ولاية مصر وأرسل محمد بن أبي بكر بدلاً عنه والياً عليها . . . ؟

أو أن هناك وشاة ممن يضمرون الحسد والبغض لقيس قاموا بتشويه سمعته عند علي ، وترويح الإدعاءات والإفتراءات . . . ؟

وهنا لا بد لنا من وقفة تأمل في منعطف التاريخ لنرى عن كثب مسار سياسة علي (عليه السلام) في عماله وذويه ، حتى يمكننا الإجابة على هذه التساؤلات . . . وكشف الملابسات عنها . . .

أقول : أولاً : . . إن العاطفة لا يمكن أن تؤثر أو تأخذ مجراها في سياسة علي (عليه السلام) الحكيمة الصادقة للإسلام . . . لأنه كان

طيلة حياته الشريفة باذلاً جهده في سبيل إعلاء كلمة الدين والحفاظ على مصالح المسلمين . . .

فلو كانت العاطفة هي السبب في تولية محمد . . . وعزل قيس ،
لكانت العاطفة حملت علياً يوم الجمل - في البصرة - عل أن لا يرسل
ولده محمد بن الحنفية للحرب ، ويقذفه في لهواتها عند اشتداد المعركة
بين الأسنة . . . والسيوف مع علمه (عليه السلام) بشراسة تلك
المعركة فكان من المفروض أن ينساق وراء عاطفته ويكون ضنياً بولده
فيبعده عن المهالك خوفاً عليه من القتل . . . ألم يكن محمد ولده ؟ وبين
ضلوعه عاطفة الأبوة عندما دفع إليه الراية يوم الجمل وقد استوت
الصفوف ، قائلاً له : احمل على الأعداء . . .

فتوقف محمد قليلاً ، فقال له أبوه علي (عليه السلام) :
احمل . . .

فقال محمد : أما ترى يا أمير المؤمنين السهام وكأنها شآبيب
المطر ! . .

فدفع (عليه السلام) في صدر ولده وقال له : « أدركك عرق
أمك . . . ! » .

ثم أخذ الراية فهزها ، ثم قال :
اطعن بها طعن أبيك محمد لا خير في الحرب إذا لم توقد^(١)

فعلى هذا نجد أن العاطفة ليس لها أي أثر في مسار سياسة علي
(عليه السلام) في جميع الأحوال . . . في أوقات الحرب . . . أو في
أوقات السلم . . . لأن غايته في كل تصرفاته إعلاء كلمة الدين ،
والمحافظة على مصالح المسلمين في جميع المواقف والمواطن . .
عسكرياً . . . وسياسياً . . . واقتصادياً . . .

(١) وفي بعض الروايات : إحمل بها حمل أبيك محمد . . .

ولنا من موقفه مع أخيه عقيل بن أبي طالب أكبر شاهد على ما نقول : من أنه يحافظ على مصالح المسلمين في شتى النواحي لم تأخذه العاطفة فالقريب والبعيد عنده سواء والمساواة شعاره في العطاء والمعاملة ...

ذكر أهل التاريخ وأصحاب السير: أن عقيل بن أبي طالب لما ولي أخوه علي الخلافة جاءه يستعين به على فقره بشيء من المال ... لم يعطه علي شيئاً لأن المال مال المسلمين ، وعلي لم يكن كغيره ممن سبقه في العطاء والهبات ... من بيت مال المسلمين .

قال (عليه السلام) : « والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملت حتى استباحني من بركم صاعاً ، ورأيت صبيانه شعث الشعور ، غبر الألوان من فقرهم ، فكأنما سودت وجوههم بالعظم وعادني مؤكداً ، وكرر علي القول مردداً ، فأصغيت إليه سمعي ، فظن أني أبيعه ديني ، واتبع قياده مفارقاً طريقي ، فأحيت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها ، فضج ضجيج دنف من ألها ، وكاد أن يحترق من ميسمها ... »

فقلت له : ثكلتك الثواكل يا عقيل ، أتأن من حديدة أحماها إنسانها للعبة .. وتجبرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه ؟! فتثن من الأذى ، ولا أئن من لظى ... ؟!

وعلى هذا كان المنتظر من علي (عليه السلام) أن تأخذه العاطفة على أخيه عقيل ، ويهبه من الأموال التي تحت يديه وبتصرفه ما يكفيه لسد حاجته على الأقل ...

لكن هيهات لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أن تأخذه العاطفة فيعطي عقيلاً من أموال المسلمين زيادة عما يستحقه من العطاء ..

وحاشا لأمر المؤمنين علي أن ينحرف عن خطه الذي اختطه لنفسه وتأخذه العاطفة فيفعل كما فعل غيره من قبله ومن بعده .

ويتضح مما ذكرنا أن المحبة أو العاطفة ليس لهما أي أثر على معاملة

علي وتصرفاته إذ لا تأخذه في الله لومة لائم .

ثانياً : هل أن التساؤلات من أن عبد الله بن جعفر كان له الأثر الفعال في حمل علي (عليه السلام) على عزل قيس بن سعد وتولية محمد بن أبي بكر مكانه ؟

وهنا أيضاً نقول : لا . . . فالتاريخ يشهد بأن علي بن أبي طالب صاحب الرأي ، والإرادة القوية لا ينصاع لأحد . . . ولا يؤثر عليه أحد . . . ولا يهمله غير رضى الله سبحانه وتعالى ، وخدمة الدين الحنيف . . .

ولو كان همه (عليه السلام) كغيره ممن سبقه . . هو الملك أو السلطان ، لكان هناك المجال الواسع للتأثير عليه بإبداء النصيح إليه . . . وذلك حينما جاءه المغيرة بن شعبة - بعد ما بايعه الناس وتسلم مقاليد الحكم في ثياب الصديق الناصح الغيور على مصلحته . . . فقال له : يا أمير المؤمنين ابق معاوية على الشام ريثما يستتب لك الأمر وأقر عمال عثمان على أعمالهم فإذا بايعوا لك بعد ذلك اعزل من أحببت وأقر من أحببت .

فأبى (عليه السلام) ذلك وقال : والله لا أداهن في ديني ولا أعطي الدناء في أمري .

ويروي المؤرخون أيضاً أن عبد الله بن عباس وافق المغيرة على رأيه وأشار بأن يثبت معاوية . وقال له : فإن بايع لك فعلي أن أقلعه من منزله .

فأبى علي وقال : « والله لا أعطيه إلا السيف » .

وهذا موقف علي (عليه السلام) المتشدد في الله . . . لا يقر ظالماً على ظلمه ولو لفترة وجيزة .

ومما ذكرنا يتضح لنا أن عبد الله بن جعفر وغيره ليس لهم أي تأثير

على سياسة على بن أبي طالب مهما كان الدافع ومهما كانت القرابة أو الصلة .

وبعد هذه الجولة القصيرة يأتي الجواب صريحاً واضحاً استنتاجاً من الأحداث التاريخية أن أمير المؤمنين علي لم يكن ليؤثر عليه شيء من المؤثرات الداخلية أو الخارجية . . . المادية . . أو المعنوية . .

فعلي (عليه السلام) كما أسلفنا هو صارم في حكمه . . . جاد في رأيه لا يهمله سوى رضى الله تعالى ومصلحة الإسلام .

وفي نهاية المطاف أقول : الظاهر والله أعلم أن علياً (عليه السلام) إنما عزل قيس بن سعد عن ولاية مصر وولاهها محمد بن أبي بكر ألا لكونه لا يرغب في كبح جماح الشعب المسلم الذي له حرية الاختيار في التعبير عن رأيه باختيار رجل مسلم صالح يتولى أموره .

وعدالة علي (عليه السلام) والحال هذه تحمله على أن لا يرسل والياً على قطر من الأقطار الإسلامية إلا أن يكون صالحاً ويكون للمسلمين رغبة فيه . فلا يفرضه عليهم فرضاً .

وكان (عليه السلام) إذا سمع شكاة تأتي عن أحد ولاته ، يرفع يديه إلى السماء ويقول : « أَللّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَمْرَهُمْ بِظُلْمِ عبيدِكَ » والشواهد على ذلك كثيرة .

فأهل مصر مثلاً هم الذين كان لهم الرغبة في ولاية محمد بن أبي بكر ، ويدلنا على هذا أنه عندما جاء وفد أهل مصر إلى الخليفة عثمان بن عفان يطلبون منه عزل واليه عليهم عبد الله بن أبي سرح وتولية غيره عليهم . أجابهم عثمان على طلبهم وولى محمد بن أبي بكر في ذلك الحين وأعطاه عهداً بذلك . . .

لكن ولاية محمد بن أبي بكر حينذاك لم تتم ولم يصل إلى مصر ولم يباشر العمل بها لأمر لا بأس بذكرها ولو إجمالاً لإتمام الفائدة .

ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أن أهل مصر جاءوا يشكون

ابن أبي سرح إلى عثمان فأبى في بادئ الأمر ، وبعد الإلحاح وإنكار الصحابة على عثمان لعدم استجابته لطلب أهل مصر ، فقال : اختاروا رجلاً أوليه .

فقالوا : محمد بن أبي بكر . . .

فكتب عهده وولاه ، وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار ، حتى إذا كانوا على مسيرة ثلاثة ليال من المدينة ، إذا هم بغلام أسود على بعير ، كأنه رجل يطلب أو يُطلب .

فقالوا له : ما قصتك . . . وما شأنك ؟ كأنك طالب . . . أو هارب !

فقال : أنا غلام أمير المؤمنين عثمان وجهني إلى عامل مصر .

فقالوا : هذا عامل مصر معنا .

فقال : ليس هذا أريد . . .

فقالوا معك رسالة أو كتاب ؟ فقال : لا . . .

ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً ، وكانت معه إداوة قد ييست فيها شيء يتقلقل ، فشقوقها فإذا فيها كتاب من عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح ، فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار ، ثم فك الكتاب فإذا فيه .

« إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان . . فاقتلهم ، وأبطل كتابهم ، وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي » .

فلما رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا إلى المدينة ، وجمعوا الصحابة ، ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم القصة . . . الخ^(١) .

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ١ ص ٣٧ .

ويستفاد من هذه القصة أن الشعب المصري بأغلبيته كان له هوى ورغبة في محمد بن أبي بكر من أيام عثمان ، واستمرت رغبتهم إلى أيام تولى علي الخلافة .

وفي أيام عثمان لم يكن لعلي نفوذ . . . وليس بيده سلطة ، وليس هو صاحب الرأي والقول الفصل في تعيين الولاة و و .

وعلى هذا ربما يكون الدافع لعزل علي قيس بن سعد عن ولاية مصر وتوليها محمد بن أبي بكر هو رغبة الشعب المصري بأغلبيته كما أسلفنا . . . ولا مانع من ذلك . . على أن محمد بن أبي بكر هو رجل مسلم مؤمن مستقيم لا غبار عليه . . .

هذا بالإضافة إلى أنه ربما يكون هناك ظروف وعوامل أدت إلى عزل قيس بن سعد وتولية محمد بن أبي بكر والله أعلم .
والبحث في أعماق التاريخ يحتاج إلى وقت طويل .

ولاية محمد بن أبي بكر على مصر

بعث أمير المؤمنين علي (عليه السلام) محمد بن أبي بكر إلى مصر والياً عليها خلفاً لقيس بن سعد الأنصاري بعد عزله عنها ، وكتب لمحمد عهداً بذلك ووجهه إليها .

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : كان عهد علي (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر الذي قرىء بمصر خلاصته :

هذا ما عهد عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر ، أمره بتقوى الله في السر والعلانية ، وخوف الله تعالى في المغيب والمشهد . . .

وأمره (عليه السلام) باللين على المسلم ، والغلظ على الفاجر ، وبالعدل على أهل الذمة ، وبالإنصاف للمظلوم ، وبالشدة على الظالم ، وبالعفو عن الناس ، وبالإحسان ما استطاع ، والله يجزي المحسنين . . .

وأمره (عليه السلام) أن يدعو من قبله إلى الطاعة ، والجماعة فإن لهم في ذلك من العاقبة وعظم المثوبة ما لا يقدر قدره ولا يعرف كنهه . . .

وأمره (عليه السلام) . . . أن يجبي خراج الأرض على ما كانت

تجبي عليه من قبل .. ولا ينتقص ولا يتدع ... ثم يقسمه بين أهله
كما كانوا يقسمونه عليه من قبل ، وإن تكن لهم حاجة يواسي بينهم في
مجلسه ووجهه ، ليكون القريب والبعيد عنده على سواء ...

وأمره أن يحكم بين الناس بالحق ، وأن يقوم بالقسط ولا يتبع
الهوى ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فإن الله مع من اتقاه ، وأثر
طاعته على من سواه .

وكتبه عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله لغرة شهر رمضان سنة
ست وثلاثين^(١) .

وفي النجوم الزاهرة : توجه محمد بن أبي بكر إلى مصر والياً عليها
ومعه عهد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ودخلها في النصف من
شهر رمضان سنة سبع وثلاثين^(٢) .

وفي تاريخ ابن الأثير : لما قدم محمد بن أبي بكر إلى مصر قرأ
كتاب علي على أهل مصر ... ثم قام فخطب الناس فقال :
الحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق ، وبصرنا
وإياكم كثيراً مما كان عمي عنه الجاهلون ...

ألا وإن أمير المؤمنين (عليه السلام) ولاني أمركم ، وعهد إلي ما
سمعتكم ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ..

فإن يكن ما ترون من إمارتي ، وأعمالي طاعة لله ، فاحمدوا الله
على ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادي إليه وإن رأيتم عاملاً لي عمل
بغير الحق فارفعوه إلي ، وعاتبوني فيه ، فإني بذلك أسعد ، وأنتم بذلك
جديرون ...

وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته^(٣) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٦٥ .

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : للأتابكي .

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٣٩ - ١٤٠ .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، قال : كتب علي (عليه السلام) إلى أهل مصر لما بعث محمد بن أبي بكر إليهم كتاباً يخاطبهم به ، ويخاطب محمداً أيضاً فيه . . . وهو كتاب طويل يشتمل على وصايا عظيمة ، وتعاليم جلية . . لم تذكره تجنباً للإطالة^(١) .

وفي شرح النهج أيضاً : عن علي بن محمد بن أبي سيف ، عن أصحابه : أن علياً (عليه السلام) لما كتب إلى محمد بن أبي بكر هذا الكتاب كان محمد ينظر فيه ويتأدب بأدبه . . .

فلما ظهر عمرو بن العاص على محمد بن أبي بكر وقتله ، أخذ كتبه أجمع ، فبعث بها إلى معاوية ، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه . . .

فقال الوليد بن عقبة ، وهو عند معاوية ، وقد رأى إعجابه به - بالكتاب - :

مر بهذه الأحاديث أن تحرق . . .

فقال معاوية للوليد : مه . . لا رأي لك ! . .

فقال الوليد : أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها . . . ؟ !

قال معاوية : ويحك . . أتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا . . . والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم . . .

فقال الوليد : إن كنت تعجب من علمه ، وقضائه ، فعلام تقاتله ؟ !

(١) الكتاب في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ من صفحة ٦٦ إلى صفحة ٧٢ .

فقال معاوية : لولا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه . . .

ثم سكت معاوية هنيهة . . . ثم نظر إلى جلسائه فقال :
إننا لا نقول إن هذه من كتب علي بن أبي طالب . . . ولكن
نقول : هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد . . فنحن
ننظر فيها ونأخذ منها .

فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولي عمر بن عبد
العزیز ، فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب
(عليه السلام)^(١) .

أقول : هذا شأن معاوية بن أبي سفيان في الترمويه وإخفاء الحقيقة
والواقع .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٧٢ .

مقتل محمد بن أبي بكر

كانت الظروف يوم صفين ضاغطة ضغطاً شديداً على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فصدمة الخديعة في رفع المصاحف والتحكيم الضال أثارا التنازع في النفوس .

علاوة على ذلك ثورة الخوارج على الإمام علي (عليه السلام) التي فرقت وحدة الصفوف في جيشه ، وأغرّت الكثير على التمرد والعصيان ، وحملت أكثر أهل العراق على التخاذل عن العودة إلى غزو الشام ، مما سهل لمعاوية بن أبي سفيان الطريق لإشباع مطامعه وتوسيع رقعة إمارته .

ومما لا جدال فيه أن ما آل إليه أمر الحكمين - وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري - من الخذلان لعلي . . . كان العامل الأكبر في تفتيت أهل العراق ، وتفريق كلمتهم ، وانجرار جلهم وراء مغريات معاوية وعطاياه وهباته .

من هذا كله قويت معنويات معاوية وأصحابه وضعفت معنويات العراقيين الذين لا همّ لهم في ذلك الوقت إلا الهدوء والدعة ، والجلوس في منازلهم وأمام دورهم والقيس والقال ، والتلهي بذكر العطايا والأموال . . .

عند ذلك طمع معاوية في توسيع رقعة إمارته وكانت ولاية مصر من أهم ما يطمح إليه ، لكثرة سكانها ، وعدد رجالها ، وضخامة إنتاجها . . . مما حمله على أن يعمل جهده مع أعوانه على الكيد والمكر للتفرقة بين أصحاب علي (عليه السلام) لكي يضعف جانبه بشقي الأساليب وبكل ما يستطيع . . . تارة بالقتل والإرهاب . . . وطوراً بالكيد والتنكيل . . .

وكان من نتاج ما ذكرنا من أمر الحكّمين ، وتحاذل العراقيين ، أن أطل العثمانية رؤوسهم وهم القلة في مصر كأهل خربتاً مثلاً إذ امتنعوا عن البيعة لعلي ، فاضطر محمد بن أبي بكر أن يحاربهم ليردهم عن غيهم وضلالهم ، واستطاع التغلب عليهم . . .

لكن معاوية بن أبي سفيان التفت إلى ذلك ووجد الفرصة سانحة للتقوي بهم وجعلهم باباً للدخول إلى مصر والإستيلاء عليها فما كان منه إلا أن استدعى لقيفاً من أصحابه ومستشاريه وعلى رأسهم عمرو بن العاص فاستشارهم . . فأشاروا عليه بالحرب . . . وذلك بإرسال جيش كثيف لاحتلال مصر ونزعها من يد علي بن أبي طالب وقتل واليها محمد بن أبي بكر .

في تاريخ اليعقوبي : وجه معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص على مصر على شرط له ، فقدمها سنة ثنائي وثلاثين ، ومعه جيش عظيم من أهل الشام ، فكان على دمشق يزيد بن أسد الجبلي ، وعلى أهل فلسطين شمير الخثعمي ، وعلى أهل الأردن أبو الأعور الأسلمي ، ومعاوية بن خديج الكندي على الخارجة .

فلقيهم محمد بن أبي بكر بموضع يقال له - المسناة - فحاربهم محاربة شديدة وكان عمرو يقول : ما رأيت مثل يوم المسناة^(١) .

(١) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ١٨٣ .

وفي مروج الذهب للمسعودي : في سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص إلى مصر في أربعة آلاف ، ومعه معاوية بن خديج ، وأبو الأعور السلمي ، واستعمل عمراً عليها حياته ، ووفى له بما تقدم من ضمانه . فالتقوا هم ومحمد بن أبي بكر - وكان عامل علي (عليه السلام) على مصر - بالموضع المعروف بالمسناة . فاقتتلوا . . . فانهمز محمد لإسلام أصحابه إياه وتركهم له ، وصار إلى موضع بمصر ، فاختلف فيهِ ، فأحيط بالدار ، فخرج إليهم محمد ومن معه من أصحابه فقاتلهم حتى قُتل ، فأخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما ، فجعلوه في جلد حمار ، وأضرموه بالنار ، وذلك بموضع بمصر يقال له : كوم شريك . . .

وقيل : إنه فعل به ذلك ، وبه شيء من الحياة^(١) .

وفي شرح النهج عن المدائني ، قال : أقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر ، فقام محمد بن أبي بكر في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد . . . يا معاشر المؤمنين ، فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمه ، ويغشون الضلالة ، ويستطيّلون بالجبرية ، قد نصبوا لكم العداوة ، وساروا إليكم بالجنود ، فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم ، فليجاهدهم في الله . . . انتدبوا - أي خفوا - رحمكم الله مع كنانة بن بشر .

ثم ندب معه نحو ألفي رجل ، وتخلّف محمد في الفين ، واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمد . . .

فلما دنا عمرو من كنانة سرح إليه الكتائب ، كتيبة بعد كتيبة ، فلم تأت من كتائب الشام كتيبة إلا شد عليها بمن معه ، فيضر بها حتى يلحقها بعمره ، فعل ذلك مراراً . . .

(١) مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٤٢٠ .

فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن خديج الكندي ، فاتاه في مثل الدهم - أي العدد الكثير - .

فلما رأى كنانة ذلك الجيش ، نزل عن فرسه ، ونزل معه أصحابه ، فضاربهم بسيفه ، وهو يقول : (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً)^(١) فلم يزل يضاربهم بالسيف حتى استشهد رحمه الله .

وفي شرح النهج عن المدائني عن محمد بن يوسف : أن عمرو بن العاص لما قتل كنانة ، أقبل نحو محمد بن أبي بكر ، وقد تفرق عنه أصحابه ، فخرج محمد متمهلاً ، فمضى في طريقه حتى انتهى إلى خربة ، فأوى إليها . . .

فجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط ، وخرج معاوية بن خديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق . . . فسألهم : هل مرّ بهم أحد ينكرونه ؟

قالوا : لا . . . قال أحدهم : إني دخلت تلك الخربة ، فإذا أنا برجل جالس .

قال ابن خديج : هو هو ورب الكعبة . . فانطلقوا يركضون حتى دخلوا على محمد . . فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ، وأقبلوا به نحو الفسطاط - إلى عمرو بن العاص - . . .

فقال محمد : اسقوني قطرة من الماء . . .

فقال له معاوية بن خديج لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً . . .

ثم قال له : والله لأقتلنك يا ابن أبي بكر وأنت ظمآن . . ويسقيك الله من الحميم والغسلين . .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

فقال له محمد : يا بن اليهودية النساجة !... ليس ذلك اليوم إليك ... إنما ذلك إلى الله يسقي أوليائه ، ويظمي أعداءه ، وهم أنت وقرناؤك ، ومن تولاك وتوليته ... والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتني ما بلغت ...

فقال له معاوية بن خديج : أتدري ما أصنع بك ؟ ... أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار .

قال محمد : إن فعلتم ذلك بي ، فطالما فعلتم ذلك بأوليائه الله . . وأيم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها برداً وسلاماً ، كما جعلها الله على إبراهيم خليله . وإن يجعلها عليك وعلى أوليائك ، كما جعلها على غرود وأوليائه .

وإني لأرجو أن يحرقك الله وأمامك معاوية ، وهذا - وأشار إلى عمرو بن العاص - بنار تلظى ، كلما خبت زادها الله عليكم سعيراً .

فقال له معاوية بن خديج : إني لا أقتلك ظلماً ، إنما أقتلك بعثمان بن عفان .

قال محمد : وما أنت وعثمان ؟ رجل عمل بال جور ، وبدل حكم الله والقرآن ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ (١) .

فنقمنا عليه أشياء عملها ، فأردنا أن يُخلع من الخلافة علنا . فلم يفعل .. فقتله من قتله من الناس .

(١) سورة المائدة : الآية ٤٤ ٤٥ ٤٧ .

فغضب معاوية بن خديج فقدمه وضرب عنقه ، ثم ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار .

فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً ، وقننت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن خديج ، وقبضت عيال محمد بن أبي بكر أخيها وولده إليها ، فكان القاسم بن محمد من عيالها^(١) .

وفي شرح النهج عن المدائني أيضاً : حلفت عائشة لا تأكل شواء أبداً بعد قتل محمد أخيها ، فلم تأكل شواء حتى لحقت بالله . . . وما عثرت قط إلا قالت : تعس معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن خديج .

وفي شرح النهج أيضاً : إن أسماء بنت عميس لما جاءها نعي محمد ابنها وما صنع به ، قامت إلى مسجدها ، وكظمت غيظها حتى تشخب دماً .

وفي شرح النهج أيضاً : حزن علي (عليه السلام) عل محمد بن أبي بكر حتى رئي ذلك فيه ، وتبين في وجهه ، وقام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« ألا وإن مصر قد افتتحها الفجرة أولياء الجور والظلم ، الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوجاً .

ألا وإن محمد ابن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه ، وعند الله نحتسبه » .

وعن المدائني عن شرح النهج : قيل لعلي (عليه السلام) : لقد

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٨٧ ٨٨ وتاريخ الطبري : ج ٤ ص ٧٨ - ٧٩ والكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٧٩ - ١٨٠ وغيرهم من كتب التاريخ .

جزعت على محمد بن أبي بكر يا أمير المؤمنين . . .
فقال (عليه السلام) : وما يعني ! إنه كان لي ربيا . . وكان
لبنى أنا . . وكنت له والدا . . أعده ولدا^(١) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٨٨ .

ولاية الأشر على مصر

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أرسل محمد بن أبي بكر والياً على مصر خلفاً لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري بعد أن عزله عنها لأموار ذكرناها فيما سبق . . .

تسلم محمد بن أبي بكر مقاليد الولاية في مصر من قيس بن سعد ، وعمل جهده في توطيد الأمن والاستقرار على قد استطاعته ، والإخلاص لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

لكن لما حصل ما حصل من قصة التحكيم ونتيجة خيانة الحكامين - أبي موسى الأشعري وعمر بن العاص - اضطرب الأمن على ابن أبي بكر وانتعش المنافقون وأعداء الحق في الوقت الذي كان معاوية بن أبي سفيان قد استفز الموالين لعثمان وهم القلة في الأموال والمناصب والوعود البراقة .

وحينما اضطرب الأمر على محمد بن أبي بكر لم يجد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا أن يرسل من يسد ثغر مصر ويقمع الفتنة فيها . . . فلم يكن أمامه إلا أحد رجلين . . . وهما مالك بن حارث الأشر أو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري (رض) .

أبقى (عليه السلام) قيس بن سعد على شرطته وأرسل مالك بن

الحارث الأشتر والياً على مصر ، بعد أن كتب لمحمد بن أبي بكر يعلمه فيه بأنه لم يعزله عن ولاية مصر لعدم ثقته به بل لوليته ولاية هي أسير له وأهون عليه . . .

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : أنه لما فسدت مصر على محمد بن أبي بكر ، قبلغ علياً توثبهم عليه فقال : ما أرى لمصر إلّا أحد الرجلين . . . صاحبنا الذي عزلنا بالأمس - يعني قيس بن سعد بن عباد - أو مالك بن الحارث الأشتر .

وكان علي (عليه السلام) حين رجع عن صفين ، رد الأشتر إلى عمله بالجزيرة ، وقال لقيس بن سعد : أقم أنت على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ، ثم أخرج إلى أذربيجان ، فكان قيس مقيماً على شرطته ، فلما أن انقضى أمر الحكومة ، كتب علي (عليه السلام) إلى الأشتر وهو يومئذٍ بنصيبين :

« أما بعد ، فإنك ممن استظهر به على إقامة الدين ، وأقمع به نخوة الأئيم ، وأسد به الثغر المخوف .

وقد كنت وليت محمد بن أبي بكر مصر ، فخرجت عليه خوارج . . .

فأقدم علي لتنظر فيما ينبغي . . واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام » .

فأقبل الأشتر إلى علي (عليه السلام) ، واستخلف على عمله شبيب بن عمار الأزدي^(١) .

فلما دخل الأشتر على علي (عليه السلام) حدثه حديث مصر ، وخبره خبر أهلها ، وقال له :

(١) شبيب بن عامر الأزدي : هو جد الكرمانى الذي كان بخراسان صاحب نصر بن سيار . كما في شرح النهج لابن أبي الحديد .

« ليس لها غيرك ، فاخرج إليها رحمك الله . . فإني لا أوصيك
اكتفاء برأيك ، واستعن بالله على ما أهمك . . واخلط الشدة
باللين . . . وارفق ما كان الرفق أبلغ . . . واعتزم على الشدة حين لا
يغني عنك إلا الشدة » .

وكتب أمير المؤمنين (عليه السلام) كتاباً إلى أهل مصر وسلمه إلى
الأشتر على ما جاء في شرح النهج :

« من عبد الله علي أمير المؤمنين . . إلى من بمصر من
المسلمين . . .

سلام الله عليكم ، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو . . .
أما بعد . . . فإني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله ، لا ينام
أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر ، لا ناكيل من قدم ،
ولا واهٍ في عزم . . من أشد عباد الله بأساً ، وأكرمهم حسباً . . . أضر
على الفجار من حريق النار ، وأبعد الناس من دنس أو عار . . . وهو
مالك بن الحارث الأشتر . . . حسام صارم ، لا نابي الضريبة ، ولا
كليل الحد ، حلیم في السلم ، رزين في الحرب ، ذو رأي أصيل ،
وصبر جميل . . . فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإن أمركم بالنفر فانفروا ،
وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمری . . .
وقد آثرتكم به على نفسي ، نصيحة لكم ، وشدة شكيمة^(١) على
عدوكم .

عصمكم الله بالهدى ، وثبتكم بالتقوى ، ووقفنا وإياكم لما يحب
ويرضى ، والسلام عليكم ورحمة الله »^(٢) .

(١) الشكيمة : الأنفة ، والإنتصار من الظلم .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٧٤ - ٧٥ .

مقتل مالك بن الحارث الأشتر

بث معاوية بن أبي سفيان عيونه في الأقطار الإسلامية الخاضعة لحكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) التي بايعته طائفة مختارة فسلكت طريق الصواب ، واستنارت بنور اليقين ، حيث أرسل إليها ولاته المخلصين يديرونها على الوجه الصحيح الذي يركز على قواعد الشريعة الإسلامية .. فلا ظلم ... ولا تعسف .. ولا جور .. بل العدل رائدهم .. والمساواة شأنهم .

عرف معاوية ذلك ، واستبان له أنه لا طاقة له على مواجهة علي وأصحابه إلا بالكيد .. والمكر .. والخديعة .. والغدر .. فما كان منه والحال هذه إلا أن يكثف جواسيسه ليحصون على علي (عليه السلام) جميع أقواله وأفعاله ، وكل تصرفاته ، من تنظيم الأمور ، إلى إرسال الولاة لأماكن أعمالهم ، إلى غير ذلك مما يهم معاوية أمره .

لذلك نجد أنه لما أرسل علي (عليه السلام) مالك بن الحارث الأشتر إلى مصر والياً عليها خلفاً لمحمد بن أبي بكر ، أتت الأخبار إلى معاوية بواسطة جواسيسه الذين كانوا قد وظفهم لإحصاء كل ما يصدر عن علي وعماله ، بأن مالك الأشتر سيتوجه إلى مصر ليتسلم دفة الحكم فيها .

فكان لإرسال علي (عليه السلام) مالك الأشر إلى مصر أثر عظيم في نفس معاوية ، إذ خشي على نفسه منه ، فهو يعرفه حق المعرفة . . لأن الأشر هو الرجل الحكيم المجرب للأمور . . . والشجاع الذي لا يجارى . . . صاحب رأي وحزم ، لا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر .

إغتم معاوية لهذه الأخبار التي كادت أن تسد عليه منافذ الحياة ، وراح يفكر في حيلة للتخلص من هذا الخصم الخطير الداهية الذي تولى مصر - إذ هي من أعظم الثغور الإسلامية ، الغنية بالمال والرجال .

حملت معاوية مخاوفه على الكيد والغدر - وهما من صفات معاوية وخصائصه المميزة - فقرر اغتيال مالك الأشر قبل أن يصل إلى مصر ويتسلم دفة الحكم فيها مهما كلفه الثمن ، وقام بسرعة التنفيذ .

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : أنت معاوية عيونه ، فأخبروه بولاية الأشر مصر ، فعظم ذلك عليه ، وقد كان طمع - معاوية - في مصر ، فعلم أن الأشر أن قدم عليها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر .

فبعث - معاوية - إلى رجل من أهل الخراج^(١) يثق به ، وقال له :

أن الأشر قد ولي مصر ، فإن كفيّته لم آخذ منك خراجاً ما بقيتُ - أنا - وبقيت - أنت - ، فاحتل في هلاكه ما قدرت عليه .

خرج الأشر من عند علي بعد أن زوده (عليه السلام) بكتابه إلى أهل مصر وأوصاه بوصاياهم العظيمة وعهد إليه عهده في الولاية عليها وعلى أعمالها ، وجباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ،

(١) الخراج : الفئ - والخرج الضريبة ، والجزية ، وقيل للجزية التي ضربت على رقاب أهل الذمة : خراج لأنه كالغلة الواجبة عليهم . لسان العرب لابن منظور .

وعسارة بلادها ، وهو أطول عهد وأجمع للمحاسن وسنذكره في باب لاحق من هذا الكتاب إن شاء الله .

سار الأشتر برحله متوجهاً إلى مصر حتى انتهى إلى القلزم^(١) حيث تركب السفن من مصر إلى الحجاز ، فأقام به فقال له ذلك الرجل - وهو الذي توطأ مع معاوية على الغدر بالأشتر - وكان ذلك المكان مكانه :

أيها الأمير : هذا منزل فيه طعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الخراج ، فأقم واسترح ، وأتاه بالطعام ، حتى إذا طعم ، سقاه شربة عسل ، قد جعل فيها سماً ، فلما شربها مات^(٢) .

وفي مروج الذهب للمسعودي : وولى علي (عليه السلام) الأشتر مصر ، وأنفذه إليها في جيش ، فلما بلغ ذلك معاوية دس إلى دهقان^(٣) كان بالعريش ، فأرغبه ، وقال له : اترك خراجك عشرين سنة ، واحتل للأشتر بالسم في طعامه .

فلما نزل الأشتر العريش ، سأل الدهقان : أي الطعام والشراب أحب إليه ؟ - أي الأشتر - .

فقليل للدهقان : العسل . . .

فأهدى له عسلاً ، وقال : إن من أمره وشأنه ، كذا وكذا ، ووصفه للأشتر . وكان الأشتر صائماً ، فتناول منه شربة ، فما استقر في جوفه حتى تلف . وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه ، وبلغ ذلك معاوية ، فقال : إن لله جنداً من العسل^(٤) .

(١) القلزم : مدينة بمصر على رأس الخليج المضاف إليها ، وإطلالها الآن قرب مدينة السويس ، وسمي بحر القلزم قلزماً لالتهامه من ركبته : وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله . راجع معجم البلدان لياقوت الحموي .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٧٥ .

(٣) الدهقان : جمع دهاقنة - كلمة فارسية : رئيس الإقليم . الدهقنة رئاسة الإقليم المنجذ في اللغة .

(٤) مروج الذهب للمسعودي : ج ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

وفي شرح النهج عن المدائني : إن معاوية - بعد أن دبر الأمر للغدر بالأشتر واغتياله - أقبل يقول لأهل الشام : أيها الناس ، إن علياً قد وجه الأشتر إلى مصر ، فادعوا الله أن يكفيكموه . . .

فكانوا يدعون عليه في دبر كل صلاة .

وأقبل الذي سقاه السم إلى معاوية ، فأخبره بهلاك الأشتر ، فقام معاوية في الناس ، خطيباً فقال :

أما بعد ، فإنه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان ، فقطعت إحداهما يوم صفين ، وهو عمار بن ياسر . وقد قطعت الأخرى اليوم ، وهو مالك الأشتر^(١) .

وحينما بلغه موت الأشتر ونجاح خطته وغدره هزت الفرحة جوارحه ، وبانت الشئمة على وجهه ، وراحت تتدفق من أقواله .

ومن على منبر دمشق وقف معاوية بكل زهو واعتزاز يوهم أهل الشام أنه صاحب الدعوة المستجابة وقال لهم : ألا ترون كيف استجيب لكم عندما دعوتم على مالك ، وزف إليهم نبأ موت الأشتر .

وهكذا أخذ الدجل مأخذه في عقول أهل الشام ، وانطلت الحيلة عليهم وصدقوا معاوية بأنه مستجاب الدعوة ولم يعلموا أن موت مالك الأشتر من كيده وغدره .

هذا ما كان من أمر معاوية وغدره بالأشتر وكيف هزه الفرح واحتوته الشئمة بموته .

أما في الكوفة حيث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي عصف الأسى به وتأسف وتلهف عندما بلغه خبر موت الأشتر فاسترجع وقال : « اللهم إني أحسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر . . . » .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٧٦ .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : لما بلغ علياً موت الأشر ، قال :

« إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين .. أَللّهم إني أحسبه عندك ، فإن موته من مصائب الدهر ، ثم قال :

« رحم الله مالكا ، فلقد وفي بعهدده ، وقضى نجهه ، ولقي ربه ، مع أنا قد وطننا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإنها من أعظم المصيبات » .

وفي شرح النهج أيضاً : عن المدائني عن جماعة من أشياخ النخع ، قالوا :

دخلنا على أمير المؤمنين (عليه السلام) حين بلغه موت الأشر ، فوجدناه يتلهف ، ويتأسف عليه ، ثم قال :

« لله در مالك ... وما مالك ... لو كان من جبل لكان فندا^(١) ، ولو كان من حجر لكان صلدا ...

أما والله ليهذن موتك عالماً .. وليفرحن عالماً ... على مثل مالك فلتبك البواكي ...

وهل مرجو كمالك ... وهل موجود كمالك ! ... » .

قال علقمة بن قيس النخعي : فما زال علي (عليه السلام) يتلهف ويتأسف ، حتى ظننا أنه المصاب به دوننا ، وعُرف ذلك في وجهه أياماً^(٢) .

(١) الفند : الجبل العظيم .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ٧٧ .



الغارات على الأنظار الموالية لعلي أمير المؤمنين

بعد وقعتي صفين والنهروان اللتين مرّ ذكرهما في باب سابق من هذا الكتاب ، اغتتم معاوية بن أبي سفيان الإضطرابات التي حدثت في صفوف العراقيين . . . مع علمه أن الكثير منهم كان يصطنع الإضطرابات ليجعل له من خلالها مركزاً مرموقاً ويحصل على أثرة دنيوية - وهؤلاء أنانيون لا يهمهم سوى مصالحهم لأنهم غير راسخي العقيدة ولا عميقي الإيمان ، والدين لعق على ألسنتهم يديرونه ما درت معاشهم . ومع علمه أيضاً أن الكثير من الناس يميلون إلى حب الدنيا وشهواتها ، لا تهمهم الآخرة ، ينعمون مع كل ناعق .

على أن معاوية يعلم التمزق الذي ينخر في جسم الجيش العراقي الحاصل جله من التفاخر بالأنساب ، والتناحر القبلي ، والتسارع إلى الإستغلال وحب السلطنة والمال . . .

ويعلم معاوية أيضاً أنه لا يتمكن من محاربة أمير المؤمنين علي حرباً موجبة للإنتصار عليه فإن له من وقعة صفين أكبر دليل على قصور باعه في هذا المجال . . . ومع علمه أيضاً أن في جيش علي من الرجال الصالحين ، والأبطال المخلصين الذين لا يهمهم إلا مصلحة الإسلام وتركيز دعائمه ، والإخلاص لعلي أمير المؤمنين . وهم البقية الصالحة الذين لا تخدعهم أمواله ووعوده ولا يهابون بطشه وسلطانه .

لذلك نجد معاوية عمل جهده لتوسيع رقعة الإنقسام بين صفوف جيش علي (عليه السلام) ، إذ راح ينثر الأموال الطائلة ، والوعود البراقة بالمناصب تارة وتارة يشيع القلق والإضطراب بالتهديد والوعيد لنيل مآربه . . .

وتطالعنا شواهد الحال بما سجله التاريخ على صفحاته بأنه راح يحارب أمير المؤمنين علياً وأصحابه وشيعته بكل وسيلة تمكنه من الفوز والتغلب عليه من دون رادع يردعه من ضمير أو دين . . . بالكيد . . . بالمكر . . . بالخدعة واستقطاب الناس بالأموال والمناصب كما أسلفنا ، وأخيراً بالغارات التي كان يرسلها تباعاً على الأقطار الإسلامية الموالية لعلي أمير المؤمنين . . . كالمدينة المنورة . . . ومكة المكرمة . . . واليمن . . . إلى غيرها من البلاد المتاخمة لحدود بلاد الشام ، والداخلية في حدود العراق فإنها لاقت من البلاء والتنكيل . . . والقتل والتشريد ما يعجز عن وصفه القلم ، وإلى القارىء لمحة موجزة عن بعض هذه الغارات التي حصلت في سنة تسع وثلاثين .

غارة النعمان بن بشير على عين التمر

ذكر اليعقوبي في تاريخه : أن معاوية بن أبي سفيان وجه النعمان بن بشير فأغار على مالك بن كعب الأرحبي ، وكان عامل علي (عليه السلام) على مسلحة عين التمر^(١) فندب علي (عليه السلام) الناس ، فقال :

« يا أهل الكوفة انتدبوا إلى أخيكم مالك بن كعب ، فإن النعمان بن بشير قد نزل به في جمع ليس بكثير ، لعل الله أن يقطع من الظالمين طرفاً » .

فأبطأوا ولم يخرجوا ، فصعد علي (عليه السلام) المنبر ، فتكلم كلاماً خفياً لا يسمع ، فظنّ الناس أنه يدعو الله ، ثم رفع صوته فقال :

« أما بعد يا أهل الكوفة . . . أكلما أقبل منسر^(٢) من مناسر أهل الشام أغلق كل امرئ بابيه ، وانجحر في بيته انجحر الضب والضبع الذليل في وجاره ! أف لكم . . . لقد لقيت منكم يوماً أناجيكم . . . »

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقرنها موضع يقال له شفاثا . المعجم لياقوت .

(٢) المنسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير . المنجد في اللغة .

ويوماً أناديكم . . . فلا أخوان عند النجاء . . . ولا أحرار عند النداء » .

فلما دخل بيته قام عدي بن حاتم ، فقال : هذا والله الخذلان القبيح ثم دخل إليه فقال : يا أمير المؤمنين ، معي ألف رجل من طيء لا يعصونني ، وإن شئت أن أسير بهم سرت .

فقال علي (عليه السلام) : « جزاك الله خيراً يا أبا طريف ، ما كنت لأعرض قبيلة واحدة لحد أهل الشام ، ولكن أخرج إلى النخيلة » .

فخرج وأتبعه الناس فصار عدي على شاطئ الفرات على أدنى الشام .

وفي تاريخ ابن الأثير : إن مالك كان قد أذن لأصابه فأتوا الكوفة ولم يبق معه إلا مائة رجل . فلما سمع بالنعمان كتب إلى أمير المؤمنين - علي - يخبره ويستمدده ، فخطب علي الناس ، وأمرهم بالخروج إليه ، فتأقلموا . وواقع مالك النعمان وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه ، وكتب مالك إلى مخنف بن سليم يستعينه وهو قريب منه .

واقترل مالك والنعمان أشد قتال ، فوجه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً ، فانتهوا إلى مالك وقد كسروا جفون سيوفهم ، واستقتلوا .

فلما رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء وظنوا أن لهم مدداً . وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر .

ولما تأقلم أهل الكوفة عن الخروج إلى مالك صعد علي (عليه السلام) المنبر وخطبهم وقال من جملة كلامه : « المغرور من غررقوه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاء ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا منيت به منكم . . . عمي لا يبصرون ، وبكم لا ينطقون ، وصم لا يسمعون إنا لله وإنا إليه راجعون » .

غارة الضحاك بن قيس الفهري

ذكر ابن الأثير في تاريخه أنه في سنة ٣٩ وجه معاوية بن أبي سفيان الضحاك بن قيس الفهري ، وأمره أن يمر بأسفل واقصة^(١) ويغير على كل من مرّ به ممن هو في طاعة علي بن أبي طالب من الأعراب . وأرسل معه ثلاثة آلاف رجل .

فسار الضحاك وأخذ أموال الناس ، ومضى إلى الثعلبية^(٢) وقتل وأغار على مسلحة علي ، وانتهى إلى القطقطانة^(٣) .

فلما بلغ ذلك علياً ، أرسل إليه حجر بن عدي في أربعة آلاف ، وأعطاهم خمسين درهماً ، خمسين درهماً .

فلحق - حجر بن عدي - الضحاك بتدمر^(٤) فقتل منهم تسعة عشر

(١) واقصة : منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة لبني شهاب من طيء ويقال لها واقصة الخزون وهي دون زباله بمرحلتين . معجم البلدان لياقوت .

(٢) الثعلبية : من منازل طريق مكة إلى الكوفة .

(٣) القطقطانة : بالضم ثم السكون ، موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف به كان سجن النعمان بن المنذر . معجم البلدان لياقوت .

(٤) تدمر : مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام بينها وبين حلب خمسة أيام ، وسُميت بتدمر بنت حسان ابن أذينة بن السميدع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ ابن سام بن =

رجلاً ، وقُتل من أصحابه رجلان ، وحجز بينهما الليل . فهرب الضحاك وأصحابه ، ورجع حجر ومن معه .

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد عن إبراهيم الثقفي أنه قال : دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري ، وقال له : سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغره عليه ، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغره عليها ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى ، ولا تقيم لخليل بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها . فسرعه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف .

فأقبل الضحاك ، فنهب الأموال ، وقتل من لقي من الأعراب ، حتى مرّ بالثعلبية ، فأغار على الحاج ، فأخذ أمتعتهم ، ثم أقبل فلقى عمرو بن عَميس بن مسعود الهذلي ، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود ، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة . وقتل معه ناساً من أصحابه .

فلما بلغ علياً خرج إلى الناس وصعد المنبر وهو يقول :
« يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عَميس ، وإلى جيوش لكم قد أصيب منهم طرف . . . اخرجوا فقاتلوا عدوكم ، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين » .

فردوا عليه رداً ضعيفاً ، ورأى منهم عجزاً وفشلاً ، فقال :
« والله لسوددت أن لي بكل ثمانية منكم رجلاً منهم ! ويحكم اخرجوا معي ، ثم فروا عني ما بدا لكم ، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي ، وفي ذلك روح لي عظيم ، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم » ثم نزل .

= نوح (ع) ، وهي من عجائب الأبنية ، موضوعة على العمدة الرخام ، زعم قوم أنها مما بنته الجن لسليمان (ع) معجم البلدان لياقوت .

فخرج يمشي حتى بلغ الغريين^(١) ثم دعا حجر بن عدي الكندي^(٢) فعقد له على أربعة آلاف .

وروى محمد بن يعقوب الكليني قال : استصرخ أمير المؤمنين

(١) الغريين : موضع قرب الكوفة تقدمت ترجمته .

(٢) في الإصابة لابن حجر العسقلاني : ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٥ حجر بن عدي الكندي المعروف بحجر بن الأدبر وحجر الخير وذكر ابن سعد ومصعب الزبيري. فيما رواه الحاكم عنه أنه وفد على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو وأخوه هاني بن عدي وأن حجر بن عدي شهد القادسية ، وأنه شهد بعد ذلك الجمل وصفين ، وصحب علياً فكان من شيعته وقتل بمرج عذراء بأمر معاوية ، وكان حجر هو الذي افتتحها فقدر أن قتل بها وذكره يعقوب بن سفيان في أمراء علي يوم صفين - وذكر ابن السكن من طريق إبراهيم بن الأشتر عن أبيه أنه شهد هو وحجر بن الأدبر موت أبي ذر بالريذة .

وفي الإستيعاب لابن عبد البر حاشية الإصابة ج ١ ص ٣٥٦ - ٤٥٨ . حجر بن عدي بن الأدبر الكندي يكنى أبا عبد الرحمن ، كوفي وإنما سمي الأدبر لأنه ضرب بالسيف على إتيته . كان حجر من فضلاء الصحابة ، وصغر سنه عن كبارهم ، وكان على كندة يوم صفين ، وكان على الميسرة يوم النهروان . ولما ولي معاوية زيادا العراق وما وراءها وأظهر - زياد - من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر ، أنكر عليه حجر وتابعه جماعة من أصحاب علي وشيعته وحصبه يوماً في تأخير الصلاة فكتب فيه زياد إلى معاوية فأمره أن يبعث به إليه ، فبعث به مع وائل بن الحجر الحضرمي في اثني عشر رجلاً كلهم في الحديد فقتل معاوية منهم ستة وكان حجر ممن قتل ، وفي الإستيعاب أيضاً أنه لما حج معاوية جاء المدينة زائراً فاستأذن على عائشة فأذنت له ، فلما قعد قالت له : يا معاوية أأمنت أن أخبأ لك من يقتلك بأخي محمد بن أبي بكر ، فقال : بيت الأمان دخلت . قالت : يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه . وعن مسروق بن الأجدع قال : سمعت عائشة أم المؤمنين (رض) تقول : أما والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجتراً على أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام ، ولكن ابن أكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس أما والله إن كانوا لجمجمة العرب عزاً - ومنعة - وفقهاً - والله در لبيد حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

وفي الإصابة أيضاً : عن أبي الأسود قال : دخل معاوية على عائشة فعاتبته في قتل حجر وأصحابه وقالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : يقتل بعدي أناس يغضب الله لهم وأهل السماء .

(عليه السلام) الناس عقيب غارة الضحاك بن قيس الفهري على أطراف أعماله ، فتقاعدوا عنه ، فخطبهم فقال :

« أيها الناس ، المجتمعة أبدانهم . المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء .

تقولون في المجالس كيت وكيت ، فإذا جاء القتال قلتُم : حيدي حياذ !^(١) .

ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم أعاليل بأضاليل ، دفاع ذي الدين المطول^(٢) .

لا يمنح الضيم الذليل . . . ولا يدرك الحق إلا بالجد .

أي دار بعد داركم تمنعون . . . ! ومع أي إمام بعدي تقاتلون . . . ! المغرور من غررتموه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخبب ، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل^(٣) .

أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع في نصركم ، ولا أوعد العدو بكم . . .

ما بالكم . . . ؟ ما دواؤكم ؟ . . . ما طبكم . . . ؟ القوم رجال أمثالكم . . .

أقوالاً بغير علم . . . وغفلة من غير ورع . . . وطمعاً في غير حق . . . « الخ .

وقال إبراهيم الثقفي : فخرج حجر بن عدي حتى مرّ بالسماوة^(٤)

= وكان قتله سنة ٥٣ وقيل : سنة ٥١ هذه لمحة عن ترجمة حجر بن عدي وستأتي البقية في باب لاحق إن شاء الله .

(١) حيدي حياذ : كلمة يقولها الهارب الفار .

(٢) أعاليل بأضاليل : أي يتعللون بالأضاليل التي لا جدوى لها .

(٣) السهم الأفوق : المكسور فوق وهو مدخل الوتر . والناصل : الذي لا نصل فيه .

(٤) السماوة : مائة بالبادية وكانت أم النعمان سُميت بها فكان اسمها ماء فسمتها العرب =

فلقي بها امرئ القيس بن عدي الكلبي - وهم أصهار الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) - فكانوا أدلاءه في الطريق وعلى المياه ، فلم يزل مغدأً في أثر الضحاك ، حتى لقيه بناحية تدمر ، فواقعه فاقتتلوا ساعة .

فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ، وقتل من أصحاب حجر رجلان ، وحجز الليل بينهم . . .

فمضى الضحاك ، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً^(١) .

أقول : كل أصحاب معاوية كانوا مخادعين مخاتلين كالضحاك بن قيس فهم يفرون عند الشدائد ويهربون عند لقاء الأبطال لا يلوون على شيء لكنهم أقوياء على العزل والضعفاء ويغيرون على الحجاج كما فعل الضحاك من سلبه أمتعة الحجاج وقتله ابن عميس الذي مر ذكره ولو أن الضحاك بقي في الميدان وواجه حجر بن عدي للقي حتفه . . . ولا غرابة فشان الضحاك كشأن أميره معاوية - الغدر والخيانة - والهروب عند النزال لاثقاء الأهوال . والضحاك مصداق لقول القائل :

وفي الهيجاء ما جربت نفسي ولكن في الهزيمة كالغزال

== ماء السماء وبادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام . والسماوة اليوم مدينة عامرة من مدن العراق . معجم البلدان لياقوت .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ١١٧ - ١١٨ .

غارة سفیان بن عوف الغامدي

من الغارات التي خطط لها معاوية بن أبي سفيان للفتك والتنكيل بأهالي البلاد الإسلامية الموالية للأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، التي نفذها بواسطة جلاوزته غارة سفیان بن عوف الغامدي الذي نفذ أوامر أميره معاوية كما اشتهد وأراد .

ذكر صاحب شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد عن ابراهيم الثقفي عن أبي الكنود ، أنه قال : حدثني سفیان بن عوف الغامدي ، قال : دعاني معاوية فقال :

إني باعثك في جيش كثيف ، ذي أداة وحلادة فالزم لي جانب الفرات ، حتى تمر بهيت^(١) فتقطعها ، فإن وجدت بها جنداً فأغري عليهم ، وإلا فامض حتى تغير على الأنبار^(٢) ، فإن لم تجد بها جنداً

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ، ذات نخل كثير وخيرات واسعة ، وهي مجاورة للبرية ، وسميت هيت باسم بانيها وهو هيت بن السندي ، ابن مالك بن دعر بن بويب بن عنقا بن مدين بن ابراهيم (عليه السلام) . معجم البلدان لياقوت .

(٢) الأنبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد بينها عشرة فراسخ ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور ، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف ، ثم جدها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس ، وبني بها قصوراً وأقام بها إلى أن مات . =

فامض حتى توغل في المدائن ، ثم أقبل إليّ واتق أن تقرب الكوفة . . .
واعلم أنك إن أغرت على أهل الأنبار ، وأهل المدائن ، فكأنك أغرت ،
على الكوفة . إن هذه الغارات ياسفيان على أهل العراق ترعب ،
قلوبهم ، وتفرح كل من له فينا هوى منهم ، وتدعو إلينا كل من خاف
الدوائر . .

فاقتل من لقيته من ليس هو على مثل رأيك ، واخرب كل ما
مررت به من القرى ، واخرب الأموال - أي اسلبها - فإن حرب الأموال
شبيه بالقتل ، وهو أوجع للقلب .

قال سفيان : فخرجت في ستة آلاف ، ثم لزمنا شاطئ
الفرات ، فأغذذت السير حتى أمر بهيت ، فبلغهم أني قد غشيتهم
فقطعوا الفرار ، فمررت بها وما بها عريب - أي ما بها أحد - فوطئتها
حتى أمر بصندوداء^(١) ففروا فلم ألق بها أحداً .

فمضيت حتى افتتح الأنبار ، وقد نذروا بي ، فخرج صاحب
المسلحة إلي ، فوقف لي فلم أقدم عليه حتى أخذت غلماناً من أهل
القرية ، فقلت لهم : أخبروني كم بالأنبار من أصحاب علي . . ؟

قالوا : عدة رجال المسلحة . . . خمسمائة ، ولكنهم قد تبددوا
ورجعوا إلى الكوفة ، ولا ندرى الذي يكون فيها ، قد يكون مائتي
رجل . . .

= وقيل : إنما سُميت الأنبار لأن بخت نصر لما حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس
الأسراء فيها . وقال أبو القاسم : الأنبار حد بابل سميت به لأنه كان يجمع بها أنابيب
الحنطة والشعير والقت والتبن ، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها ، وكان يقال لها
الأهراء ، فلما دخلتها العرب عربتها فقالت : الأنبار ، وقال الأزهري الأنبار أهراء
الطعام .

(١) صندوداء : قرية كانت في غربي الفرات فوق الأنبار . وفي معجم البلدان لياقوت :
قال ابن الكلبي : سُميت صندوداء باسم امرأة ، وهي صندوداء ابنة لحم بن
عدي بن الحارث ابن مرة بن أد .

فنزلت فكتبت أصحابي كتائب ، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة ، فيقاتلهم ، والله يصبر لهم ! ويطاردهم ويطاردونه في الأزقة . . .

فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين ، وأتبعتهم الخيل ، فلما حملت عليهم الخيل وأمامها الرجال تمشي ، لم يكن شيء حتى تفرقوا وقتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلاً ، وحملنا ما كان من الأموال في الأنبار ثم انصرفنا .

فلما عدت إلى معاوية حدثته الحديث على وجهه فقال : كنت عند ظني بك ، لا تنزل في بلد من بلداني إلا قضيت فيه مثل ما يقضي فيه أميره ، وإن أحببت توليته وليتك ، وليس لأحد عليك أمر دوني .

قال سفيان : وبلغني أن هذه الغارة أرعبت الناس فما لبثنا إلا يسيراً حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الإبل هرباً من عسكر علي بن أبي طالب .

وفي شرح النهج أيضاً عن حبيب بن عفيف ، قال : كنت مع أشرس بن حسان البكري^(١) بالأنبار على مسلحتها - حاميتها - إذ صبحنا سفيان بن عوف في كتائب تلمع الأبصار منها ، فهاولنا والله - وعلمنا إذ رأيناهم أنه ليس لنا طاقة بهم ولا يد . . . فخرج إليهم صاحبنا - أشرس بن حسان البكري - وقد تفرقنا ، فلم يلقيهم نصفنا ، وإيم الله لقد قاتلناهم فأحسننا قتالهم ، حتى كرهونا ، ثم نزل أشرس صاحبنا وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما

(١) أشرس بن حسان البكري : كان عاملاً لعلي (عليه السلام) على الأنبار ، فأرسل معاوية بن أبي سفيان ، سفيان بن عوف الغامدي في ستة آلاف فأغار بها على الأنبار . وقد اختلف في اسم عامل علي (عليه السلام) على الأنبار الذي قُتل في هذه الواقعة فقليل اسمه أشرس بن حسان البكري ، وقيل : كان اسمه حسان بن حسان البكري وهو المذكور في نهج البلاغة حيث يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : « وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان البكري » .

بدلوا تبديلاً^(١) .

ثم قال لنا - أشرس صاحبنا - : من كان لا يريد لقاء الله ، ولا يطيب نفساً بالموت ، فليخرج عن القرية ما دمننا نقاتلهم ، فإن قاتلنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب ، ومن أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار . . .

ثم نزل في ثلاثين رجلاً ، فهممت بالنزول معه ، ثم أبت نفسي ، واستقدم هو وأصحابه ، فقاتلوا حتى قُتلوا رحمهم الله ، وانصرفنا نحن منهزمين .

أقول : كانت فرحة معاوية بن أبي سفيان كبيرة جداً حينما أخبره سفيان بن عوف الغامدي بنتيجة غاراته التي شنّها على المسلمين الأمنيين الموالين لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) وخصوصاً لما أخبره بأنه أمعن في القتل والنهب والسلب لا تأخذه فيهم شفقة ولا رحمة بل عاملهم بمنتهى العنف والقسوة حسب تعاليمه التي زوده بها . . .

وزادت فرحة معاوية أيضاً عندما أخبره الغامدي بأنه أخذهم بالشدة وقد ترك البيوت مهدمة والقتلى ملقاة على وجه الأرض والأشلاء مبعثرة في الأزقة . . وحمل ما وجده من الأموال وأتى بها إليه . . فقال له معاوية : كنت عند ظني بك .

وفي شرح النهج أيضاً عن ابراهيم الثقفي أنه قال : قدم رجل من أهل الأنبار على علي (عليه السلام) ، فأخبره الخبر ، فصعد - عليه السلام - المنبر فخطب الناس ، وقال :

« إن أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار ، وهو معتز لا يخاف ما كان ، واختار ما عند الله على الدنيا ، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم ، فإن أصبتم منهم طرفاً انكلموهم عن العراق أبداً ما بقوا » .

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلم منهم متكلم ، فلم ينس أحد منهم بكلمة ، فلما رأى صمتهم نزل ، وخرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة ، والناس يمشون خلفه ، حتى أحاط به قوم من أشرافهم .

فقالوا : ارجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك . . .

فقال : « ما تكفوني . . . ولا تكفون أنفسكم . .

فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله . فرجع وهو واجم كئيب .

ودعا سعيد بن قيس الهمداني^(١) ، فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف وذلك أنه أخبر أن القوم جاؤوا في جمع كثيف .

فخرج سعيد بن قيس على شاطئ الفرات في طلب سفيان بن عوف ، حتى إذا بلغ عانات^(٢) ، سرح أمامه هانيء بن الخطاب الهمداني ، فاتبع آثارهم حتى دخل أداني أرض قنسرين ، وقد فأتوه ، فانصرف .

(١) سعيد بن قيس الهمداني : في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٢٠٧ أنه من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم قاله الكشي عن الفضل بن شاذان ونقله العلامة .
(٢) عانات : بلد بين الرقة وهيت قريبة من الأنبار .

خطبة الجهاد

حزن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وتأسف حينما بلغه قتل
أشرس بن حسان البكري عامله بالأنبار ، واشتد تأسفه لما خلفته غارة
سفيان بن عوف الغامدي الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان ليغير على
الأنبار ونواحيها - من الفتك بالمسلمين الموالين له (عليه السلام) سواء
منهم المقاتل وغير المقاتل ، بل شمل عدوانه جميع الأهالي الأمنين .

وزاد تأسفه وتألمه (عليه السلام) عندما بلغه أن الرجل من أتباع
سفيان كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة فيسلبها بكل
وحشية وغلظة حتى أنه كان ينتزع حجلها وقلائدها وجميع ما عليها من
حلى دون شفقة أو رحمة . . .

ولم يكن لينفع معه الاستعطاف أو الإسترحام لأنه مأمور بتنفيذ
أوامر معاوية الذي أراد أن يباغت المسلمين بهذا العنف وهذه الشدة
والقسوة إرهاباً لهم ليستولي الرعب على نفوسهم فيهابونه ولا يقدم أحد
منهم بعد ذلك على مقاومته ومحاربته .

وبعد أن رأى علي (عليه السلام) أن أهل العراق قد استولى
عليهم الجبن ، واستبطنهم الشيطان ولم تعد تأخذهم الحمية على بلادهم
التي استباحها جلاوزة معاوية ، وعملوا على هدمها وحرقها ، وتشريد

أهلها بكل وسيلة بالسلب . . . والنهب . . . والتنكيل . . . وقتل كل من لم يكن على رأيهم .

وبعد أن خاب ظنه (عليه السلام) بنجدة أهل العراق ، ولم يفلح باستنهاض هممهم ، ولم ينفع معهم الحث على الجهاد في سبيل الله ، والتحريض للدفاع عن البلاد ، والإسلام والمسلمين قال خطبته الشهيرة المعروفة بخطبة الجهاد التي تحتوي من درر الكلام وجليل المعاني ما يعجز عنه البيان . والتي تفيض أيضاً بالمرارة والتأسف والأسى لما آل وسيؤول إليه حال المسلمين من الذل والهوان ، والركون للظلم والطغيان ، والتسامح في تطبيق شريعة الإسلام .

في نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد : لبث علي (عليه السلام) ترى فيه الكآبة والحزن - بعد الغارة على الأنبار - حتى قدم عليه سعيد بن قيس وكان تلك الأيام عليلًا ، فلم يقو (عليه السلام) على القيام في الناس بما يريد من القول ، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد ، ومعه ابنه حسن وحسين (عليهما السلام) وابن أخيه عبد الله بن جعفر ، ودعا سعداً مولاه فدفع إليه الكتاب ، وأمره أن يقرأه على الناس ، فقال سعد بحيث يسمع علي (عليه السلام) صوته ، ويسمع ما يردّ الناس عليه . ثم قرأ الخطبة فقال :

أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة . فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، ودّيت بالصغار والقضاء^(١) ، وضرب على قلبه بالأسهاب^(٢) وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف . ومُنِع النصف .

ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، سرّاً

(١) ديت بالصغار : أي ذُل ، ومنه الديوث الذي لا غيرة له . والصغار الذل والضميم .

(٢) وفي رواية : بالأسداد وهو الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد : والأسهاب هو ذهاب العقل ، أو كثرة الكلام - أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة .

وإعلاناً ، وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم
قط في عقر دارهم إلا دُلُّوا ، فتواكلتم^(١) وتخاذلتُم ، حتى شُتت عليكم
الغارات ، ومُلكت عليكم الأوطان .

فهذا أخو غامد^(٢) ، قد وردت خيله الأنبار ، وقد قتل حسان بن
حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها^(٣) .

ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ،
والأخرى المعاهدة^(٤) ، فينتزع حجلها وقلبها ، وقلائدها ، ورعوها ما
تمنع منه إلا بالإسترجاح والإسترحام . ثم انصرفوا وافرين ، ما نال
رجلاً منهم كلم^(٥) ولا أريق لهم دم ، فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد
هذا أسفاً ما كان به ملوماً ، بل كان به عندي جديراً . . .

فيا عجباً عجباً ، والله يميت القلب ، ويحبب الهم ، من اجتماع
هؤلاء القوم على باطلهم ، وتفريقكم عن حقكم . . . !

فقبحاً لكم وترحاً^(٦) ، حين صرتم غرضاً يُرمى ، يغار عليكم
ولا تُغيرون وتُغزون ولا تغزون ، ويُعصى الله وتُرضون !

فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتُم : هذه حمارة القيظ ،
أمهلنا يسبخ^(٧) عنا الحر . . وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتُم

(١) فتواكلتم : وكل كل منكم الأمر إلى صاحبه ولم يتوله بل أحاله كل على الآخر ،
ويوصف الرجل بالوكل : أي العاجز . لأنه يكل أمره إلى غيره .

(٢) أخو غامد هو سفيان ابن عوف من بني غامد قبيلة من اليمن من ازدشتوة بعثة معاوية
لشن الغارات على أطراف العراق تهويلاً على أهله فنكل بهم وقتل وشرذ .

(٣) المسالح : جمع مسلحة وهي كالنفر والمركب حيث يخشى طروق الأعداء .

(٤) المعاهدة : الذمية : والحجل : خلخالها . والقلب بالضم سوارها . والرعاث : بمعنى
القرط .

(٥) الكلم بالفتح : الجرح .

(٦) فقبحاً لكم وترحاً : أي هماً ، وحزنناً ، أو فقرراً - دعاء بأن ينحيهم الله عن الخير ،
وأن ينجزيهم ويسوءهم .

(٧) يسبخ عنا الحر : أي يخف . وحمارة القيظ بتشديد الراء : شدة حره .

هذه صَبَّارة القر^(١) أمهلنا ينسلخ عنا البرد . .

كل هذا فراراً من الحر والقر ، فإذا كنتم من الحر والقر
تفرون . . . فأنتم والله من السيف أفر !

يا أشباه الرجال ولا رجال . . . حلوم الأطفال ، وعقول ربات
الحجال ، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة . . . والله جرت
ندما . . . وأعقبت سدا^(٢) .

قاتلكم الله . . . ! لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري
غيظاً . . . وجرعتموني نُغْب التهام^(٣) أنفاساً . . . وأفسدتم علي رأيي
بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل
شجاع ولكن لا علم له بالحرب .

لله أبوهم . . . ! وهل أحد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً
مني !

لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنا ذا قد ذرّفت على
الستين^(٤) ولكن لا رأي لمن لا يطاع^(٥) .

أقول : لقد تألم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عندما أسرف
عليه جنده من أهل العراق في العصيان ، وتمادوا في التمرد ، واشتطوا
بالآراء والأفكار ، حتى حمّله التألم ، ومرارة ما يلاقيه منهم على أن
يصارحهم ، ويشرح لهم خطأ ما يصنعون ، وسوء ما يفعلون ، قائلاً
لهم : « قاتلكم الله ، لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً ،

(١) صَبَّارة القر : القر بالضم : البرد ، وصَبَّارة الشتاء : شدة برده .

(٢) السدم : الحزن والغيظ .

(٣) نُغْب التهام : نغب جمع نغبة وهي الجرعة . والتهام ، بفتح التاء : الهضم .

(٤) ذرّفت على الستين : أي زدت عليها . وفي رواية المبرد : « نيفت » .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ٧٤ - ٧٥ .

وجرعتوني نغب التهام أنفاسا وأفسدتم علي رأي بالعصيان والخذلان «
الخ .

سلام الله عليك يا أمير المؤمنين يا أبا الحسن . . أي امتحان هذا
الذي ابتليت به . . . ! وأي أناس جندك من أهل العراق الذين أفسدوا
عليك رأيك بالعصيان والخذلان . . . حتى وصفتهم بقولك : « يا أشباه
الرجال ولا رجال » الخ .

ولكن يا أمير المؤمنين . . ويا إمام المتقين . . مهما كان البلاء
كثيراً تراه بشخصك العظيم في ذات الله قليلاً فتحملة صابراً محتسباً .

غارة بسر بن أرطأة

لما أسرف معاوية بن أبي سفيان في البغي والطغيان والإغارة على البلاد الإسلامية الموالية لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) ، وأعمل فيها النهب والسلب . . . والتقتيل . . لم يعد لأمر المؤمنين علي مجال للصبر والسكوت عن هذه الأعمال الوحشية التي أصابت المسلمين من معاوية وأتباعه . . .

حينئذ جمع علي (عليه السلام) الناس وحرّضهم على الجهاد وانقاذ البلاد والعباد من حكام الجور والفساد . وأعلن (عليه السلام) أنه سيسير بنفسه إلى قتال معاوية بالشام ، حماية لمهج المسلمين من بغيه ، وجوره وطغيانه .

شرع (عليه السلام) في تجهيز جيش صالح للزحف على الشام ، وقبل أن يفرغ من تجهيز هذا الجيش جاءته أنباء مروعة عن مجازر حدثت في الحجاز ، واليمن لم يعرف الناس لها مثيلاً في الجاهلية أو في الإسلام .

وسبب تلك المجازر أن معاوية بعث إلى الحجاز واليمن جيشاً كثيفاً بقيادة بسر بن أرطأة العامري وهو رجل شديد الفجور، . . . قاسي القلب . . وكان سفاكاً للدماء شريراً لا رأفة عنده ولا رحمة . . شديد

العداء لآل البيت وعلى الأخص لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) .
 جهز معاوية بسر بن أرطاة في جيش كثيف ، وقال له : سر حتى
 تمر بالمدينة - مدينة الرسول - فاطرد الناس ، واخف كل من مررت به ،
 وانهب أموال كل من أحصيت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا .
 فإذا دخلت المدينة فأرهم أنك تريد أنفسهم . . . واخبرهم أنه لا
 براءة لهم عندك ولا عذر . . الخ .
 هكذا كانت وصية معاوية لسر بن أرطاة ، وهكذا كانت وصيته
 لكل من كان يرسلهم من عصابات الإرهاب للتنكيل بالمسلمين الذين لم
 يدخلوا في طاعته .
 وكان قد أوصى سفيان بن عوف الغامدي ، بقوله : اقتل من
 لقيت ، وأخرب كل ما مررت به ، وانهب الأموال ، ولا تأخذك بهم
 شفقة أو رحمة . . .
 وكذلك أمر معاوية الضحاك بن قيس الفهري ، بالفتك والتنكيل
 بالمسلمين كما أسلفنا . .
 وها هو يزود بسر بن أرطاة العامري بوصايا الخبيثة فيأمره بقوله :
 اقتل . . واطرد . . واهدم الدور . . واخف . . وانهب . . الخ .
 وتقمضي عصابات الإرهاب بتنفيذ أمر أميرها معاوية وتضيف عليه
 من لؤمها ، وحقدتها على الإنسانية الكثير من الفتك والسفك وهدم
 المنازل وسلب الأموال وأخيراً سبي النساء والأطفال وبيعهن في
 الأسواق .
 وإنه عندما وصل بسر بن أرطاة إلى المدينة المنورة : شتم أهلها ،
 وتهدهم ، وتوعدهم ، وأحرق دوراً كثيرة ، منها دار زرارة بن حرون ،
 ودار عمرو بن عوف ، ودار رفاعة ابن رافع الرزقي ، ودار أبي أيوب
 الأنصاري صاحب منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١) .

(١) الشيعة والحاكمون : للشيخ محمد جواد مغنية ص ٥١ .

وفي مروج الذهب للمسعودي : في سنة أربعين ، بعث معاوي بن أبي سفيان بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف للإغارة على الحجاز واليمن - فسار حتى قدم المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري^(١) فتنحى . وجاء بسر حتى صعد المنبر ، وتهدد أهل المدينة بالقتل ، فأجابوه إلى بيعة معاوية^(٢) .

وفي أعيان الشيعة عن ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب الغارات وابن الأثير في حوادث سنة أربعين ، أن معاوية بعث بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف ، وقال : سر حتى تمر بالمدينة ومكة وصنعاء ، وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن دخل في طاعتنا .

فقدم بسر المدينة وبها أبو أيوب الأنصاري عامل علي عليها ، فهرب أبو أيوب ، ودخلها بسر ، فصعد منبرها ، وشتم الناس ، وتهددهم .

وشتم الأنصار ، فقال : يا معشر اليهود ، وأبناء العبيد . الخ . وهدم بها دوراً ، وأكره جماعة على البيعة ، منهم جابر بن عبد الله . واستخلف عليهم أبا هريرة .

ثم أتى بسر مكة ، فهرب عامل علي ، قثم بن العباس ، فشتهم بسر وأنهبهم ، وقتل في طريقة رجالاً ، وأخذ أموالاً ، وأكره الناس على البيعة^(٣) .

وفي تاريخ الطبري : كتب أبو موسى الأشعري إلى اليمن : أن خيلاً مبعوثه من عند معاوية تقتل الناس ، وتقتل من أبي أن يقر بالحكومة .

ثم مضى بسر بن أرطأة إلى اليمن ، وكان عليها عبيد الله بن

(١) مروج الذهب للمسعودي : ج ٣ ص ٣٠ ط ١٩٥٨ - مصر .

(٢) أعيان الشيعة : ج ١ ص ٥٢٩ - ط دار التعارف بيروت .

عباس ، عاملاً لعلي . فلما بلغه مسيره فر إلى الكوفة حتى أتى علياً ، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي على اليمن . فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه .

ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عباس ، وفيه ابنان له صغيران ، فذبحهما ، وقد قال بعض الناس أنه وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية .

فلما أراد بسر قتلها ، قال الكناني : علام تقتل هذين - الطفلين - ولا ذنب لهما . . . ؟! فإن كنت قاتلها فاقتلني .

قال بسر : أفعل فبدأ بالكناني ، فقتله . ثم قتلها . ثم رجع بسر إلى الشام . وقد قيل : إن الكناني قاتل عن الطفلين حتى قتل . وكان اسم أحد الطفلين الذين قتلها بسر عبد الرحمن . والآخر قثم .

وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي باليمن^(١) .

وفي أعيان الشيعة عن ابراهيم الثقفي : أن بسر قتل في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً ، وحرق قوماً بالنار^(٢) .

وذكر الأستاذ عبد الرحمن الشراوي في كتابه « علي إمام المتقين » إنه لما دخل بسر بن أرطاة اليمن هدد أهلها بالقتل ، إن لم يبايعوا لمعاوية ، فرفضوا أن ينخلعوا من طاعة علي ، وأبوا أن يبايعوا لمعاوية فأعمل فيهم ابن أرطاة القتل . . .

بدأ بقتل عبد الله بن عبد مدان الحارثي ، الذي استخلفه عبيد الله بن عباس بدلاً منه على اليمن . . .

ثم قتل - بسر - مالك بن عبد الله بن عبد مدان . . .

وذهب إلى بيت عبيد الله بن عباس فلم يجد به أحداً ، فاحرقه ،

(١) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : ج ١ ص ٥٣٠ .

وعلم أن امرأة عبيد الله وطفليهما في بادية بني كنانة . . . فلما عرف مكانهما ذهب إليهما ، فأخذ الطفلين ، وأراد ذبحهما . فقال له صاحب البيت : إن كنت قاتلتهما فاقتلني معهما !!

وقاتل الرجل حتى قُتل . . . فأخذ بسر بن أرطاة الطفلين من أحضان أمهما فذبحهما أمامها ، وأمام نسوة بني كنانة . فقالت امرأة منهن :

ما هذا ؟! قتلت الرجال . . . فلم تقتل الولدان ؟ والله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام ! . . . والله إن سلطاناً لا يقوم إلا يقتل الضعيف والصغير ، والشيخ الكبير ، ويرفع الرحمة ، وعقوق الأرحام لسلطان سوء ! . .

فقال لها بسر : والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف . . .

فقالت : والله إنها لأخت التي صنعت - من ذبح الطفلين - وما أنا لها منك بأمنة . . .

نم قالت للنساء اللاتي حولها : ويحك . . تفرقن ! . . .

وبعد أن فرغ ابن أرطاة من إبادة الرجال والولدان ، سبى النساء المسلمات ، وباعهن في الأسواق !!

فكن أول مسلمات تسبين في الإسلام !! . . . كما كانت رأس محمد بن أبي بكر أول رأس طيف به في الإسلام . . . وكما كانت بيعة معاوية خليفة في عهد علي أول انقسام للدولة في الإسلام^(١) .

وأما اليعقوبي فقد ذكر في تاريخه قصة بسر بن أرطاة بتسامها وما فعله من أفعال وحشية . . من قتل . . وفك . . وهدم دور . . . وسبي للمسلمات : قدم الطفلين . فذبحهما فقالت أمهما تريثهما . . . ها من أحسن من ابني الذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف

(١) علي إمام المتقين : للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي : ج ٢ ص ٣٢١ .

إلى آخر ما هناك من أبيات ذكرناها في ترجمة عبيد الله بن عباس .
 ثم جمع بسر أهل نجران فقال : يا أخوان النصارى أما والله لئن
 بلغني عنكم أمراً أكرهه ، لأكثرن قتلاكم .
 ثم سار نحو جيشان^(١) وهم شيعة لعلي (عليه السلام)
 فقاتلهم ، فهزمهم ، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، ثم رجع إلى صنعاء .
 وفي شرح النهج لابن أبي الحديد : أن بسر بن أرطأة حينما رجع
 إلى صنعاء قتل بها مائة شيخ من أبناء فارس ، لأن ابني عبيد الله بن
 العباس كانا مستترين في بيت امرأة من أبنائهم ، تعرف بابنة بزرج^(٢) .

(١) جيشان : باليمن كان ينزلها جيشان بن غيدان بن حجر بن ذي رعين ، فسميت به
 وهي مدينة وكورة يُنسب إليها الخمر السود . وقال الكلبي : وبها تعمل الأقداح
 الجيشانية وقالت أم صريع الكندية :
 هوت أمهم ماذا بهم ، يوم صرّعوا بجيشان من أسباب مجد تصرّما
 أبوا أن يفروا والقنا في صدورهم وأن يرتقوا من خشية الموت سلما
 ولو أنهم فروا لكانوا أعزة ولكن رأوا صبراً على الموت أكرما
 راجع معجم البلدان لياقوت الحموي .
 (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ١٦ بزرج كلمة فارسية : معناها
 الكبير .

مسير جارية بن قدامة السعدي لقتال بسر بن أرطاة

لما بلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) خبر غارة بسر بن أرطاة على الحجاز واليمن من قبل معاوية بن أبي سفيان . وما أحدثته هذه الغارة من قتل وتشريد وهدم منازل وأسر للأبرياء وغير ذلك قام (عليه السلام) في الناس خطيباً فقال كما جاء في تاريخ اليعقوبي وغيره :

« أيها الناس أن أول نقصكم أولى النهى والرأي منكم ، الذين يحدثون فيصدقون ، ويقولون فيفعلون .

ولإني قد دعوتكم عوداً وبدءاً . . . وسراً وجهرأ . . . وليلاً ونهارأ . . . فما يزيدكم دعائي إلا فرارأ . . . ما تنفعكم الموعظة ولا الدعاء إلى الهدى والحكمة . . .

أما والله إني لعالم بما يصلحكم . . . ولكن في ذلك فسادى . . .

أمهلوني قليلاً . . . فوالله لقد جاءكم من يحزنكم ، ويعذبكم . . . ويعذبه الله بكم . . .

إن من ذل الإسلام ، وهلاك الدين ، أن ابن أبي سفيان - معاوية - يدعو الأراذل ، والأشرار فيجيئون . . . ! وأدعوكم وأنتم لا تصلحون فتراعون . . .

هذا بسر بن أرطاة قد سار إلى اليمن وقبلها إلى مكة والمدينة .
 فقام جارية بن قدامة السعدي^(١) فقال : يا أمير المؤمنين ، لا
 عدنا الله قريك ، ولا أرانا فراقك ، فنعم الأدب أدبك ، ونعم الإمام
 والله أنت ...
 إنا لهؤلاء القوم ... فسرحتني إليهم .
 قال (عليه السلام) : « تجهز فإنك ما علمتك الرجل في الشدة
 والرخاء ... المبارك ... الميمون النقية » .
 ثم قام وهب بن مسعود الخثعمي ، فقال : أنا انتدب يا أمير
 المؤمنين .

(١) في الإصابة للعسقلاني : جارية بن قدامة السعدي صحابي ، ذكره ابن سعد فيمن
 نزل البصرة من الصحابة . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : له صحبة . وفي الإصابة
 أيضاً بعد سلسلة من الأسناد عن جارية بن قدامة أنه قال : قلت : يا رسول الله
 أوصني وأقلل . قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا تغضب . الحديث . وفي
 الإستيعاب لابن عبد البر : جارية بن قدامة السعدي يكنى أبا عمرو . وقيل أبا
 أيوب : وقيل أبا يزيد . روى عنه أهل المدينة وأهل البصرة وكان من أصحاب
 علي (عليه السلام) في حروبه . وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين عن تهذيب
 التهذيب قال العسكري : جارية بن قدامة السعدي تميمي ، شريف لحق
 النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وروى عنه ثم صحب علياً وكان شجاعاً فائقاً .
 وأخرج ابن عساكر عن الفضل بن سويد قال : وفد جارية بن قدامة على معاوية ،
 فقال له معاوية : أنت الساعي مع علي بن أبي طالب والموقد النار في شعلك تجوس
 قرى عربية تسفك دماءهم ؟ - وقدامة هذا أرسله علي (عليه السلام) إلى البصرة
 حين قدمها ابن الحضرمي الذي أوقع فيها فتنة كبيرة بأمر معاوية فحاصره قدامة
 وحرق عليه داره - قال جارية : يا معاوية دع عنك علياً فما أبغضنا علياً منذ أحببناه
 ولا غششناه منذ صحبناه ، قال : ويحك يا جارية ، ما كان أهونك على أهلك إذ
 سموك جارية ، قال : أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سمعوك معاوية .
 قال : لا أم لك قال : أمي ولدتي للسيوف التي لقيناك بها بصفين . قال : إنك
 لتهددني ؟ قال : إنك لم تملكنا قسرة ، ولم تفتحنا عنوة ولكن أعطينا عهداً ومواثيق
 فإن وفيت وفينا . وإن ترغب إلى غير ذلك فقد تركنا وراة رجلاً مداداً وادراً شداداً
 واسعة حداداً فإن بسطت إلينا فترا من غدر دلفنا إليك بباع من ختر . قال معاوية :
 لا أكثر الله في الناس أمثالك .

قال (عليه السلام) : « انتدب بارك الله عليك » .

فخرج جارية في الفين ، ووهب بن مسعود في الفين وأمرهما علي (عليه السلام) أن يطلبها بسرّاً حيث كان حتى يلحقاه فإذا اجتمعا فرأس الناس جارية فخرج جارية من البصرة ، ووهب من الكوفة حتى التقيا بأرض الحجاز .

وقد عهد علي (عليه السلام) لجارية بن قدامة بقوله :
« أوصيك يا جارية بتقوى الله فأنها جموع الخير ، وسر على عون الله ، فالق عدوك الذي وجهتك له ، ولا تقاتل إلا من قاتلك ، ولا تجهز على جريح ، ولا تسخرن دابة وإن مشيت ومشي أصحابك . ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم ، ولا تشربن إلا فضلهم عن طيب نفوسهم .

ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة ، فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب غيرك عليه . . .

ولا تظلمن معاهداً ولا معاهدة - أي أهل الذمة - واذكر الله ولا تفتري ليلاً ولا نهاراً ، واحملوا رجالكم . . وتواسعوا في ذات أيديكم . . .

واجدد السير . . واجل العدو من حيث كان . . . واقتله مقبلاً . . . وارده بغیظه صاعراً . . .

واسفك الدم في الحق . . واحقنه في الحق . . .
ومن تاب فاقبل توبته وإخباري في كل حين بكل حال . . .
والصدق . . الصدق . . فلا رأي للكذب » .

وفي تاريخ يعقوبي أيضاً : أن جارية بن قدامة سار في طلب بسر بن أرطاة فما كان يلتفت إلى مدينة ، ولا يعرج على شيء حتى انتهى إلى اليمن ونجران فقتل من قتل ، وهرب منه بسر^(١) .

(١) تاريخ يعقوبي : ج ٢ ص ١٨٧ - ١٨٩ .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، عن الكلبي وأبي مخنف : ندب علي (عليه السلام) أصحابه لبعث سرية في أثر بسر ، فتثاقفوا . . . وأجابه جارية بن قدامة السعدي فبعثه في الفين .

فشخص - جارية - إلى البصرة ، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن . وسأل عن بسر ، فقيل : أخذ في بلاد بني تميم ، فقال : أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم .

وبلغ بسر بن أوطاة مسير جارية ، فأنحدر إلى اليمامة . . .

وأغذ جارية بن قدامة السير ، ما يلتفت إلى مدينة مرّ بها ، ولا إلى أهل حصن ، ولا يعرج على شيء إلا أن يُرمل^(١) بعض أصحابه من الزاد ، فيأمر أصحابه بمواساته . أو يسقط بعير رجل أو تحفي دابته فيأمر أصحابه بأن يعقبوه حتى انتهوا إلى أرض اليمن . فهربت شيعة عثمان حتى لحقوا بالجلال . واتبعهم شيعة علي (عليه السلام) ، وتداعت عليهم من كل جانب ، وأصابوا منهم . . .

وقصد - جارية - نحو بسر ، وبسر بين يديه يفرّ من جهة إلى جهة أخرى ، حتى أخرجه من أعمال علي (عليه السلام) كلها .

فلما فعل به ذلك ، أقام جارية بحرس^(٢) نحواً من شهر ، حتى استراح وأراح أصحابه . ووثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية ، لسوء سيرته ، وفظاظته ، وظلمه ، وغشمه^(٣) .

(١) يقال : أرمل القوم إذا نفذ زادهم .

(٢) حرس ساكنه : مياه بني عقيل بنجد . معجم البلدان لياقوت .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٢ ص ١٦ .

وقفه تأمل

في الصراع بين الحق والباطل . . وبين الورع والطمع ، بون شاسع . . .

هذا الصراع الرهيب الذي كانت الناس تضطرب في بحر أمواجه خاصة في الفترة التي تلت مقتل عثمان بن عفان ، وبسيع علي بن أبي طالب خليفة للمسلمين . .

في تلك الفترة أطل أهل الأطماع ، والأغراض ، والأهواء رؤوسهم ، وراحوا يشنون حرباً شعواء على كل من يدعوهم إلى الورع والتقوى ، وتجنب الباطل ، والعمل على طبق شريعة الإسلام وتعاليم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . . .

هذه الأطماع والأغراض والأهواء هي التي حملت الصحابييين طلحة والزبير على نكث بيعة علي . . .

وهي أيضاً : كانت السبب في معركة الجمل في البصرة . . .

وهي أيضاً : حملت الكثير من المسلمين على اتباع معاوية بن أبي سفيان والإنحياز إليه لنيل مآربها من جاه . . أو سلطان . . فأيدته حتى أصبح للباطل صولة . . . فكان من نتائجها حينئذٍ تمادي معاوية في تمرده وعصيانه وشنه حرباً على الحق وأعوانه . . . وأوقدها فتنة عمياء

بقيت آثارها إلى يومنا هذا فسقمت الضمائر . . . وفسدت السرائر . . .
وألقت الفتنة بجرائها على المسلمين^(١) .

- ليت شعري : كيف عميت البصائر عند الكثير من المسلمين
الذين حفوا بمعاوية واستساقوا أفعاله ، وراحوا يؤيدونه تأييداً أعمى !
يمهدون له السبل للوصول إلى السلطان الذي كان يعمل له بكل
وسيلة ، لا يهمه في سبيل الوصول إليه سلوك أي طريق . . . بالحلال
أو الحرام . . . بالظلم أو الطغيان . . . بالغي أو انتهاك الحرمات . . .

وإذا أمعنا النظر وألقينا نظرة إلى الماضي نرى أن جميع تصرفات
معاوية بن أبي سفيان ، كانت حلقات متصلة من الأساليب الغريبة ،
تبدأ بالمراوغة . . . مروراً بالكيد والحيل . . . ووصولاً إلى القتل
والفتك ، والنهب والتدمير ، وسبي النساء المسلمات . . . وبيعهن في
الأسواق . . .

- ليت شعري : كيف ران على قلوب جمع كثير من المسلمين من
شيوخ وشباب فلم يعوا ما يفعلون . . . ووراء من يلهثون . . . ! ومن
يؤيدون !!

حتى أصبحوا وكأن على قلوبهم أقفالها فلم يعودوا يميزوا بين
علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإمام الحق ، وربيب النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم) ووارث علمه ، ووصيه في أمته ، وحامل لوائه ،
والذاب عنه في مواقفه ، حتى قال (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم
الخنديق - عندما برز علي لعمر بن عبد ود العامري فارس المشركين -
« برز الإسلام كله إلى الشرك كله » .

- ليت شعري : كيف لم يميز الكثير من المسلمين بين علي
(عليه السلام) وإمام الحق صاحب الصفات العظيمة والأخلاق الكريمة

(١) الجران من البعير : مقدم عنقه : ويقال ألقى البعير جرائه أي برك . وألقي عليه
جرائه أي ألقاه . المنجد في اللغة .

سليل هاشم .. وبين معاوية الذي أبوه أبو سفيان رأس الشرك
والطغيان ، وأمه هند آكلة الأكباد ... سليل الطلقاء ... ومن المؤلفات
قلوبهم ..

- وليت شعري : أي وقير أصمّ آذان الكثير من المسلمين حتى
نسوا قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق علي إمام
المتقين : « علي مع الحق والحق مع علي » .

- وليت شعري : أي غشاوة أغشت أبصارهم فراحوا يلهثون
وراء ما استحدث معاوية من منكرات ! ... وتغاضوا عن السبل
الملتوية التي كان يسلكها معاوية ... ولم يسمعو منه سوى كلمات كان
ظاهرها الإسلام ، وباطنها الغدر ، والخيانة .

كان صاحب الخطوة عند معاوية من ينفذ أوامره ، ويساعده على
تركيز سلطانه ولو على جماجم المسلمين ...

ولنا من موقف معاوية مع سفيان بن عوف الغامدي الذي أرسله
للإغارة على الأنبار ونواحيها ، فقد أجازته وقربه إليه .

وكذلك موقف معاوية من بسر بن أرطاة الذي أرسله للإغارة على
الحجاز واليمن ، وأمره بالتنكيل بأهل الحرمين - مكة والمدينة - وألا
تأخذه على أحد منهم رافة ولا شفقة .

وعندما نفذ بسر بن أرطاة أوامر معاوية ورجع إليه ملطخاً بدماء
الأبرياء وملوثاً بالجرائم والآثام التي ارتكبها ، ومحملاً بالمال الحرام الذي
سلبه ونهبه ، استقبله معاوية استقبال الغزاة الفاتحين وكافأه أجزل
مكافأة ، وأثنى عليه أعظم الثناء .. !

- وليت شعري .. أي خليفة للمسلمين هذا ؟!

وأي عمال عماله ؟! الذين لا هم لهم سوى القتل وسفك
الدماء ...

وأي معاوية من أمير المؤمنين علي .. وعماله من عماله ...

ووصاياہ التي كان يزودهم بها من وصاياہ علي التي كان يزودهم بها .
معاوية يوصي عمالہ بأخذ البيعة له لتركيز سلطانه وقتل كل من لم
يكن على رأيه . . .

لكن علياً (عليه السلام) كان على عكس ذلك تماماً . . . ولنا من
وصيته لجارية بن قدامة السعدي الذي أرسله (عليه السلام) لقتال
بسر بن أرطاة لإنقاذ أهل الحرمين - مكة والمدينة واليمن - من شره شاهد
على ذلك ، ولا بأس بإيراد ملخص هذه الوصية .

أوصاه (عليه السلام) بقوله : « أوصيك يا جارية بتقوى
الله . . ولا تقاتل إلا من قاتلك ، ولا تجهز على جريح ، ولا تسخرن
دابة وإن مشيت ومشي أصحابك .

ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم . . ولا تشربن إلا فضلهم عن
طيب نفس ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة . . .

ولا تظلمن معاهداً ولا معاهدة . . .

واجل العدو من حيث كان ، واقتله مقبلاً وارده بغیظه صاغراً .

واسفك الدم بالحق واحقنه بالحق .

ومن تاب فاقبل توبته . . . الخ » .

وعلى هذا فقد افترق المسلمون إلى فرقتين . . متقاتلتين . . .

فرقة أعطت ولاءها لعلي (عليه السلام) . . . ولاء تقوى . . .

وورع . . . وصلاح وحب في الله . . . واتباع تعاليم الرسول الأعظم
ووصاياہ . . .

وفرقة أعطت ولاءها لمعاوية بن أبي سفيان . . . ولاء تطلع . . .

وطمع وحب للدنيا . . .

واین الثريا وأین الثرى وأین الحسام من المنجل

حول خطبة الشقشقية

لا يخفى أن خطبة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) المعروفة بالشقشقية قد اشتملت على الكثير ما جرى له (عليه السلام) منذ اليوم الأول من وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن وصلت الخلافة إليه وتسلم مقاليدها .

وهذه الخطبة البليغة بما اشتملت عليه من أحداث ووقائع فجاءت صورة ملخصة تبين لنا بوضوح ما لاقاه (عليه السلام) في عهد من سبقه من الخلفاء ... في أيام أبي بكر .. وعمر ... وعثمان ... من الصعوبات والأزمات السياسية والعقبات التي اعترضت خلافته التي لا مجال لذكرها الآن .

على أن هذه الخطبة قد ذكرها المؤرخون ، وأصحاب السير ، ورواها الرواة ، وتناقلتها الألسن على مدى الأجيال لأنها كانت صورة واضحة صريحة لمواقفه (عليه السلام) في عهد الخلفاء الثلاثة الذين استولوا على السلطة قبله .

وما كانت تلك الخطبة إلا تنفيساً لما ضاق به صدره (عليه السلام) ، وما كان يعتلج في قلبه من تألم ، وتأوه على ما لقيه من الظلم ... والظيم من المسلمين المناوئين له ... الذين تركوا وصايا

الرسول الأعظم في حقه وذهبوا إلى حيث مطامعهم .
وإذا أمعنا النظر في خطبته - الشقشقية - نجد مدى التألم الذي
كان ينتابه (عليه السلام) في كثير من مراحل حياته حيث يقول :

« أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة^(١) وإنه ليعلم أن محلي منها
محل القطب من الرحي^(٢) ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير^(٣)
فسدلت دونها ثوباً . . وطويت عنها كشحاً^(٤) وطفقت أرثي بين أن
أصول بيد جذاء . . . أو أصبر على طخية عمياء^(٥) يهرم فيها الكبير
ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه . . .

فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى^(٦) فصبرت ، وفي العين قذى^(٧)
وفي الحلق شجا ، أرى تراثي نهياً^(٨) حتى مضى الأول لسبيله ، فأدلى بها
إلى ابن الخطاب بعده . ثم تمثل بقول الأعشى :
شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر^(٩)

-
- (١) لقد تقمصها : أي جعلها كالقميص مشتملة عليه ، والضمير للخلافة .
(٢) وهو أنه (عليه السلام) من الخلافة في الصميم ، وفي وسطها وبجوارحتها ، كما أن
القطب وسط الرحي .
(٣) ينحدر عني السيل : يعني رفعة منزلته كأنه في ذروة جبل ينحدر السيل عنه إلى الوهاد
- ولا يرقى إلى الطير : هذه في الرفعة والعلو لأن السيل ينحدر من الجبال وأما تعذر
رقى الطير فكأنه يقول (ع) إني لعلو منزلي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى الطير
إليها .
(٤) فسدلت . . الخ : كناية عن غض نظره عنها ، وسدل الثوب أرخاءه . وطوى عنها
كشحاً : مال عنها .
(٥) الجذاء : المقطوعة ، والمراد هنا ليس ما يؤيدها . والطخية : الظلمة ، ونسبة العمى
إليها مجاز عقلي وإنما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق .
(٦) أحجى به : أي أخلق به . والحجى بمعنى العقل . أي رأى الصبر على الحالة التي
وصفها أولى بالعقل .
(٧) وفي العين قذى : أي صبرت على مضض كما يصبر الأرمم .
(٨) وفي الحلق شجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه . وأرى تراثي نهياً : كنى عن
الخلافة بالتراث .
(٩) حيان وجابر ابنا السمين الحنفيان . كان حيان نديم الأعشى ، فغضب عليه في قصة =

فيا عجباً .. بينا هو يستقيها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ... ! لشد ما تشطرا ضرعيها ... !^(١) فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها^(٢) ويخشن مسها ، ويكثر العثار فيها ، والإعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ، إن أشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحم^(٣) فمني الناس لعمر الله بخبط وشاس ، وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة ...

حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها في ستة زعم أي أحدهم ...^(٤) .

فيا لله وللشورى ... ! متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر !
لكني أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا^(٥) فصغا رجل منهم

= طويلة خرج الأعشى على ناقته وهو يقول : شتان بين يومي وأنا في المهاجرة أسير على كور هذه الناقة ويوم حيان وهو في سكرة الشراب . ناعم البال في قصيدة طويلة لا محال لذكرها .

وأما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فقد استشهد بقول الأعشى والمراد منه والله العالم : شتان بين يومي في الخلافة مع ما انتقض علي من الأمر ومنيت به من انتشار الحبل ، واضطراب أركان الخلافة ... وبين يوم عمر بن الخطاب حيث وليها على قاعدة مهيمة ، وأركان ثابتة ، وسكون شامل ، فانظم أمره ، واطرد حاله ، وسكنت أيامه . بعد أن عقدها له أبو بكر وسلمه مقاليدها .

(١) الضرع : مدر اللبن للشاة والبقرة ونحوها وهو كالثدي للمرأة وتشطر ضرعيها : اقتسما فائدتها ونفعهما ، والضمير عائد للخلافة .

(٢) فصيرها في حوزة خشناء : أي في جهة معية المرام شديدة الشكيمة . والكلم : الجرح .

(٣) الصعبة من النوق ما لم تُركب ولم ترض ، إن أشنق لها راكبها بالزمام خرم أنفها . وإن أسلس زمامها تقحم في المهالك . والخبط السير على غير جادة . والشاس : النفار . والتلون : التبديل والإعتراض السير بعجرفة .

(٤) الستة هم أصحاب الشورى الذين عينهم عمر بن الخطاب لانتخاب الخليفة . وهم : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص .

(٥) يقول عليه السلام : إن عمر لما طعن جعل الخلافة في ستة هو أحدهم ثم تعجب =

لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هن وهن^(١) .

إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه ، بين نثيله ومعتلفه^(٢) .
وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع^(٣) إلى أن
انتكث قتله وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته^(٤) .

فما راعني إلا والناس إلي كعرف الضبع ، ينثالون علي من كل
جانب ، حتى لقد وطىء الحسان ، وشق عطفائي ، مجتمعين حولي
كربيضة الغنم^(٥) .

فلما نهضت بالأمر ، نكتت طائفة ، ومزقت أخرى ، وفسق
آخرون^(٦) كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : ﴿ تلك الدار الآخرة

= فقال : متى اعترض الشك في مع أبي ابكر حتى أقرن بسعد بن أبي وقاص
وعبد الرحمن بن عوف وأمثالهما ! لكنني طلبت الأمر وهو موسوم بالأصاغر منهم كما
طلبته أولاً وهو موسوم بأكابرهم أي هو حقي فلا استنكف من طلبه . فقال :
فأسففت إذا أسفوا . إلخ .

(١) كان سعد بن عم عبد الرحمن وكان في نفسه ضغن علي لأن أمه حنة بن أبي
سفيان وعلي قتل صناديدهم . وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان لأن زوجته أم كلثوم
أخت عثمان لأمه . وكان طلحة ميالاً لعثمان لصلاة بينهما .

(٢) نافجاً حضنيه : رافعاً لهيما . والحضن : ما بين الإبط والكشح ، يقال للمتكبر : جاء
نافجاً حضنيه ويقال أيضاً : لمن امتلأ بطنه طعاماً . والنثيل : الروث . والمعتلف :
موضع العلف .

(٣) الخضم الأكل بكل الفم ، وهو أنهم على قدم عظيمة من النهم وشدة الأكل وامتلاء
الأفواه .

(٤) انتكث قتله : انتفض . وأجهز عليه عمله : أي عم قتله ، وكبت به بطنته : كبا
الجواد إذا سقط لوجهه . والبطنة الإسراف في الشبع .

(٥) كربيضة الغنم : أي القطعة الرابضة من الغنم . يصف (عليه السلام) شدة
ازدحامهم حوله .

(٦) فاما الطائفة الناكثة ، فهم أصحاب الجمل ، وأما الطائفة الفاسقة ، فأصحاب صفين
وساهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القاسطين . وأما الطائفة المارقة ،
فأصحاب النهروان .

وأشرنا بقولنا ساهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القاسطين إشارة إلى قوله =

نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴿١﴾ .

بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها ﴿٢﴾ .

أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ﴿٣﴾ ، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاتروا على كظة ظالم ﴿٤﴾ ، ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ﴿٥﴾ ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنز .

= لعلني : « ستقاتل بعدي الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين » وهذا الخبر من دلائل نبوته صلوات الله عليه وآله ، لأنه أخبار صريح بالغيب ، لا يحتمل التمويه وصدق قوله : « والمارقين » في الخوارج : « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » وصدق قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناكثين . كونهم نكثوا البيعة بادية بدء . وقد كان علي (عليه السلام) يتلو وقت مبايعتهم له : ﴿ فمن نكث فإني نكثت على نفسه ﴾ سورة الفتح الآية ١٠ وأما أصحاب صفين ، فإنهم القاسطون وهم المخلدون في النار لفسقهم . فصح فيهم قوله تعالى : ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ سورة الجن الآية ٢١٥ .

(١) سورة القصص : الآية ٨٣ .

(٢) حليت الدنيا في أعينهم : راقق لهم من حليت المرأة إذا تزينت بحليها . والزبرج الزينة من وشي أو جوهر أو غيره ، ويقال : الزبرج الذهب .

(٣) قوله : لولا حضور الحاضر : يمكن أن يريد به . . لولا حضور البيعة ، فإنها بعد عقدها ، تتعين المحاماة عنها ، ويمكن أن يريد بالحاضر من حضره من الجيش الذين يستعين بهم على الحرب . وقوله : وقيام الحجة بوجود الناصر : أي لولا وجود من ينصرفني . . . لا كما كانت الحال عليها أولاً بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فإني لم أكن حيث شئت واجداً للناصر مع كوني مكلفاً ألا أمكن الظالم من ظلمه .

(٤) الكظة : بكسر الكاف : ما يعتري الإنسان من الثقل والكرب . والسغب : الجوع والمراد : هضم حقوق المظلوم .

(٥) لا لقيت حبلها على غاربها الخ : يقال : قد ألقى فلان حبل فلان على غاربه : أي تركه هملاً يسرح حيث يشاء من غير وازع ولا مانع ، ومراده هنا - لترك الخليفة ، ولرفضتها الآن كما رفضتها قبل . ولوجدتم هذه الدنيا عندي أهون من عطفة عنز .

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد . وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته ، فناوله كتاباً ، فأقبل ينظر فيه . فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين ، لو اطردت مقالاتك من حيث أفضيت ؟

فقال (عليه السلام) : هيهات يا ابن عباس ! ... تلك شقشقة هدرت ثم قرئت^(١) ولهذا سُميت هذه الخطبة . الشقشقية .

أقول : لقد شكك في صدور هذه الخطبة عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعض الكتاب ، وراحوا يتناولونها بالشك ... ويفندونها بالنقد على حسب أهوائهم وميولهم . ودعواهم في هذا أنه لا يمكن أن تصدر هذه الكلمات عن علي (عليه السلام) بحق من تقدمه من الخلفاء ، مع أنه رضي بخلافتهم .

والنفي لهذا الشك عندي هو أن الخطبة قد أظهرت الصورة الواقعية التي كان عليها أمير المؤمنين علي بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وأظهرت أيضاً : صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية والسياسية التي كان عليها المجتمع الإسلامي من حين انتقال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى ... حتى وصلت الخلافة إليه .

ومن تتبع التاريخ بتحقيق وتدقيق ، وتأمل دامعان ، وتحكيم ضمير يرى أن ما لاقاه (عليه السلام) من جراء يوم السقيفة ... من حين بويح أبو بكر ... إلى خلافة عمر ... إلى مقتل عثمان ، تلك

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١ ص ١٥١ إلى صفحة ٢٠٣ ط دار إحياء التراث العربي - بيروت .

وشرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده : ج ١ ص ٣٠ - ٣٧ طبعة دمشق .

الحقبة من الزمن يجد المتأمل أن الخطبة قد اشتملت على أحداث مؤلمة ، وصعوبات كانت تعترض سبيله .

- منها يوم السقيفة . . . ومنها عهد الخليفة الأول لصاحبه عمر بن الخطاب . . . ومنها جعله في أحد الستة أصحاب الشورى ، وتحت مشيئة عبد الرحمن بن عوف واختياره ، حتى كان عثمان صاحب السهم الأوفر وهي آخر حلقة من مؤامرة دبّرت لتحول دون وصوله (عليه السلام) للخلافة ولا مجال لسرد الوقائع والأحداث . . . فالتاريخ شاهد على ذلك .

وتوخياً للرد على من شكك بهذه الخطبة ، ووقف منها موقف الحذر أمثال الأستاذ الباقوري الذي يقول في كتابه - علي إمام الأئمة - ص ٦٨ - .

« خطبة الإمام التي نقف منها موقف الحذر الذي لا يرحب بكل ما يلقي إليه من روايات تاريخية لا تسلم من هوى جامع ، ولا من حقد متربص . . الخ » .

ثم يبدأ الأستاذ الباقوري بنقد تلك الخطبة نقداً يترآى من خلاله التحامل على الكلمات الواردة فيها والتي في نظره تغض من قدر أبي بكر وعمر وعثمان . . . والحقيقة أنها لا تغض من قدر أحد بل هي صورة واضحة شفافة عن حقيقة الحياة الاجتماعية والسياسية التي كانوا عليها .

ولا أبالغ إن قلت أن الأستاذ الباقوري من وراء نقده للكلمات الواردة في الخطبة الأنفة الذكر والتي لم توافق هواه . . . أنه لم يسلم هو من الهوى الجامع . . . ولا من الحقد المتربص . . .

هدانا الله وإياه لسلوك طريق العدل والإنصاف فلا يأخذ الهوى بعد ذلك عندما يكتب . فلا يميل . . بل يتحرى الحقائق التاريخية بغير غلو أو تحيز .

ولسنا الآن بصدد ردود أو مناقشة ، ولكني أسفت جداً حينما

قرأت هذه الكلمات في كتابه المذكور حيث أن الكتاب صدر عن رجل
كاتب كان الأجدر به أن يبذل جهده في التمحيص والتحقيق . . والله،
ولي التوفيق .

ما نُسب لعبد الله بن عباس من مفارقتة لأُمير المؤمنين علي وأخذ مال البصرة

خاض كتاب السير والتراجم في موضوع اعتزال عبد الله بن العباس رضي الله عنه لإبن عمه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : وتناولوا هذه القضية بالرواية والتحليل حتى بدت الصورة بألوان كشيقة صارخة ، وحتى أخرجوها على نحو من الدقة والمبالغة ما يكاد يحمل المتأمل العاقل على الشك فيها أصولاً وفروعاً . . . لكن الحقائق غنية عن الأخذ والرد ، خصوصاً لمن عرف شخصية ابن عباس ، ومدى ولائه وإخلاصه لابن عمه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

فمن هو ابن عباس يا ترى . . . ؟ هذا الذي استطارت به الأخبار . . . وجرت في سيرته أقلام المحدثين والقدامى من كتاب السيرة والتراجم . . . ؟

جاء في الإستيعاب لابن عبد البر : عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، القرشي الهاشمي ، يكنى أبا العباس وهو ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن عم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

كان ابن عباس جليل القدر ، عظيم الشأن . . . يلقب بحبر الأمة . . . والبحر لفيض علمه ومهابته .

ولد ابن عباس وبنو هاشم بالشعب - شعب أبي طالب - وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وكان ابن الزبير قد أخرجه من مكة إلى الطائف ، ومات بها وهو ابن سبعين سنة ، وقيل : ٧١ سنة ، وقيل : ٧٤ سنة .

وصلى عليه محمد بن الحنفية - ابن أمير المؤمنين علي - وقال : اليوم مات رباني هذه الأمة ، وضرب عليه فسطاطاً . . .

وفي الإستيعاب أيضاً : أنه روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لعبد الله بن عباس : « أَللّهُم علمه الحكمة . . . وتأويل القرآن .

وشهد عبد الله بن عباس مع أمير المؤمنين علي الجمل ، وصفين ، والنهروان . . . الخ .

وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني : أن علياً (عليه السلام) ولاه البصرة ، وكان ابن عباس على الميسرة يوم صفين ، واستخلف أبا الأسود على الصلاة ، وزياداً على الخراج . وكان استكتبه .

فلم يزل ابن عباس على البصرة والياً حتى قُتل علي (عليه السلام) ، فاستخلف على البصرة عبد الله بن الحارث ومضى إلى الحجاز .

ومواقف ابن عباس مع ابن عمه علي وأولاده مشهورة مشكورة .

ونسب بعض الرواة والمؤرخون أنه أخذ ما في بيت مال البصرة عندما كان والياً عليها من قبل أمير المؤمنين ، وهرب بالمال إلى مكة . وانحاز عن ابن عمه علي وفارقه . . . إلى آخر ما هنالك من الروايات . .

واستدلوا على ذلك بكتاب لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) أرسله لابن عباس يعظه فيه . . ويؤنبه . . . الخ .

وقال بعض المؤرخين : هذه الأخبار والروايات غير معلوم صحتها

ويمكن أن تكون في أخيه عبيد الله بن العباس . فإن عبد الله بن العباس لم يفارق علياً (عليه السلام) ، ولا باينه ، ولا خالفه ، ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وحال ابن العباس في المحبة والإخلاص لأمر المؤمنين ومولاته والنصر له في حياته وبعد وفاته ، والخصام في رضاه مما لا شبهة فيه .

وقد ذكر اليعقوبي في تاريخه : كتب أبو الأسود الدؤلي - وكان خليفة عبد الله بن عباس بالبصرة - إلى علي (عليه السلام) يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم .

فكتب إليه - علي (عليه السلام) - يأمره بردها . . . فامتنع

فكتب إليه : - عليه السلام - يقسم له بالله . . . لتردها . . .

فلما ردها عبد الله بن عباس ، أورد أكثرها ، كتب إليه علي (عليه السلام) :

« أما بعد : فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته . . . ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه . . . فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً . . . وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً . . . واجعل همك لما بعد الموت والسلام » .

فكان ابن عباس يقول : ما اتعظت بكلام قط اتعاطي بكلام أمير المؤمنين^(١) .

وذكر الحر العاملي في وسائله : عبد الله بن العباس ، حاله في الجلالة والأخلاص لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) أشهر من أن يخفى ، وروى فيه قدح ، وهو أجل من ذلك . قاله العلامة : وبعض الذم الوارد فيه محمول على أنه في أخيه عبيد الله^(٢) .

(١) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ١٩٤ .

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٢٣٩ .

أقول : بعد الإطلاع على ما خاض فيه المؤرخون وأصحاب السير في قصة عبد الله بن العباس وأخذه ما في بيت المال بالبصرة ، واعتزاله لابن عمه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) . . . لا يمكننا نحن إلا القول : بأن لا مجال للنفي . . . أو الإثبات خصوصاً بعدما روى جماعة إنكار أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وكتابته له .

والفصل في هذا المجال صعب جداً خصوصاً بعد ما روي الكثير من الروايات في هذا الشأن والتي لا مجال لذكرها الآن .

وعلى كل حال . . . على تقدير صحة الروايات القائلة بأن ابن عباس أخذ ما في بيت مال البصرة لا يمكننا إلا القول بأن ابن عباس ليس بمعصوم ولا هو من المعصومين ، وهو بشر يمكن أن يصدر منه ذلك وقد طبعت نفوس البشر على حب الدنيا . . . فيجوز أنه أخذ شيئاً من بيت مال البصرة وذهب به .

ولكن لما كتب إليه أمير المؤمنين علي ووعظه ، وطلب منه إرجاع المال ، والعدول عن إطاعة النفس الأمارة بالسوء وألا يفرح لما يحويه في الدنيا بل يكن همه لما بعد الموت . . .

سمع ابن عباس كلام علي واتعظ به وأطاع أوامره ، وأعاد المال لما كان عليه كما ذكر اليعقوبي وغيره من المؤرخين المنصفين الذين برووا ابن عباس مما روي عنه . . . والله العالم بحقائق الأمور .

وقد ذكرنا بعضاً من ترجمة ابن عباس رضي الله عنه في باب سابق من هذا الكتاب .



آذنت الشمس بالمغيب

سلام الله عليك يا أبا الحسن . . . يا أمير المؤمنين . . . ويا إمام
المتقين . . . كان لا بد لجسدك الطاهر أن يرتاح . . .
وكان لا بد له من نهاية جهادية . . . وعبادية . . .
كان لا بد لهذا الجسد الذي أرهقته نفس كبيرة . . . صقلها
صدق الإيمان ، وعمق الأخلاص ، وصفاء الرؤيا ، وعظم الشعور
بالمسؤولية ، وقمة تحملها . .
وأرهقه قلب كبير جمع بين جموح العاطفة ، وشدة الحزم ،
ورجاحة العقل ، ومنتهى الشجاعة .
بدأ (عليه السلام) بداية جهادية ، منذ نعومة أظفاره ، منذ
التاسعة من عمره - أو العاشرة - أي قبل بلوغه الحلم . . . وتدور
الأيام . . . وله في كل يوم واقعة . . . أو معضلة ، أو معركة ، أو
تعليم ، أو عطاء ، أو تضحية . . . فإنا لا نجد صورة فنية لمسلم
مجاهد أروع من علي بن أبي طالب (عليه السلام) .
جسد أتعبته الأيام ، ومرور السنين ، وتعاقب الأحداث ، مع
العقلية السخيفة ، والدنيا المنافقة التي كانت حوله ، والمجتمع البالي
الذي كان يزرع تحت الأطماع والأحقاد الجاهلية . . . فكان لا بد له أن
يرتاح . . .

أوليس هو القائل : « والله لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاتروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنز » .

لقد قُيِّض لهذا الجسد الطاهر أن يكون الوحيد في بني البشر . . . يبدأ وليداً في بيت الله - في الكعبة المشرفة أعلا الله شأنها . . . وينتهي شهيداً في بيت آخر من بيوت الله . . . في مسجد الكوفة الذي ورد في فضله أمر عظيم .

كان (عليه السلام) يسعى لهذه النهاية ، ويتمنى قربها لحظة بلحظة . . . يحن إليها حنين النيب ، وينشد إليها إشداد الرضيع لشدي أمه . . . ويشتاقيها اشتياق يعقوب ليوسف . . .

وكانت صرخته المشهورة سلام الله عليه : « فزت ورب الكعبة . . . » .

كانت هذه الصرخة تعبيراً صادقاً لهذا الجسد الذي أنهكته عظم المسؤولية : عن عشقه لهذه اللحظة . . لحظة الراحة وبداية السعادة الأبدية .

وقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير خبر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بسيف عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي لعنه الله في سنة أربعين للهجرة في شهر رمضان المبارك . . واختلفوا في تحديد الليلة التي ضرب فيها (عليه السلام) ، فمنهم من قال : قتل علي بن أبي طالب في شهر رمضان - يوم الجمعة - لتسع عشرة خلت منه ، وقيل : لسبع عشرة ، وقيل : لإحدى عشرة ، وقيل : لثلاث عشرة بقيت منه . . . والأول أصح ، وهو المشهور عند أكثر المؤرخين ، وعلى الأخص الشيعة الإمامية^(١) .

(١) في تاريخ الطبري والكمال لابن الأثير : أنه قُتل (عليه السلام) يوم الجمعة . ولعل =

جاء في تاريخ ابن الأثير عن عثمان بن المغيرة أنه قال : كان علي (عليه السلام) لما دخل شهر رمضان ، يتعشى ليلة عند الحسن . . . ليلة عند الحسين (عليهما السلام) ليلة عند عبد الله بن جعفر ، لا يزيد على ثلاث لقم ، ويقول :

« أحب أن يأتيني أمر الله وأنا خميص . . . وإغما هي ليلة أو ليلتان . . . »

فلم تمض ليلة حتى قُتل (عليه السلام) .

وقال الحسن بن كثير عن أبيه قال : خرج علي (عليه السلام) من الفجر ، فأقبل الأوز يصحن في وجهه ، فطردوه عن عه ، فقال : « ذروه فإني نوائح . . . » فضربه ابن ملجم لعنه الله في ليلته .

وقال الحسن بن علي (عليهما السلام) يوم قُتل علي : خرجت البارحة وأبي يصلي في مسجد داره ، فقال لي :

« يا بُني إني بت أوقظ أهلي . . . لأنها ليلة الجمعة ، صبيحة بدر . . . فملكنتني عينا ، فمنت ، فسبح لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت :

- يا رسول الله . . . ماذا لقيت من أمتك من الأود واللد ؟ (١) .

فقال لي رسول الله : ادع عليهم . . .

فقلت : اللهم ابدلني بهم من هو خير منهم . . . وابدلهم بي من هو شر مني . . . »

فجاء ابن الثباج ، فأذنه بالصلاة . . . فخرج وخرجت خلفه . . .

= الصواب . . . ما يأتي عن الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد ناقلاً عن أبي مخنف أنه ضرب (عليه السلام) ليلة الأربعاء ، وقبض ليلة الجمعة . . . وإنه وقع اشتباه بين ليلة الضرب وليلة الوفاة والله أعلم .
(١) الأود - العوج - واللد : الخصومات .

وفي المسجد ضربه ابن ملجم وهو ساجد في محرابه . . فقتله .
وكان علي (عليه السلام) إذا رأى ابن ملجم قال : أريد حياته
ويريد قتلي . . الخ .
وفي تاريخ ابن الأثير أيضاً : أن علياً (عليه السلام) كان يقول :
« ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هذه » يعني لحيته من دم
رأسه^(١) .

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج ٣ ص ١٩٥ .

الفاجعة الأليمة

ذكر الشيخ المفيد في إرشاده : ما رواه جماعة من أهل السير :
منهم أبو مخنف ، وإسماعيل بن راشد ، وأبو هاشم الرفاعي ، وأبو
عمرو الثقفي وغيرهم : إن نفراً من الخوارج ، اجتمعوا بمكة ،
فتذكروا الأمراء ، فعابوهم . . . وعابوا أعمالهم . . .

وذكروا أهل النهروان أيضاً : وترحموا عليهم ، فقال بعضهم
لبعض : لو أنا شرينا أنفسنا لله ، فأتينا أئمة الضلال ، فطلبنا غرتهم ،
وأرحنا منهم العباد والبلاد لله . . . وثأرنا لأخواننا الشهداء بالنهروان .

فتعاهدوا عند انقضاء الحج على ذلك .

فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي - لعنه الله - : أنا أكفيكم
علياً . .

وقال البرك بن عبد الله التميمي : أن أكفيكم معاوية . . .

وقال عمرو بن بكر التميمي : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . . .

وتعاهدوا على ذلك . . وتواثقوا على الوفاء . . . واتعدوا لشهر
رمضان في ليلة تسع عشرة منه ، ثم تفرقوا على ذلك .

أقبل ابن ملجم - لعنه الله - وكان عداؤه في كنده ، حتى قدم

الكوفة ، فلقى بها أصحابه ، وكتمهم أمره ، مخافة أن ينتشر منه شيء .
فهو في ذلك إذ زار رجلاً من أصحابه ذات يوم من تيم الرباب ،
فصادف عنده قطام بنت الأخضر التيمية - لعنها الله - وكان أمير المؤمنين
(عليه السلام) قتل أباهما ، وأخاها بالنهروان ، وكانت من أجمل نساء
أهل زمانها .

فلما رآها ابن ملجم شغف بها ، واشتد إعجابه بها ، وسأل في
نكاحها . وخطبها . . . فقالت له : ما الذي تُسمي لي من
الصداق . . ؟

فقال لها - ابن ملجم - : احتكمي ما بدا لك . . .
فقالت له : أنا محتكمة عليك ، ثلاثة آلاف درهم ، وعبدًا ،
وقينة ، وقتل علي بن أبي طالب . . .
فقال لها : لك جميع ما سألت . . فأما قتل علي بن أبي طالب فأني
لي بذلك . . ؟

فقالت : تلمس غرته . . فإن أنت قتلتني ، شفيت نفسي . .
وهناك العيش معي . . وإن أنت قُتلت ، فما عند الله خير لك من
الدنيا .

فقال : أما والله ما أقدمني هذا المصر ، وقد كنت هارباً منه ، لا
آمن مع أهله ، إلا ما سألتني من قتل علي بن أبي طالب . . . فلك ما
سألت . .

قالت : فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ، ويقويك .
ثم بعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرباب ، فخبّرتة الخبر ،
وسألتة معونة ابن ملجم لعنه الله ، فتحمل ذلك لها . .
وخرج ابن ملجم فأق رجلًا من أشجع ، يقال له - شبيب بن
بجرة فقال له : يا شبيب . . هل لك في شرف الدنيا والآخرة . . .

قال شبيب : وما ذاك ؟

قال - ابن ملجم - : تساعدني على قتل علي بن أبي طالب . . .
وكان شبيب على رأي الخوارج . . .
فقال له : يا ابن ملجم . . . هيلتك الهبول . . لقد جئت شيئاً
إدأ . . ! وكيف تقدر على ذلك؟^(١) .

فقال له ابن ملجم : نكمن له في المسجد الأعظم ، فإذا خرج
لصلاة الفجر ، فتكنا به ، وإن نحن قتلناه شفينا أنفسنا . . وأدركنا
ثأرنا .

فلم يزل به حتى أجابه . . فأقبل معه حتى دخلا المسجد على
قطام وهي معتكفة في المسجد قد ضربت عليها قبة .
فقالا لها : قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل .

ف قالت لهما : إذا أردتما ذلك فأتياي في هذا الموضع . فانصرفا من
عندها . فلبثا أياماً ، ثم أتياها ومعهما الآخر - وردان - ليلة الأربعاء
لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة . . .

فدعت لهم قطام بحريز فعصبت به صدورهم ، وتقلدوا
أسيافهم ، ومضوا وجلسوا مقابل السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين
(عليه السلام) إلى الصلاة .

وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من
العزيمة على قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .
فواطأهم الأشعث على ذلك - ووعدهم بالإعانة - .

(١) وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير : قال له شبيب : ويحك لو كان غير علي كان
أهون ، قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الإسلام ، وما أجدني أنشرح لقتله ، قال
- ابن ملجم - : أما تعلمه قتل أهل النهروان والعباد الصالحين ؟ قال : بلى : قال :
فنقلته بمن قتل من أصحابنا فأجابه . .

وحضر الأشعث بن قيس لعنه الله في تلك الليلة لمعونتهم على ما اجتمعوا عليه .

وكان حجر بن عدي رحمه الله في تلك الليلة باثناً في المسجد ، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم : النجاء . . . النجاء . . لحاجتك فقد فضحك الصبح .

فأحس حجر بما أراد الأشعث ، فقال له : قتلته يا أعور . . .
 وخرج حجر مبادراً ليمض إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ليخبره الخبر ، ويحذره من القوم .

فخالفه أمير المؤمنين (عليه السلام) في الطريق - حيث جاء المسجد من طريق آخر - فدخل (عليه السلام) المسجد ، فسبقه ابن ملجم لعنه الله ، فضربه بالسيف .

فأقبل حجر بن عدي والناس يقولون قُتل أمير المؤمنين^(١) .
 وفي مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني عن أبي مخنف أنه قال : حدثني أبي عن عبد الله بن محمد الأزدي ، قال :

إني لأصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل مصر كانوا يصلون في ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره ، إذ نظرت إلى رجال يصلون قريباً من السدة^(٢) قياماً وقعوداً ، وركوعاً وسجوداً ، ما يسأمون . . . إذ خرج علي (عليه السلام) لصلاة الفجر .

فأقبل ينادي : الصلاة . . الصلاة ، فما أدري أنادى أم رأيت بريق السيف . . . وسمعت قائلاً يقول : الحكم لله يا علي لا لك ، ولا لأصحابك . . ثم رأيت بريق سيف آخر ثانياً ، وسمعت علياً يقول : لا يفوتنكم الرجل .

(١) الإرشاد للشيخ المفيد : ص ١٥ - ١٦ .

(٢) السدة : بالضم - كالظلة على الباب لتقي الباب من المطر ، وقيل : هي الباب نفسه ، وقيل : هي الساحة بين يديه .

وفي مقاتل الطالبين أيضاً عن اسماعيل بن راشد : إن شبيب بن بجرة ضرب علياً (عليه السلام) فأخطأه ، ووقعت ضربته في الطاق - وفي رواية الطبري وابن الأثير : وقع سيفه بعضادة الباب - .

وضربه ابن ملجم لعنه الله فأثبت الضربة في وسط رأسه .

وقال عبد الله بن محمد الأزدي : وشد الناس عليه من كل ناحية حتى أخذوه .

وقيل أخذه المغيرة بن الحرث بن عبد المطلب طرح عليه قطيفة ثم صرعه ، وأخذ السيف من يده ، وجاء به .

وأما شبيب بن بجرة فإنه خرج هارباً ، فلحقه رجل - من حضرموت يقال له عويمر وفي يد شبيب السيف فأخذه الحضرمي وصرعه ، وجلس على صدره بعد أن أخذ السيف من يده ليقتله ، فرأى الناس يقصدون نحوه ، فخشى أن يعجلوا عليه ولا يسمعوا منه ، فوثب عن صدره ، وخلاه ، وطرح السيف من يده . . .

ومضى شبيب هارباً حتى دخل منزله ، ودخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره ، فقال له : ما هذا . . . ؟! لعلك قتلت أمير المؤمنين . . . فأراد أن يقول له : لا . . . فقال : نعم . . .

فمضى ابن عمه فاشتمل على سيفه ، ثم دخل عليه ، فضربه به حتى قتله .

وذكر الطبري أما وردان الذي طلبته قطام ليساعد ابن ملجم على قتل أمير المؤمنين علي - ووردان من تيم الرباب من قومها - فقد هرب حتى دخل منزله ، فدخل عليه رجل من بني أبيه ، وهو ينزع الحرير عن صدره . . . فقال له : ما هذا الحرير والسيف ؟ .

فأخبره بما كان .

فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله . الخ .

وذكر الأصفهاني أيضاً عن عبد الله بن محمد الأزدي أنه قال :
أدخل ابن ملجم لعنه الله على علي (عليه السلام) ، ودخلت عليه
فيمر دخل ، فسمعت علياً يقول :

« النفس بالنفس . . . إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني ، وإن سلمت
رأيت فيه رأي » .

فقال ابن ملجم لعنه الله : والله لقد ابتعته - أي السيف - بألف ،
وسممته بألف ، فإن خانني فأبعده الله .

ونادته أم كلثوم : يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين . . .

قال - ابن ملجم - : إنما قتلت أباك .

قالت أم كلثوم : يا عدو الله إني لأرجو أن لا يكون عليه
بأس . . .

قال لها ابن ملجم : فأراك إنما تبكين علياً . . . إذاً والله لقد
ضربته ضربة لو قُسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم^(١) .

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة : أدخل ابن ملجم على علي بعد
ضربه إياه ، فقال (عليه السلام) :

« أطيبوا طعامه ، وألينوا فراشه ، فإن أعش فأنا ولي دمي ، إما
عفوت . . . وإما اقتصصت . وإن أمت فألحقوه بي . . الخ »^(٢) .

وفي الإستيعاب لابن عبد البر : اختلف في صفة أخذ ابن ملجم .
فلما أخذ قال علي (عليه السلام) : أحبسوه ، فإن مت فاقتلوه ، ولا
تمثلوا به ، وإن لم أمت فالأمر إلي في العفو أو القصاص . . الخ .

واختلفوا أيضاً : هل ضربه - ابن ملجم - في الصلاة أو قبل
الدخول فيها . . ؟

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ١ ص ١٦٠ .

وهل استخلف من أتم بهم الصلاة؟ . . . أو هو أتمها . . . ؟
والأكثر أنه استخلف جمعة بن هبيرة فصلى بهم تلك الصلاة والله أعلم^(١) .

وفي بحار الأنوار للمجلسي : بإسناد أخى دعبل عن الرضا ، عن آبائه ، عن علي بن الحسين (عليهم السلام) قال : لما ضرب ابن ملجم لعنه الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان معه آخر ، ف وقعت ضربته على الحائط .

وأما ابن ملجم ، ف ضربه ، ف وقعت الضربة وهو ساجد على رأسه .

والمشهور أنه (عليه السلام) ضرب وهو ساجد في محرابه بمسجد الكوفة صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان والله العالم .

هذا ما كان من أمر عبد الرحمن بن ملجم المرادي مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

وأما البرك بن عبد الله التميمي الخارجي وهو أحد الذين تعاقدوا على قتل كل من - علي بن أبي طالب - ومعاوية بن أبي سفيان - وعمر بن العاص - فإنه ذهب إلى الشام ليقوم بالمهمة الموكولة إليه ، ويفي بما اتفق عليه مع صاحبيه من قتل معاوية .

فقد ذكر الأصفهاني في مقاتل الطالبين عن أبي غنخ أنه قال : أما صاحب معاوية وهو البرك بن عبد الله التميمي فإنه قصده ، فلما وقعت عينه عليه ، ف ضربه ف وقعت ضربته في إتيته . وأخذ . . . فجاء الطبيب إلى معاوية ، فنظر إلى الضربة فقال :

إن السيف مسموم . . . فاختر ، إما أن أحمي لك حديدة فاجعلها في الضربة فتبرأ . . . وإما أن أسقيك دواء فتبرأ وينقطع نسلك . .

(١) الإستيعاب لابن عبد البر : حاشية الإصابة لابن حجر العسقلاني : ج ٣ ص ٥٩ .

قال معاوية : أما النار فلا أطيعها . . . وأما النسل ففي يزيد ،
وعبد الله ما يقر عيني ، وحسبي بهما . . .

فسقاه الطبيب الدواء ، فعوفي وعالج جرحه حتى التأم ، ولم يولد
بعد ذلك .

وقال البرك بن عبد الله التميمي لمعاوية : إن لك عندي بشارة .

قال معاوية : وما هي ؟

فأخبره البرك بخبر صاحبيه ، وقال له : إن علياً يقتل في هذه
الليلة ، فأحسني عندك ، فإن قُتل فأنت ولي ما تراه في أمري ، وإن لم
يُقتل أعطيتك العهود . . والمواثيق أن أمضي فأقتله ، ثم أعود إليك
فأضع يدي في يدك حتى تحكم بما تراه . فحبسه عنده ، فلما أتاه أن علياً
قد قتل خلى سبيله .

وأما عمرو بن بكر التميمي وهو صاحب عمرو بن العاص ، فإنه
وافاه في تلك الليلة وقد وجد علة ، فأخذ دواء ، واستخلف رجلاً يصلي
بالناس ، يقال له خارجة بن أبي حبيبة أحد بني عامر بن لؤي .

فخرج للصلاة ، وشد عليه عمرو بن بكر فضربه بسيفه فأثبته ،
وأخذ الرجل فأتى به عمرو بن العاص فقتله^(١) .

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : ص ٣٠ ط دار المعرفة بيروت .

بعد ضربة ابن ملجم

كانت برهة من الهول والجزع . . وساعة ضجيج تكاد أن تنزل
الأرض من جرائها ، حينما ضرب اللعين ابن ملجم المرادي أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

عصف الحزن والأسى بأهل الكوفة . . . وأصابهم الدهول لما
وقع . . . وكأنهم من شدة حزنهم وذهولهم أشباح بلا أرواح . . .

اشتد الحزن عليهم وذهبت بهم المخاوف لما سيطرت على فقد أمير
المؤمنين (عليه السلام) وقتله من المحن والمصائب . . . وضياع آمال
المسلمين الصالحين التي عقدوها عليه بعد أن تسلم مقاليد الخلافة حيث
أصبح بيده الحل والربط . . .

كان المسلمون الصالحون يأملون أن ينجز متطلبات الخلافة
الإسلامية العادلة ، ويعيد ما كان قد اضمحل وانهار من المساواة
والعدل والإنصاف . . . ويسير بهم بسيرة الرسول الأعظم (صلى الله
عليه وآله وسلم) فيحملهم على سلوك الطريق الواضح والمحجة
البيضاء .

أحاط الناس بأمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعد الضربة
الفاتكة الأثيمة ، وحملوه إلى منزله بعد أن قدم جعدة بن هبيرة

المخزومي^(١) ليصلي بالناس الغداة .

وعلت على وجوه الذين أحاطوا به سحائب قائمة من الألم ،
والأسى ، والحزن والتأسف حزناً على أمير المؤمنين (عليه السلام) .
وأدخل إلى منزله ليؤثق له بالطبيب .

ففي مقاتل الطالبين للأصفهاني عن أبي مخنف بعد سلسلة من
الأسناد : إن علياً (عليه السلام) لما ضرب ، جُمع له أطباء الكوفة فلم
يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانيء السكوني^(٢)

(١) في الإصابة لابن حجر العسقلاني : ج ١ ص ٢٥٧ جعدة بن أبي هبيرة القرشي
المخزومي ، أمه أم هاني بنت أبي طالب ، ولد على عهد النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم) ، وولي خراسان لعلي (عليه السلام) . وقال البخاري : له صحبة . وقال
الحاكم في تاريخه : إن له رؤية . وفي الإصابة أيضاً : أما كونه له رؤية ، فحق . . .
لأنه ولد في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهو ابن بنت عمه أبي طالب
وخصوصية أم هانيء بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شهيرة . وروى الطبراني من
طريق ابن جريج عن أبي الزبير ، أنه حدثه عن مجاهد أنه حدثه عن جعدة بن هبيرة
قال : نهاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أتختم بالذهب . . الحديث .
وفي الإستيعاب لابن عبد البر حاشية الإصابة ج ١ ص ٢٤٠ جعدة بن هبيرة القرشي
المخزومي أمه أم هانيء بنت أبي طالب ولاء خاله علي بن أبي طالب على خراسان .
قالوا : كان فقيهاً . وجعدة هو الذي يقول :

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يباي^(١) علي بخاله كخالي علي ذي الندى وعقيل

وفي أعيان الشيعة عن الكشي : قال : وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) خاله وهو
الذي قال له عتبة بن أبي سفيان : إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك علي .
فقال له جعدة : لو كان خالك مثل خالي لنسيت أباك . وقال نصر بن مزاحم في
كتاب صفين : كان لجعدة في قریش شرف عظيم ، وكان له لسان ، وكان من أحب
الناس إلى علي (عليه السلام) . وعن مصعب بن عبد الله الزبيري استعمل علي على
خراسان جعدة بن هبيرة المخزومي وانصرف إلى العراق . ثم حج وتوفي بالمدينة .

(١) يباي : باي عليهم : فخر وتكبر : المتجد في اللغة .

(٢) كان أثير بن عمرو بن هانيء السكوني من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد
أصابعهم في عين التمر فسباهم .

وكان متطياً صاحب كرسي يعالج الجراحات .

وإن أثيراً - الطبيب لما نظر إلى جرح أمير المؤمنين (عليه السلام) دعا برئة شاة حارة ، واستخرج عرقاً منها ، فأدخله في الجرح ، ثم استخرجه ، فإذا عليه بياض الدماغ . . . فقال له : يا أمير المؤمنين . . . أعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك^(١) .

وأما في خارج منزله (عليه السلام) فقد تدافعت الجموع بهلع وجزع . . . جاؤا من جميع أنحاء الكوفة للاستفسار عن صحته وما آل إليه حاله بعد ضربة ابن ملجم الأثيمة . ولم يكن ليؤذن بالدخول عليه لكثرتهم إذ حالة أمير المؤمنين لا تساعد على استقبالهم .

وقف بالباب جماعة منهم يطلبون الأذن بالدخول عليه وفي مقدمتهم الأجلاء من أصحابه (عليه السلام) .

ففي بحار الأنوار عن الأصبع بن نباتة ، قال : لما ضرب ابن ملجم لعنه الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) . عدونا^(٢) نفر من أصحابنا ، أنا ، والحارث ، وسويد بن غفلة^(٣) وجماعة

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٣٨ .

(٢) وفي آمالي الطوسي : غدونا عليه .

(٣) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٢١٣ : سويد بن غفلة . . من أولياء أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قاله العلامة نقلاً عن البرقي . وفي الاستيعاب لابن عبد البر حاشية الإصابة ج ٢ ص ١١٦ سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي ، يكنى أبا أمية ولد عام الفيل وكان قد أدى الصدقة إلى مصدق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قدم المدينة يوم دفن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم شهد القادسية ثم شهد سويد بن غفلة مع علي (عليه السلام) صفين وتزوج سويد بن غفلة جارية بكرة وهو ابن مائة وست عشرة سنة فافتنضها وكان يختلف إليها وقد أتت عليه سبع وعشرون ومائة سنة . سكن الكوفة ومات بها في زمن الحجاج بن يوسف سنة إحدى وثمانين وقيل ٨٢ .

وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني : روى ابن عساكر في سلسلة من الأسناد عن أسامة بن أبي عطاء قال : كنت عند النعمان بن بشير فدخل سويد بن غفلة فقال له النعمان : ألم يبلغني أنك صليت خلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ قال : =

معنا . ففعدنا على الباب . . . فسمعنا البكاء . . فبكينا . . .
 فخرج إلينا الحسن بن علي (عليهما السلام) ، فقال : يقول لكم
 أمير المؤمنين (عليه السلام) انصرفوا إلى منازلكم . . .
 فانصرف القوم غيры ، فاشتد البكاء من منزله . . . فبكيت . . .
 وخرج الحسن (عليه السلام) وقال : ألم أقل لكم . . انصرفوا ؟
 فقلت : لا والله يا ابن رسول الله . . لا تتابعني نفسي . . ولا
 تحمليني رجلي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين (عليه السلام) . .
 قال - الأصبغ بن نباتة - فبكيت . . .
 ودخل الحسن (عليه السلام) فلم يلبث أن خرج فقال لي :
 ادخل . . .
 فدخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فإذا هو مستند ،
 معصوب الرأس بعمامة صفراء . . . قد نزع الدم . . . واصفر
 وجهه . . ما أدري وجهه اصفر . . أو العمامة ! . . .
 فأكبت عليه ، فقبلته ، وبكيت . . .
 فقال لي : لا تبك يا أصبغ . . . فإنها والله الجنة . . .
 فقلت له : جُعلت فداك إني أعلم والله أنك تصير إلى الجنة . . .
 وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين^(١) .
 وفي مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني عن أبي الطفيل : إن
 صعصعة بن صوحان^(٢) استأذن على أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

= مرة . . . لا . . بل مراراً وكان النبي (صل الله عليه وآله وسلم) إذا نودي بالأذان
 كأنه لا يعرف أحداً . وقبل جاوز المائة والثلاثين والله العالم .
 (١) بحار الأنوار للمجلسي : ج ٤٢ ص ٢٠٤ .
 (٢) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٢١٧ . صعصعة بن صوحان ، عظيم
 القدر ، من أصحاب علي (عليه السلام) قاله العلامة وروى الكشي وغيره له مدحاً =

وقد أتاه عائداً . فلم يكن له عليه إذن . . .

فقال صمصعة للآذن : قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً ، فوالله لقد كان الله في صدرك عظيماً ، ولقد كنت بذات الله عليماً . . .

فأبلغه الآذن مقالة صمصعة . .

فقال له علي (عليه السلام) : قل له : وأنت يرحمك الله ، فلقد كنت خفيف المؤونة ، كثير المعونة^(١) .

= جليلاً . وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني : ج ٢ ص ٢٠٠ . صمصعة بن صوحان العبدى كان مسلماً في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد صفين مع علي (عليه السلام) وكان خطيباً فصيحاً . وفي أعيان الشيعة : قام صمصعة إلى عثمان بن عفان وهو على المنبر فقال : يا أمير المؤمنين ملت فمالت أمتك ، اعتدل تعتدل أمتك ، وقدم وفد أهل العراق على معاوية فقال : مرحباً بكم يا أهل العراق قدمتم أرض الله المقدسة منها المنشر وإليها المحشر . قدمتم على خير أمير يبر كبيركم ، ويرحم صغيركم . ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماً وعقلاء . فأشار الناس إلى صمصعة بن صوحان فقال : فحمد الله وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال : أما قولك يا معاوية : إنا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمري ما الأرض تقدس الناس ، ولا يقدس الناس إلا أفعالهم . وأما قولك : إن منها المنشر وإليها المحشر ، فلعمري ما ينفع قريبها كافراً ولا يضر بعدها مؤمناً . وأما قولك لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماً وعقلاء . فقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان آدم (عليه السلام) ، فمنهم الحليم ، والسفيه ، والجاهل ، والعالم . فقال له معاوية : والله لأجفينك عن الوساد ، ولأشردن بك في البلاد ، فقال له صمصعة : والله إن في الأرض لسعة ، وإن في فراقتك لدعة . في حوار طويل لا مجال لذكره . وذكر العسقلاني في إصابته : إن صمصعة مات بالكوفة في خلافة معاوية وقيل أن المغيرة نفى صمصعة بأمر معاوية من الكوفة إلى الجزيرة ، أو إلى البحرين وقيل إلى جزيرة ابن طافان فمات بها رحمه الله . وفي الإستيعاب لابن عبد البر : صمصعة بن صوحان كان سيداً من سادات قومه عبد القيس وكان مسلماً على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يعد في أصحاب علي (عليه السلام) وكان ديناً فاضلاً بليغاً . . الخ .

(١) مقاتل الطالبين لابن الفرغ الأصفهاني : ص ٣٧ .

وفي أعيان الشيعة عن ابن الأثير في أسد الغابة بسنده عن عمرو
وذى مر ، قال :

لما أصيب علي بالضربة ، دخلت عليه ، وقد عصب رأسه ،
فقلت : يا أمير المؤمنين ... أرنى ضربتك ؟ ... فحلها ...

فقلت : خدش ... وليس بشيء ...

قال (عليه السلام) : إني مفارقكم ...

فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب ، فقال لها : « اسكتي ...
فلو ترين ما أرى لما بكيت ...

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ماذا ترى ؟ .

قال (عليه السلام) : هذه الملائكة وفود ، والنبون ، وهذا محمد
(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « يا علي أبشر ... فما تصير إليه
خير مما أنت فيه .. »^(١) .

وفي بحار الأنوار للمجلسي عن الأصبغ أن علياً (عليه السلام)
قال : « لقد ضربت في الليلة التي قبض فيها يوشع بن نون ، ولأقبضن
في الليلة ، التي رُفع فيها عيسى بن مريم (عليه السلام) .

أقول : بعد أن أعطى الطبيب أثير بن عمرو بن هانيء السكوني
رأيه عن مدى مفعول ضربة ابن ملجم لعلي (عليه السلام) . وإن
الضربة كانت بسيف مسموم وقد وصلت إلى أم رأسه الشريف ، قال
له : أعهد عهدك يا أمير المؤمنين . عند ذلك دعا ولديه الحسن والحسين
فقال لهما كما جاء في تاريخ الطبري :

« أوصيكمما بتقوى الله ، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا
على شيء زوي عنكما ... وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، واغثا
الملهوف ، واصنعا للأخرة ...

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : ج ١ ص ٥٣٣ .

كونا للظالم خصماً ، وللمظلوم ناصراً ... واعملا بما في الكتاب
ولا تأخذكما في الله لومة لائم ...

ثم نظر إلى - ولده - محمد بن الحنفية ، فقال : « هل حفظت ما
أوصيت به أخويك ؟ »
قال : نعم ...

قال (عليه السلام) : « فإني أوصيك بمثله ... وأوصيك بتوقير
أخويك العظيم حقهما عليك ، فاتبع أمرهما ، ولا تقطع أمراً
دونهما ... » .

ثم قال (عليه السلام) : « أوصيكما به ، فإنه شقيقكما ، وابن
أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه ... » .

ثم قال للحسن : أوصيك أي بني بتوقير الله وإقام الصلاة
لوقتها ... وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فإنه لا صلاة
إلا بطهور .

وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم
عن الجاهل والتفقه في الدين ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ،
والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش ... » (١) .

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : إن علياً (عليه السلام)
قال لابنه الحسن : « أبصروا ضاربي أطعموه من طعامي واسقوه من
شرابي » ثم قال للحسن : إذا مت فلا تغال في كفني ... وصل علي ،
وكبر علي سبعا ... وفي رواية خمسا ... وغيب قبري ... » .

وفي كتاب البحار للمجلسي عن أمالي الشيخ عن جابر بن يزيد ،
عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

لما احتضر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، جمع بنيه حسناً وحسيناً

(١) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ١١٣ .

ومحمد بن الحنفية ، والأصاغر من ولده ، فوصاهم ، وكان في آخر وصيته لهم :

« يا بني عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم . . . وإن فُقدتم بكوا عليكم . . يا بني إن القلوب جنود مجندة ، تتلاحظ بالمودة . . . وتتناجى بها . . . وكذلك هي في البغض . فإذا أحببت الرجل من غير خير سبق منه إليكم ، فارجوه . . . وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه .

وفي بحار الأنوار أيضاً عن نهج البلاغة : من كلام لعلي (عليه السلام) قبيل موته على سبل الوصية :

« وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً . . . ومحمد (صلى الله عليه وآله) فلا تضيعوا سنته . . . أقيموا هذين العمودين ، وخلاكم ذم . . .

أنا بالأمس صاحبكم . . واليوم عبرة لكم . . . وغداً مفارقكم .
إن أبق فأنا ولي دمي . . وإن أفنى فالفناء ميعادي . . وإن أعف فالعفو لي قربة ، وهو لكم حسنة ، فاعفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم . . ؟

والله ما فجأني من الموت وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته ، وما كنت إلا كقارب ورد ، وطالب وجد ، وما عند الله خير للأبرار .

الوصية

إن وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) التي أوصى بها بعد ضربة ابن ملجم لعنه الله وقبل وفاته (عليه السلام) ذكرها المؤرخون وأصحاب السير ، منهم أبو الفرج الأصفهاني : في كتابه مقاتل الطالبين والطبري في تاريخه : الأمم والملوك والمجلسي في كتابه : بحار الأنوار . . . وغيرهم ، مع اختلاف بسيط في بعض الألفاظ والعبارات .

ونحن الآن نذكرها حرفياً كما ذكرها العلامة السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة وهي . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . . . أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . .

ثم أن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . . .

أوصيكما - الحسن والحسين - بتقوى الله ، وأن لا تبغيا الدنيا وإن

بغتكما ، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما ، وقولا بالحق ، واعملا للأجر ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً . . .

أوصيكما . . . وجميع ولدي ، وأهل بيتي ، ومن بلغهم كتابي هذا من المؤمنين بتقوى الله ، ونظم أمركم ، وصلاح ذات بينكم ، فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام ، وإن البغضة حالقة الدين » ولا قوة إلا بالله . . .

- انظروا ذوي أرحامكم ، فصلوهم يهون الله عليكم الحساب . . .

- والله الله في الأيتام . . لا تغيروا أفواههم^(١) ولا يضيعوا بحضرتكم ، فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار » .

- والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم . . .

- والله الله في جيرانكم ، فإنهم وصية نبيكم ، ما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم . . .

- والله الله في بيت ربكم ، فلا يخلون منكم ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم تناظروا وإن أدنى ما يرجع به من أمه أن يغفر له ما سلف من ذنبه . .

- والله الله في الصلاة فإنها خير العمل ، وأنها عمود دينكم . . .

(١) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في معنى قوله (عليه السلام) : « والله الله في الأيتام ، فلا تغيرن أفواههم بجفوتكم » يحتل تفسيرين : أحدهما لا تجيعوهم ، فإن الجائع يخلف قمه وتتغير نكهته . والثاني : لا تحوجوهم إلى تكرار السؤال ، والطلب ، فإن السائل ينضب ريقه ، وتنشف لهواته ، ويتغير ريق فمه .

- والله الله في الزكاة فإنها تطفىء غضب ربكم . . .
- والله الله في صيام شهر رمضان ، فإن صيامه جنة من النار . . .
- والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان ، إمام هدى . . . ومطيع له مقتد بهداه . . .
- والله الله في ذرية نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم . .
- والله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ، ولم يأووا محدثاً ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى بهم ، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم . والمؤوي للمحدث . . .
- والله الله في الفقراء والمساكين فاشركوهم في معاشكم . . .
- والله الله في النساء وما ملكت أيمانكم ، فإن آخر ما تكلم به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن قال : « أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم » .
- ثم قال : الصلاة الصلاة ، ولا تخافن في الله لومة لائم ، يكفكم من أرادكم وبغى عليكم .
- قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عز وجل . . ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولي الله الأمر شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم . . .
- عليكم بالتواصل . . والتبادل . . . والتبار ، وإياكم والتقاطع ، والتدابير ، والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، والتقوا الله إن الله شديد العقاب .
- حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم ، واستودعكم الله خير مستودع ، واقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته^(١) .

(١) أعيان الشيعة : للسيد محسن الأمين : ج ١ ص ٥٣٣ ط دار التعارف في بيروت .

ثم لم ينطق إلاّ بلا إله إلاّ الله حتى تُوفي سلام الله عليه .
أقول : سكت سلام الله عليه عن الكلام ، ولم ينطق إلاّ بكلمة
- لا إله إلاّ الله - كما روى ذلك المؤرخون واصحاب السير .
أجل سكت عن الكلام . . . وخفت صوته . . لكن صدى هذا
الصوت العظيم اخترق المسامع عبر القرون والأجيال . . وبقيت تعاليمه
القيمة وإرشاداته الصحيحة . . وكلماته الرائعة نبراساً تضيء ظلمات
النفوس . . وشعلة من نور تنير طرق الهداية للسالكين .
سلام الله عليك يا أبا الحسن لقد عهدت عهدك ، وأوصيت
بوصيتك التي استقرت في ضمير الإنسانية ، ونفوس المؤمنين . . أديت
ما عليك وجالدت الدنيا لتطهر القلوب ، وتنقي الأنفس ، وتركز قواعد
الشريعة المقدسة ، وتنشر العدالة والمساواة بين الناس .
وما هو إلاّ يوم أو بعض يوم لترحل عن هذه الدنيا الزائلة ثم
يكون اللقاء بأحب الخلق إليك ابن عمك وأخيك رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم) .

وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

عاصفة هادرة تفجرت كأنها بركان ثائر حين أعلن نبأ وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الثلث الأخير من ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة . . .

تدفقت الجموع نحو بيت أمير المؤمنين مذعورة لهذا النبأ وكأنهم في يوم المحشر ، يلفها الذعر والأسى والألم وقد غاصت نفوسهم في الجزع لهول الفاجعة الأليمة . .

تعالَت الصائحة واختلط النواح بانين التلهف والحسرات . . حتى غرقت مدينة الكوفة - حاضرة العراق - بالضجيج والبكاء الذي شق عنان السماء . .

وما تصنع هذه الأنفس الملتاعة المكلومة التي أحست بالضياح عندما انطفأ ذلك النور الذي كانت تستضيء به . . . وانهد الركن العظيم الذي كانت تلجأ إليه . . وتعتمد عليه . .

ففي أصول الكافي للكليني عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال :

لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ارتج

- إضطرب - الموضع بالبكاء ، وذهش الناس كيوم قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وجاء رجل باكياً وهو مسرع مسترجع وهو يقول :

اليوم انقطعت خلافة النبوة . . . حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال :

رحمك الله يا أبا الحسن ، كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً ، وأشدهم يقيناً ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم عناء ، وأحوطهم^(١) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وآمنهم على أصحابه ، وأفضلهم مناقب ، وأكرمهم سوابق ، وأرفعهم درجة ، وأقربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأشبههم به هدياً ، وخلقاً ، وسمتاً^(٢) وفعلاً . . . وأشرفهم منزلة ، وأكرمهم عليه . فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً . . .

- قويت حين ضعف أصحابه لله أصحاب رسول الله - وبرزت حين استكانوا ، ونهضت حين وهنوا ، ولزمت منهاج رسول الله إذ هم أصحابه ، وكنت خليفته حقاً لم تنازع ، ولم تضرع برغم النافقين ، وغيط الكافرين ، وكره الحاسدين ، وصغر الفاسقين^(٣) .

- ففقت بالأمر حين فشلوا ، ونطقت حين تتعتعوا ،^(٤) ومضيت بنور الله إذ وقفوا ، فاتبعوك فهدوا ، وكنت أخفضهم صوتاً ، وأعلاهم قنوتاً^(٥) وأقلهم كلاماً ، وأصوبهم نطقاً ، وأكبرهم رأياً ، وأشجعهم قلباً ، وأشدهم يقيناً ، وأحسنهم عملاً ، وأعرفهم بالأمور .

(١) أحوطهم على رسول الله : أشدهم حيطة وحفظاً وصيانة وتعهداً له .

(٢) الهدى : الطريقة والسيرة . والسمت : هيئة أهل الخير .

(٣) في بعض النسخ : وضغن الفاسقين ، وهو الحقد ، والفشل ، والجبن .

(٤) التعتعة في الكلام : التردد فيه من حصر أو وعي .

(٥) في بعض النسخ : أعلاهم قدماً ، وأطيبهم كلاماً ، وأصوبهم منطقاً .

- كنت والله يعسوباً للدين . . أولاً وآخرأ : الأول حين تفرق الناس . . والآخر حين فشلوا . . .

- كنت للمؤمنين أبا رحيماً ، إذ صاروا عليك عيالاً ، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا ، وحفظت ما أضاعوا ، ورعيت ما أهملوا ، وشمريت إذ اجتمعوا ، وعلوت إذ هلعوا ، وصبرت إذ أسرعوا ، وأدركت أوتار ما طلبوا ، ونالوا بك ما لم يحتسبوا . . .

- كنت على الكافرين عذاباً صلباً ونهباً ، وللمؤمنين عمداً وحصناً ، فطرت والله بنعمائها ، وفزت بحبائها ، وأحرزت سوابقها ، وذهبت بفضائلها ، لم تفلل حجتك ، ولم يزغ قلبك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، ولم تخز^(١) .

- كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف . . .

- كنت كما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : أمن الناس في صحبتك ، وذات يدك . . .

- وكنت كما قال : ضعيفاً في بدنك ، قوياً في أمر الله ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند الله ، كبيراً في الأرض ، جليلاً عند المؤمنين .

- لم يكن لأحد فيك مهمز ، ولا لقاتل فيك مغمز . . ولا لأحد فيك مطمع . . ولا لأحد عندك هواده . . . الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه . . . والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق . والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء .

- شأنك الحق والصدق والرفق ، وقولك حكم ، وحتم ، وأمرك حلم وحزم ، ورأيك علم وعزم ، فيما فعلت . وقد نهج بك السبيل ، وسهل بك العسير ، وأطفئت بك النيران ، واعتدل بك الدين ، وقوي بك الإسلام ، فظهر أمر الله ولو كره الكافرون ، وثبت بك الإسلام

(١) من الخرور وهو السقوط ، وفي بعض النسخ : ولم تخن .

والمؤمنون ، وسبقت سبقتاً بعيداً ، وأتعبت من بعدك تعباً شديداً . .
فجللت عن البكاء ، وعظمت رزيتك في السماء ، وهدت مصيبتك
الأنام . . فإننا لله وإنا إليه راجعون . .

رضينا عن الله قضاءه . . . وسلمنا الله أمره . . فوالله لن يصاب
المسلمون بمثلك أبداً كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً وقنة راسياً^(١) وعلى
الكافرين غلظة وغيظاً فألحقك الله بنبيه ، ولا حرماً أجرك ، ولا أضلنا
بعدك . . .

وسكت القوم حتى انقضى كلامه ، وبكى وبكى أصحاب
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم طلبوه فلم يصادفوه^(٢) وفي
عمدة الزائر للسيد حيدر الحسيني الكاظمي : أن الرجل المذكور هو
الخضر (عليه السلام) .

وفي تاريخ الطبري بعد سلسلة من الأسناد عن أبي خالد بن جابر
أنه قال : سمعت الحسن يقول لما قُتل علي (عليه السلام) : وقد قام
خطيباً فقال : لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة فيها نزل القرآن . .

وفيهما رفع عيسى بن مريم (عليه السلام) .

وفيهما قُتل يوشع بن نون . . . فتى موسى (عليهما السلام) . .

والله ما سبقه أحد كان قبله . . . ولا يدركه أحد يكون
بعده . . .

والله إن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليعثه في
السرية وجبرئيل عن يمينه . . وميكائيل عن يساره . .

والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمائة ، أو سبعمائة أرضها
لخادمه^(٣) .

(١) القنة : الجبل . وراسياً : ثابتاً .

(٢) الأصول من الكافي الكليني الرازي : ج ١ ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٣) تاريخ الطبري : ج ٤ ص ١٢١ .

تغسيله عليه السلام . . . وتكفينه . . . والصلاة عليه

التحق أمير المؤمنين (عليه السلام) بالرفيق الأعلى فكان وقع نبأ وفاته خطباً عظيماً ، ومصاباً أليماً على أهل بيته وذويه وأصحابه المخلصين وجميع المؤمنين .

نهض الحسن والحسين (عليهما السلام) بأعباء ما يترتب عليهما من فعله ، وقاما بتنفيذ وصيته من حيث الغسل . . . والتكفين . . . والصلاة عليه . . . ودفنه ،

ففي بحار الأنوار للمجلسي عن محمد بن الحنفية (رض) أنه قال : أخذنا في جهازه (عليه السلام) ليلاً . وكان الحسن (عليه السلام) يغسله . . . والحسين (عليه السلام) يصب الماء عليه . وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر . . .

ثم نادى الحسن (عليه السلام) بأخته زينب - وأم كلثوم لله وقال : يا أختاه . . . هلمي بحنوط جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . .

فبادرت زينب مسرعة حتى أتته به . . . فلما فتحته فاحت الدار وجميع الكوفة ، وشوارعها لشدة رائحة ذلك الطيب . - فإنه من كافور الحنة جاء به جبريل (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم لفوه بخمسة أثواب كما أمر (عليه السلام)^(١) .

وفي تاريخ ابن الأثير : لما مات علي رضي الله عنه وأرضاه غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر . وكفن في ثلاثة أثواب ، ليس فيها قميص . وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات . . وفي تاريخ الطبري : تسع تكبيرات^(٢) .

وفي مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : تُوفي أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لإحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان سنة أربعين ، وولي غسله ابنه الحسن بن علي ، وعبد الله بن العباس .

وكفن في ثلاثة أثواب ، ليس فيها قميص .

وصلى عليه ابنه الحسن وكبر عليه خمس تكبيرات^(٣) .

وفي أعيان الشيعة : وكفن (عليه السلام) في ثلاثة أثواب بيض ، ليس فيهما قميص ، ولا عمامة ، بل كان القميص والعمامة من غيرها . وُحْنَط ببقية حنوط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم وضعوه على سريرته ، وصلّى عليه الحسن ابنه ، وكبر خمساً . . وقيل ستاً وقيل : سبعمائة . . . وقيل : تسعاً . وحمل في جوف الليل من تلك الليلة إلى ظهر الكوفة إلى النجف فدفن بالثوية عند قائم الغريين^(٤) .

وفي هداة الليل انتهى أولاد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من تجهيز والدهم .

ووضعوه على سريرته وصلّى عليه ولده الحسن (عليه السلام) . . .

(١) بحار الأنوار للمجلسي : ج ٤٢ ص ٢٩٤ .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ١٩٧ .

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : ص ٤١ .

(٤) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ١ ص ٥٣٣ .

وحملوه في الثلث الأخير من الليل إلى ظهر الكوفة يحف به أولاده وذووه وخاصة أصحابه ليدفن في النجف - قرب الغريين - حسب وصيته (عليه السلام) .

ففي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في سلسلة من الأسناد عن الحسن بن علي الخلال ، عن جده ، قال : قلت للحسين^(١) بن علي (عليه السلام) :

أين دفنتم أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟

قال : خرجنا به ليلاً من منزله حتى مررنا به على منزل الأشعث بن قيس ، ثم خرجنا به إلى الظهر بجنب الغري^(٢) .

(١) في مقاتل الطالبين : « الحسن بن علي » .

(٢) في تاج العروس للزبيدي : الغريان ... وهما بناءان مشهوران بالكوفة عند الشيعة حيث قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) . زعموا أنها بناهما بعض ملوك الحيرة . وفي معجم البلدان لياقوت الحموي : الغري : نصب كان يذبح عليه القائر - وهي ذبائح الأصنام - والغريان طربالان - الطربال قطعة من جبل - أو قطعة من حائط تستطيل في السماء وتميل .. وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإن الغريين بظاهر الكوفة بناهما المنذر بن امرئ القيس ابن ماء السماء . وكان السبب في ذلك أنه كان له نديمان من بني أسد ، يقال لأحدهما : خالد بن نضلة ... والآخر عمرو بن مسعود . فثملاً ، وراجعا الملك ليلة في بعض كلامه ، فأمر وهو سكران ، فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة ، ودفنهما حينئذ . فلما أصبح استدعاهما ، فأخبر بالذي أمضاه فيهما ، فغمه ذلك . وقصد حفرتهما ، وأمر ببناء طربالين عليهما ، وهما صومعتان ، فقال المنذر : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري ... لا يمر أحد من وفود العرب إلّا بينهما ، وجعل لهما في السنة .. يوم بؤس ، ويوم نعيم . يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ، ويغري - أي ويظلي - بدمه الطربالين . فإن رفعت له الوحش طلبتها الخيل ... وإن رُفِع طائر أرسل عليه الجوارح حتى يذبح ويظليان بدمه - وفي معجم البلدان أيضاً : مر معن بن زائدة بالغريين ، فرأى أحدهما قد شعث وهدم ، فأنشأ يقول :

لو كان شيء له أن لا يبید علی طول الزمان لما بآد الغريان
ففرق الدهر والأيام بينهما وكل ألف إلى بين وهجران

دفن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

قضى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بسيف الغدر صابراً محتسباً .. مجاهداً في سبيل الله ... راضياً بما عند الله ... وما عند الله خير وأبقى .

- قضى (عليه السلام) بعد جهاد طويل ، فكان المجاهد العظيم الذي لا يجاري جهاده جهاد .. ولا يصل إلى بطولته الرائعة بطولة التي يعجز عن وصفها القلم ...

- قضى (عليه السلام) وهو الإمام العادل ... الزاهد الورع الذي أعطى الإنسانية دروساً تضيء لها ظلمات النفوس ...

- قضى (عليه السلام) بعد أن أعطى من علمه الشيء الكثير ... فبقيت كلماته وتعاليمه منارات إشعاع ... ومنابع حكمة .. ومثار عزائم ... وعدة للمتقين المؤمنين ... وقدوة يقتدى بها بعد كتاب الله عز وجل ... والأحاديث النبوية الشريفة ... أليس هو باب مدينة العلم ... كما قال الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ... أنا مدينة العلم وعلي بابها ...

- قضى (عليه السلام) فريد زمانه فكان الأوحد الذي اجتمع له من عناصر العلم والحكمة والشرف ، ما لم يجتمع لأحد قبله ولا بعده

من بني البشر سوى الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

- قضى (عليه السلام) فكان المثل الأعلى الذي اجتمعت في شخصه السامي المروءة والشجاعة والإقدام ، واجتمع فيه من مقومات القيادة ومعطيات الحكم . . . ونيل السياسة والنزاهة ما لم يجتمع في غيره . . . فكان (عليه السلام) العالم العامل . . . والقائد المحنك . . . والحاكم العادل . . . والفقيه المتبحر . . . والمربي العظيم .

- قضى (عليه السلام) في أقدس بقعة في بيت الله - بالكوفة - كما ولد في أقدس بقعة في بيت الله في الكعبة المشرفة . . . فكان فريداً في مولده . . . فريداً في استشهاده . . . فسلام عليه يوم ولد . . . ويوم استشهد . . . ويوم يبعث حياً . . .

جاء في الإرشاد للشيخ المفيد عن حيان بن علي العنزي^(١) قال : حدثني مولى لعلي بن أبي طالب ، قال : لما حضرت أمير المؤمنين الوفاة قال للحسن والحسين (عليهما السلام) :

إذا أنا مت فاحملاني على سرير ، ثم اخرجاني واحملاً مؤخر السرير ، فإنكما تكفيان مقدمه ، ثم إئتيا بي الغريين ، فإنكما ستران صخرة بيضاء ، تلمع نوراً فاحتفرا فيها ، فإنكما تجدان فيها ساجدة^(٢) فادفنا فيهما .

(١) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ١٨٤ حيان بن علي العنزي ، ثقة ، قاله العلامة . وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين حيان بن علي العنزي - هو حيان بن علي العنزي ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الصادق (عليه السلام) ، ووثقه النجاشي ، وقال الخطيب في تاريخ بغداد كان صالحاً ديناً . . . وفي تهذيب التهذيب ذكره ابن حيان في الثقة . وقال : كان يتشيع . وقال العجلي كوفي صدوق كان وجهاً من وجوه أهل الكوفة ، وكان فقيهاً . وقال البزاز في السنن : صالح . وقال حجر بن عبد الجبار بن وائل : ما رأيت فقيهاً بالكوفة أفضل منه . وفي القاموس : حيان بن علي العنزي محدث . وفي تاج العروس : من أهل الكوفة ، روى عن الأعشى والكوفيين . مات سنة ١٧٢ .

(٢) الساجدة : الأرض التي ليست بصلبة ولا لينة . وريح سجسج : الهواء المعتدل بين الحر والبرد .

قال : فلما مات أخرجناه وجعلنا نحمل مؤخر السرير ونكفي مقدمه ، وجعلنا نسمع دويًا وحفيفاً حتى أتينا الغريين ، فإذا صخرة بيضاء ، فاحتفنا فإذا ساحة مكتوب عليها . . هذه مما أدرها نوح لعلي بن أبي طالب . . .

فدفناه فيها وانصرفنا^(١) وفي حال ثبوتها تكون كرامة لعلي (عليه السلام) كما كانت ناقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مأمورة حين دخوله المدينة . وفي بحار الأنوار أنه قال لولده الحسن (عليهما السلام) : إذا أنا مت فادفنوني في هذا الظهر في قبر أخوي هود وصالح .

وفي رواية ثانية عن فرحة الغري أنه قال ادفنوني في قبر أخي هود .

وفي بحار الأنوار أيضاً عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه أنه ضجت الكوفة بالبكاء والنحيب ، وخرجن النساء يتبعنه لاطمات حاسرات ، فمنعهم الحسن (عليه السلام) ونهاهن عن البكاء والعويل وردهن إلى أماكنهن والحسين (عليه السلام) يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . . إنا لله وإنا إليه راجعون . . . يا أباه وانقطاع ظهره . . من أجلك تعلمت البكاء . . إلى الله المشتكى .

فلما انتهيا إلى قبره وإذا مقدم السرير قد وضع ، فوضع الحسن (عليه السلام) مؤخره ، ثم قام فصلى عليه والجماعة خلفه ، فكبر سبعاً كما أمره به أبوه (عليه السلام) .

ثم زحزحنا سريره وكشفنا التراب ، وإذا نحن بقبر محفور ، ولحد مشقوق وساحة منقورة مكتوب عليها : « هذا ما أدره له جده نوح النبي للعبد الصالح الطاهر المطهر » .

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ص ١٩ .

والحد أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل طلوع الفجر .
ولما أُلحد أمير المؤمنين (عليه السلام) وقف صعصعة بن صوحان
العبدى^(١) رضي الله عنه على القبر ، ووضع إحدى يديه على فؤاده
والأخرى قد أخذ بها التراب يضرب به رأسه ، ثم قال :
بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين . . .

ثم قال : هنيئاً لك يا أبا الحسن ، فلقد طاب مولدك ، وقوي
صبرك ، وعظم جهادك ، وظفرت برأيك ، وربحت تجارتك وقدمت
على خالفك ، فتلقاك الله ببشارته ، وحفّتك ملائكته ، واستقررت في
جوار المصطفى - في الجنة - فأكرمك الله بجواره ، ولحقت بدرجة أخيك
المصطفى ، وشربت بكأسه الأوفى . .

فأسأل الله أن يمن علينا باقتفائنا أثرك ، والعمل بسيرتك ،
والموالة لأوليائك ، والمعادة لأعدائك ، وأن يحشرنا في زمرة
أوليائك . . .

لقد نلت ما لم ينله أحد ، وأدركت ما لم يدركه أحد ، وجاهدت
في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده . وقمت بدين الله
حق القيام ، حتى أقمت السنن ، وأبرت الفتن^(٢) واستقام الإسلام ،
وانتظم الإيمان ، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام . . .

بك اشتد ظهر المؤمنين ، واتضحت أعلام السبل ، وأقيمت
السنن ، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك . . .

سبقت إلى إجابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مقدماً
مؤثراً ، وسارعت إلى نصرته ، ووقيته بنفسك ، ورميت سيفك ذا الفقار
في مواطن الخوف ، والحدذر .

(١) في وسائل الشيعة : صعصعة بن صوحان العبدى : عظيم القدر ، من أصحاب علي
(عليه السلام)

قاله العلامة ، وروى الكشي وغيره له مدحاً جليلاً . وقد تقدمت ترجمته .

(٢) وأبرت الفتن : أبره : أصلحه .

قصم الله بك كل جبار عنيد ، وذل بك كل ذي بأس شديد ،
وهدم بك حصون أهل الشرك ، والكفر والعدوان والردى ، وقتل بك
أهل الضلال من العدى .

فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين . . كنت أقرب الناس من رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) قريباً ، وأولهم سلماً ، وأكثرهم علماً
وفهماً . .

فهنيئاً لك يا أبا الحسن ، لقد شرف الله مقامك ، وكنت أقرب
الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نسباً ، وأولهم
إسلاماً ، وأوفاهم يقيناً ، وأشدّهم قلباً ، وأبذلهم لنفسه مجاهداً ،
وأعظمهم في الخير نصيباً فلا حرمنّا الله أجرك ، ولا أذلنا بعدك .

فوالله لقد كانت حياتك مفاتيح للخير ، ومغاليق للشر . . . وإن
يومك هذا مفتاح كل شر ومغلاق كل خير . ولو أن الناس قبلوا منك
لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . . ولكنهم آثروا الدنيا على
الآخرة .

ثم بكى بكاء شديداً ، وأبكى كل من كان معه . . وعدلوا إلى
الحسن والحسين (عليهما السلام) ، ومحمد وجعفر والعباس ويحيى
وعون وعبد الله رضي الله عنهم فعزّوهم بأبيهم (عليه السلام)
وانصرف الناس .

ورجع أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وشيعتهم إلى الكوفة ،
ولم يشعر بهم أحد من الناس^(١) .

(١) بحار الأنوار للمجلسي : ج ٤٢ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

لماذا دفن أمير المؤمنين علي ليلاً . . ؟

سلام الله عليك يا أبا الحسن . . لقد حوربت حياً . . وميتاً . . .
حوربت حياً من لدن التحاق الرسول الأعظم محمد (صلى الله
عليه وآله وسلم) بالرفيق الأعلى . وبقيت تلك الحرب مستعرة يذكيها
نار الحقد والبغضاء من أعدائك إلى حين وفائك حين ذهبت إلى جنان
الخلد شهيداً محتسباً . . .

وحوربت سلام الله عليك حرباً لا هوادة فيها . . لماذا ؟ . .
حتى لا تتنغص على سلاطين الجور حياتهم . . . والإحتفاظ
بعروشهم . . .

سعى أعداؤك جهدهم في حربك وإقصائك عن حقك . . وكل
هذا وأنت صابر محتسب لا تريد من جهادك وصمودك إلا وجه الله ،
وتثبيت قواعد الإسلام ونشر العدل والطمأنينة بين الناس . .
حوربت سلام الله عليك لأن الحق الذي هو معك يدور حيثما
درت كان معولاً هداماً يدك عروش الطغاة الظالمين . . .

حوربت سلام الله عليك لأن تعاليمك الجليلة ، وعدلك
ومساواتك بين الناس ، كل هذه كانت خناجر تدمي صدور
الحاقدين . . فتقلت عليهم حتى لم يعد لصبرهم موضع . .

واستفزهم الحقد حتى زين لهم الشيطان سوء أفعالهم فاتبعوه . .
وراحوا يميكون المؤامرات ويكيدون المكائد للتخلص منك .

وحين انتقلت إلى جوار ربك كان لا بد من إلحاق الأذى بك
وباهل بيتك وأصحابك للتنفيس لما في صدورهم من غل . . وذلك
بكشف حرمة رفاتك الطاهرة نكاية في الأذى . . وكنت تعلم بذلك . .

وخوفاً مما ذكرنا كان العمل على إخفاء قبرك الشريف بإشارة منك
لئلا ينبشوا القبر إذ لم يكن لهم دين يمنعهم ولا شرف يردعهم .

ففي إرشاد القلوب للدليمي : وأما السبب الموجب لإخفاء قبر
أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هو أنه قد تحقق ، وعلم مما جرى لأمر
المؤمنين علي من الوقائع العظيمة ، والحروب الكثيرة ، زمان النبي
المعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعده . . . أوجب ذلك حقد
المنافقين والمارقين عليه . كمعاوية بن أبي سفيان وأصحابه ، وبني أمية ،
والدولة لهم ، والملوك بيدهم . . . وكانوا يبالبغون في إطفاء نور أهل
البيت ، وإخفاء آثارهم . . .

ولهذا السبب أوصى (عليه السلام) أن يدفن سراً خوفاً من بني
أمية وأعوانهم من الخوارج ، وأمثالهم أن يتهاجموا على قبره الشريف لو
كان ظاهراً^(١) .

وفي بحار الأنوار للمجلسي : إن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)
أمر ابنه الحسن (عليه السلام) أن يحفر له أربع قبور^(٢) في أربع
مواضع : في المسجد . . . وفي الرحبة . . . وفي الغري . . . وفي دار
جعدة بن هبيرة . وإنما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع
قبره^(٣) .

(١) إرشاد القلوب للدليمي : ج ٢ ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .

(٢) هكذا وردت في الأصل . والأصح : أربعة قبور .

(٣) بحار الأنوار للمجلسي : ج ٤٢ ص ٢١٤ .

وفي الأصول من الكافي للكليني الرازي . . . عن صفوان الجمال^(١) قال : كنت أنا وعامر وعبد الله بن جذاعة الأزدي عند أبي عبد الله - الصادق - (عليه السلام) . فقال له عامر : جعلت فداك . . . إن الناس يزعمون أن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) دُفن بالرحبة . . . ؟

قال أبو عبد الله (عليه السلام) : لا . . .

قال عامر : فأين دُفن . . . ؟

قال (عليه السلام) : إنه لما مات احتمله الحسن (عليه السلام) فألقى به ظهر الكوفة ، قريباً من النجف ، يسرة عن الغري ، يمينة عن الحيرة . . . فدفنه بين ذكوات^(٢) بيض^(٣) .

(١) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٢١٧ صفوان بن مهران بن المغيرة الأسدي كوفي يكنى أبا محمد الجمال ، ثقة ، قال العلامة ، ووثقه النجاشي أيضاً ، وروى الكشي مدحه ، ووثقه المفيد في الإرشاد ، وأثنى عليه وفي حاشية الوسائل أيضاً عن الحسن بن علي بن فضال قال : حدثني صفوان بن مهران الجمال قال : دخلت على أبي الحسن الأول - موسى بن جعفر - (عليه السلام) فقال لي : يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً . قلت : جعلت فداك . . . أي شيء ؟ قال : إكراؤك جمالك من هذا الرجل - يعني هارون الرشيد - قلت : والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ، ولا للصيد ، ولا للهو ، ولكني أكريته لهذا الطريق - يعني طريق مكة ولا أتولاه ، ولكن أبعث معه غلماًني . فقال لي : يا صفوان . . . أيقع كراك عليهم ؟ قلت : نعم جعلت فداك . فقال لي : ألحج بقاءهم حتى يخرج كراك ؟ قلت : نعم . قال : فمن أحب بقاءهم فهو منهم . . . ومن كان منهم كان ورد النار . فقال صفوان : فذهبت وبعثت جوالي من آخرها ، فبلغ ذلك إلى هارون ، فدعاني إليه وقال : يا صفوان بلغني أنك بعثت جمالك ؟ قلت : نعم . فقال : لم ؟ قلت : أنا شيخ كبير . . . وهن الغلمان لا يقوون بالأعمال . فقال هارون : هيها . . . إني لأعلم من أشار عليك بهذا . . . أشارك موسى بن جعفر . قلت : ما لي ولموسى بن جعفر . . . فقال : دع هذا عنك ، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك .

(٢) كذا في أكثر نسخ الحديث ، ولعله أراد التلال الصغيرة التي كانت محيطة بقبره صلوات الله عليه شهبها لضياؤها وتوقدها عند شروق الشمس عليها لاشتغالها على الحصيات البيض والدراري - المعروفة بدر النجف - بالجمرة الملتهبة كما ذكره اللغويون .

(٣) الأصول من الكافي للكليني الرازي : ج ١ ص ٤٥٦ .

لمحة عن موضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

ذكر القمي في كتابه - من لا يحضره الفقيه - : إنه روى صفوان بن مهران الجمال عن الصادق بن محمد (عليهما السلام) : فقال : سار وأنا معه في القادسية ، حتى أشرف على النجف ، فقال : هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح (عليه السلام) ، فقال : ﴿ ساوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾^(١) فأوحى الله عز وجل إليه للجبل - يا جبل أعتصم بك مني أحد ؟ فغار - الجبل - في الأرض وتقطع ...

ثم قال - الصادق - (عليه السلام) : إعدل بنا ...

قال - صفوان - : فعدلت به ، فلم يزل سائراً حتى أتى الغري ، فوقف على القبر فساق السلام من آدم على نبي نبي (عليهم السلام) وأنا أسوق السلام معه حتى وصل السلام إلى النبي - محمد - (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم خر على القبر فسلم عليه وعلا نحيبه ثم قام فصلى أربع ركعات .

وفي خبر آخر : ست ركعات . وصليت معه ، وقلت له : يا بن رسول الله ما هذا القبر ؟ ..

(١) سورة هود : الآية ٤٣ .

قال : هذا القبر قبر جدي علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(١) .

وذكر الخليلي في موسوعته : إن زين العابدين (عليه السلام) ورد إلى الكوفة ودخل مسجدتها ، وبه أبو حمزة الثمالي^(٢) ، وكان من زهاد أهل الكوفة ومشايخها فصلى ركعتين . قال أبو حمزة : فما سمعت أطيّب من لهجته ، فدنوت منه لأسمع ما يقول . . فسمعتة يقول : إلهي إن كان قد عصيتك فإني قد أطعتك في أحب الأشياء إليك ، الإقرار بوحدايتك ، منّا منك علي لا منّا مني عليك . ثم نهض . .

قال أبو حمزة : فتبعته إلى مناخ الكوفة ، فوجدت عبداً أسوداً ، معه نجيب وناقة . فقلت : يا أسود . . من الرجل ؟

فقال : أو تخفى عليك شمائله . . هو علي بن الحسين . . .

قال أبو حمزة : فأكبت على قدميه - قدمي علي بن الحسين - أقبلهما ، فرفع رأسي بيده وقال : لا يا أبا حمزة ، إنما يكون السجود لله عز وجل .

قلت : يا بن رسول الله ، ما أقدمك إلينا ؟

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٣٥١ - ٣٥٢ - ط دار التعارف بيروت .

(٢) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ثابت بن دينار أبو حمزة الثمالي ، ثقة ممدوح قاله العلامة ، ووثقه الشيخ أيضاً ، وقال النجاشي : إنه ثقة من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتد بهم في الرواية والحديث ، ووثقه الصدوق ومدحه ، ورى الكشي وغيره له مدايح جليّة ، وذكروا أنه يروي عن علي بن الحسين ، والباقر ، والصادق ، والكاظم (عليهم السلام) .

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن لأمين كان أبو حمزة من أصحاب علي بن الحسين والباقر والصادق والكاظم (عليهم السلام) . وهو الراوي عن زين العابدين (عليه السلام) دعاء السحر الكبير في شهر رمضان المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي . الذي تشهد بلاغته ومضامينه بصحة نسبته . وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه - ولأبي حمزة الثمالي رسالة الحقوق عن علي بن الحسين (عليهما السلام) ، وروى عنه العامة وله كتاب تفسير القرآن . ومات في خلافة المنصور سنة ١٥٠ وأولاده نوح ومنصور وحمزة قتلوا مع زيد .

قال : ما رأيت . . . ولو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه ولو حبواً . .

ثم قال : هل لك أن تزور معي قبر جدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) ؟ .

قلت : أجل . .

فسرت في ظل ناقته يحدثني حتى أتينا الغريين ، وهي بقعة بيضاء . تلمع نوراً . . فنزل عن ناقته ومرغ خديه عليها .

وقال يا أبا حمزة . . هذا قبر جدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) ^(١) .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : عن أبي الغنائم وهو محمد بن علي بن ميمون المعروف بأبي ^(٢) لجودة قراءته . وكان محدثاً من أهل الكوفة ثقة حافظاً . وكان من قوام الليل ومن أهل السنة وقد توفي سنة عشر وخمسمائة وكان أبو الغنائم يقول :

ما بالكوفة من هو على مذهب أهل السنة وأصحاب الحديث غيري . وكان يقول : مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفاً إلا قبر أمير المؤمنين - علي - ، وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن .

جاء جعفر بن محمد (عليه السلام) وأبوه محمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) إليه ، فزاراه ، ولم يكن إذ ذاك قبراً معروفاً ظاهراً ، وإنما كان به سرح عضاه ^(٣) حتى جاء محمد بن زيد الداعي ^(٤) صاحب الديلم فأظهر القبر .

(١) موسوعة العتبات المقدسة : لجعفر الخليلي ج ١ من قسم النجف ص ٧٢ .

(٢) نسبة إلى أبي بن كعب بن قيس أحد القراء كما في حاشية شرح النهج .

(٣) العضاه : الواحدة عضاهة : كل شجر يعظم وله شوك . المنجد في اللغة .

(٤) في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن =

والروايات الواردة في موضع قبر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كثيرة ، وإنه دفن في المقام المعروف الآن في النجف الأشرف لا غبار عليها . وهذا هو الصحيح وعليه المعول .

وأما ما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي حسان الزيادي ، إنه قال : دفن علي بن أبي طالب بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع ليلاً وعُمِّي موضع قبره .

وإنه قال أبو حسان : حدثني النخعي عن شريك : أن الحسن بن علي حمله بعد صلح معاوية والحسن فدفنه بالمدينة .

ويقال : دُفن في موضع القصر . . ويقال : في الرحبة التي تنسب إليه .

ويقال : في الكناسة^(١) . . . ويقال : حمله الحسن بن علي فدفنه بالثوية^(٢) .

= الحسن بن زيد بن الحسن السبط الملقب بالداعي استولى على طبرستان مدة طويلة وأقام مستولياً عليها سبع عشرة سنة وسبعة أشهر حتى خطب له رافع بن هرثمة بنيسابور . ثم حاربه محمد بن هارون السرخسي صاحب إسماعيل ابن الساماني ، فقتله ، وحمل رأسه وابنه زيد بن محمد إلى بخارى ودفن بدنه بجرجان عند قبر الديباج محمد بن الصادق (عليه السلام) . وللداعي هذا أخبار كثيرة تشهد بجلالة قدره وسخائه وشجاعته ومن أراد المزيد من أخباره فليراجع كتب التاريخ .

(١) الكناسة : وهي محلة بالكوفة ، عندها واقع يوسف بن عمر الثقفي زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، معجم البلدان لياقوت الحموي .

(٢) الثوية : بالفتح ثم الكسر ، وياء مشددة ، ويقال : الثوية بلفظ التصغير : موضع قريب من الكوفة ، وقيل : بالكوفة ، وقيل : خريبة إلى جانب الحيرة على ساعة منها . ذكر العلماء أنها كانت سجنًا للنعمان بن المنذر ، كان يحبس بها من أراد قتله ، وكان يقال لمن حُبس بها . . ثوى أي أقام ، فسُميت الثوية بذلك . وقال ابن حبان : دفن المغيرة بن شعبة بالكوفة بموضع يقال له الثوية . وهناك دُفن أبو موسى الأشعري في سنة ٥٠ للهجرة . ولما مات زياد بن أبي سفيان - زياد بن أبيه - دُفن بالثوية أيضاً ، معجم البلدان لياقوت الحموي .

ويقال : دفن بالقيع مع فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(١) فهذا غير صحيح ولا يستند إلى ثقة إلى غير ذلك من الأخبار التي لا تستند على شيء من الصحة ، وإنما أتى بها من أتى تزويراً للحقيقة وإرضاء للحكام . . . والقصد منها عدم جعل الناس يأتون لزيارة قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) . إذ أنهم يعلمون حق العلم بأن الناس يأتون بالألوف ومن الأمكنة البعيدة . . . لأن أفئدتهم تهوي إلى علي وأولاده الأئمة الأطهار والتمسك بهم أحياء ، والتبرك بزيارة قبورهم الشريفة . . . وهذا ما كان يقض مضاجع سلاطين الجور من بني أمية وبني العباس ، لأنه يضر بمصالحهم الدنيوية . . .

في تلك السنين الغابرة لاقى أهل البيت (عليهم السلام) من الإضطهاد والتشريد والأذى والنكيل الشيء الكثير. فأصبحوا مع ذوهم بين قتيل وفقيد وسجين وشريد وما ذنبهم إلا أنهم يسعون إلى إحقاق الحق وإماتة الباطل .

فمعاوية بن أبي سفيان الأموي مثلاً عمل على قتل علي غيلة بعد أن عجز عن مواجهته وعمل أيضاً على قتل الحسن بن علي بالسم . . . والحسين بن علي سيد الشهداء عمل يزيد بن معاوية جهده على قتله . . . فكانت موقعة كربلاء الشهيرة سنة ٦١ هـ .

ولقد فعل بنو العباس بعدما فقدوا شرف المروءة وكرم الدين مع أبناء عموماتهم العلويين أفعالاً منكراً من قتل وتشريد . .

ألم يهدم المتوكل العباسي قبر الحسين (عليه السلام) ؟ ليعفي أثره ويمنع زائريه . . وكل زائر للحسين كان يلاقي الشيء الكثير من الإضطهاد . . . والتهديد بالقتل . . . وبعد أن أعيت الحيل طاغية بني العباس المتوكل في منع زوار قبر الحسين الشريف أدار ماء الفرات عليه ليخفي أثره تحت بحيرة . . . لكن عناية الله سبحانه منعت الماء من

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ج ١ ص ١٣٨ .

طمس القبر الشريف فحارت الماء حوله حتى سُمي - الخائر الحسيني - في قصة طويلة لا مجال لذكرها الآن .

وفي أفعال بين أمية وبني العباس قال الشاعر :
 تا لله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبينا مظلوما
 فلقد أتى ابن بني أبيه بمثله هذا لعمر ك قبره مهدوما
 أسفوا على ألا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميا
 بالإضافة إلى ما ذكرناه من رواية الحسن بن علي الخلال عن جده
 أنه قال : قلت للحسين (عليه السلام) : أين دفنتم أمير المؤمنين
 (عليه السلام) ؟

قال : خرجنا به ليلاً من منزله حتى مررنا به على منزل
 الأشعث بن قيس ، ثم خرجنا به إلى الظهر بجنب الغري .

ويقول صاحب شرح نهج البلاغة : وهذه الرواية هي الحق ،
 وعليها العمل . . . وقد قلنا فيما تقدم أن أبناء الناس أعرف بقبور
 آبائهم من غيرهم من الأجانب ، وهذا القبر بالغري ، هو الذي كان بنو
 علي يزورونه قديماً ، وحديثاً ، ويقولون : هذا قبر أبينا ، لا يشك أحد
 في ذلك من الشيعة ولا من غيرهم . أعني من بني علي من ظهر الحسن
 والحسين وغيرهما من سلالة ، المتقدمين منهم والمتأخرين ، ما زاروا ولا
 وقفوا إلا على هذا القبر بعينه .

وفي شرح نهج البلاغة أيضاً : عن أبي الغنائم أنه قال : سألت
 بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر
 في تاريخه . أن قوماً يقولون : إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى
 جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة . فقال : غلطوا في ذلك ؛ قبر
 المغيرة وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة ونحن نعرفهما وننقل ذلك عن
 آبائنا وأجدادنا^(١) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

وما رواه الخطيب البغدادي أيضاً : من أن جثمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) صُير في صندوق . . . وأكثر عليه من الكافور ، وحمل على بعير يريدون به المدينة .

فلما كان ببلاد طيء ، أضلوا البعير ليلاً . . فأخذته طيء وهم يظنون أن بالصندوق مالا . .

فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا . . فدفنوا الصندوق بما فيه ، ونحروا البعير فأكلوه . .

أقول : هذه الرواية لا يقبلها العقل لأنها رواية كذوب . . ومن نسج خيال حاقد . . وكذب هذه الرواية ظاهر لمن له أدنى تأمل وتفكير . لأنه لا يعقل أن يقدم الإمام الحسن (عليه السلام) وهو خليفة أبيه ، والقابض على زمام الحكم في ذلك الحين ، على وضع جثمان أبيه في صندوق وحمله على بعير بدون حراسة استهتاراً . مع عدم الإطمئنان بوصول الجثمان إلى المدينة : وهذا غير معقول . .

أولاً : إن عمل الحسن (عليه السلام) هذا إذا كان صادراً عن خوف من القتل أو الإغتيال . . . فضيع جثمان أبيه . . فغير صحيح . لأن الإمام الحسن (عليه السلام) كان في أوج سلطانه والخوف غير وارد في هذا المجال .

ثانياً : إن دفن المسلم واجب شرعي ، والإمام الحسن أعلم بذلك وهو الإمام المعصوم العارف بالأمور الدينية وخفايا الشريعة الإسلامية . . فلا يقدم على وضع جثمان أبيه في صندوق على ظهر بعير وهو لا يعلم ما يكون من أمر الجثمان فيما بعد . . .

ولرب قائل يقول : لماذا دُفن أمير المؤمنين ليلاً وعُمي موضع قبره الشريف ؟ ويأتي الجواب كما ذكرنا سابقاً : إنما دفن أمير المؤمنين علي ليلاً بوصية منه لئلا ينبش قبره في المستقبل من قبل الأمويين الذين سيؤول أمر السلطة إليهم فيما بعد .

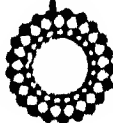
وعلى كل حال إنما وضعت هذه الرواية من الحاقدين على علي وأولاده الميامين (عليهم السلام) ليس المراد منها سوى توهين شأن الإمام الحسن (عليه السلام) الذي هو الخليفة الحق بعد أبيه أمير المؤمنين .

وقد عمل الأمويون بعد ذلك وعلى رأسهم معاوية على نزع الخلافة من الإمام الحسن (عليه السلام) جهدهم بالخدع والتضليل تارة ، والتهديد والوعيد . . والإغراء بالأموال والمناصب تارة أخرى .

فكان من نتيجة ذلك على ما سيأتي في باب لاحق من هذا الكتاب إن شاء الله أن تخلى الحسن لمعاوية عن السلطة مؤقتاً حفظاً على دمائه أصحابه الصالحين وحفاظاً على وحدة المسلمين بعد أن انخدع بعض أصحابه ببريق وعود معاوية ، وتسلبوا إليه .

على أن الحسن قبل المصالحة كان قد اشترط على معاوية شروطاً لم يف معاوية بها . . . بل غدر وفجر . ولما لم يف معاوية بالشروط انتفت المصالحة . . . ومن المعلوم أنه إذا انتفى الشرط انتفى المشروط ، وعلى هذا أيضاً فخلافة الحسن باقية وهي الصحيحة شرعاً وعرفاً .

أما خلافة معاوية فهي باطلة بحكم الشرع لأنها بنيت على الغدر والخيانة والإخلال بالشروط .



إظهار قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

سبق منا الكلام على أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قام بدفنه أولاده وأعضاء أسرته المقربون . . في ظهر الكوفة التي هي مدينة النجف اليوم .

وسبق منا الكلام أيضاً عن سبب دفنه (عليه السلام) سراً في الليل . . وعن الأسباب التي دعت العلويين إلى إخفاء موضع قبره . . وقد عُمي قصداً عن جميع الناس سوى أهله والثقة المقربين إليه .

بقي الحال على ما ذكرناه من التستر طيلة أيام حكم الأمويين الظالمين . . لم يعلن عن موضع القبر ولم يشيد عليه بناء . . وإنما كان العلويون يزورونه من حين إلى آخر ، ويطلعون بعض ثقاتهم وذوهم عليه ريثما تزول الموانع .

ولما انقضى دور السلطة الأموية . . وانطوت صحائف أعمالها السوداء ، التي تضج بالمخازي والمنكرات التي ارتبكها الأمويون خاصة بحق أهل بيت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وخاصتهم شعر العلويون بشيء من الإطمئنان فباحوا بالسر المكتوم . . وأخبروا عن موضع القبر الشريف .

ولا يخفى أنه عندما قامت الدولة العباسية ، تنفس العلويون

الصعداء . . لأنه غير خاف على كل من تتبع التاريخ من أن دعاة الدولة العباسية كان شعارهم الذي واجهوا به الناس للإنتقال على بني أمية هو . . الدعوة للرضا من آل بيت محمد . . فأيدهم العلويون في بدء الدعوة مع الناس الناقمين على الأمويين .

وعندما ذهب ما كان يحذره العلويون من أعدائهم الأمويين دلوا على موضع القبر الشريف بعض ثقاتهم كما أسلفنا ، وجعلوا يترددون إليه هم وبعض شيعتهم المخلصين ، للزيارة والتبرك . . . لأنه لم يكن القبر الشريف في ذلك الحين إلا أكمة ماثلة . . أو ربوة قائمة وسرح عضاه - أي شجر عظيم - كما ذكرنا سابقاً .

ولما رأى داود بن علي العباسي المتوفى سنة ١٣٣ إقبال الناس على موضع القبر الشريف وتهافتهم عليه ، أراد أن يقف على الحقيقة فبعث غلاماً له ليحفر موضع القبر ويكشف عن المخبأ .

ففي كتاب ماضي النجف وحاضرها ، عن إسماعيل بن عيسى العباسي أنه قال :

لما رأى داود بن علي إقبال الناس على هذا القبر - قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - وتهافتهم عليه ، أمر بعض حاشيته ، وأحضروا الفعلة ، وبعث معهم غلاماً له أسوداً ، وكان قوياً شديداً البطش . . اسمه الجمل . . .

قال لهم داود بن علي : امضوا إلى هذا القبر الذي افتتن الناس به ، ويقولون . . . إنه قبر علي بن أبي طالب . . حتى تنبشوه ، وتجيئوني بأقصى ما فيه . . .

قال إسماعيل بن عيسى : فمضينا إلى الموضع . . . فقلنا : دونكم وما أمر به . . فحفر الحفارون وهم يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله في أنفسهم . . . حتى نزلوا خمسة أذرع . .

فلما بلغوا الصلابة ، قال الحفارون : قد بلغنا إلى موضع

صلب ، وليس نقوى على نقره . . . فأنزلوا الحبشي - العبد الأسود - فأخذ المنقار، فضرب ضربة سمعنا لها طيناً شديداً في البر. . . ثم ضرب ثانية فسمعنا طيناً أشد من الأولى . . ثم ضرب ثالثة ، فسمعنا أشد مما تقدم .

ثم صاح الغلام صيحة عظيمة ، فقمنا ، وأشرفنا عليه ، وقلنا للذين كانوا معه : سلوه . . ما باله ؟ فلم يجيبهم . . . وهو يستغيث ولا يكلمنا ، ولا يحير جواباً . . .

فحملناه على بغل ورجعنا . . . فلم يزل لحم الغلام ينتثر من عضده ، وشقه الأيمن وسائر جسده ، حتى انتهيت إلى عمي داود .

فقال - داود - : أيش^(١) وراءكم ؟!

فقلنا له : ماترى . . وحدثناه بالصورة - بالقصة - .

فالتفت داود إلى القبلة . . فتاب عما هو عليه . . ورجع إلى المذهب . . وركب بعد ذلك في الليل إلى علي بن معصب بن جابر ، فسأله أن يعمل على القبر صندوقاً ، ولم يخبره بشيء مما جرى .
ووجه - داود - من طمّ الموضع ، موضع الحفر وعمر الصندوق عليه . ومات الغلام الأسود من وقته^(٢) .

ولما تبدلت نيات العباسيين ، وقلبوا للعلويين ظهر المجن . . هجر القبر الشريف ، فعفي أثر ذلك الصندوق ، وانطمس رسمه حتى جاء عصر الرشيد فأظهره^(٣) .

ومما ذكره الشيخ المفيد في إرشاده بعد سلسلة من الأسناد عن ابن عائشة قال : حدثني عبد الله ابن حازم قال :

(١) هكذا وردت في الأصل .

(٢) حاشية ماضي النجف وحاضرها . للشيخ جعفر آل محبوبة ج ١ ص ٤٠ وفرحة الغري : ص ٦١ .

(٣) ماضي النجف وحاضرها : ج ١ ص ٣٩ - ٤٠ .

خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد ، فصرنا إلى ناحية الغريين ، والثوية . فرأينا ظباء ، فأرسلنا عليها الصقور والكلاب ، فجاولتها ساعة . . .

ثم لجأت الظباء إلى أكمة ، فوقفت عليها ، فسقطت الصقور ناحية . . . ورجعت الكلاب . . فتعجب الرشيد من ذلك . .

ثم إن الظباء هبطت من الأكمة ، فهبطت الصقور والكلاب - نحوها - فرجعت الظباء إلى الأكمة . . فتراجعت عليها الصقور والكلاب .

ف فعلت ذلك ثلاثاً . في كل مرة تلجأ الظباء إلى الأكمة فتراجع عنها الصقور والكلاب .

فقال هارون الرشيد : اركضوا . . . فمن لقيتموه فأتوني به . . .

قال - ابن حازم - فأتيناه بشيخ من بني أسد . .

فقال له هارون الرشيد : أخبرني ما هذه الأكمة . . ؟

قال الشيخ : إن جعلت لي الأمان أخبرتك . . ؟

قال - هارون - لك عهد الله وميثاقه ألا أهيجك . . ولا أؤذيك . .

فقال : الشيخ الأسدي : حدثني أبي عن آبائه أنهم كانوا يقولون : إن في هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب (عليه السلام) جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء إلا أمن . . .

فنزل هارون ، فدعا بماء فتوضأ وصلى عند الأكمة ، وتمرغ عليها وجعل يبكي ثم انصرفنا .

قال محمد بن عائشة : فكان قلبي لا يقبل ذلك . فلما كان بعد أيام حججت إلى مكة ، فرأيت بها ياسراً ، رحال الرشيد ، وكان يجلس معنا إذا طفنا ، فجري الحديث إلى أن قال :

قال لي الرشيد ليلة من الليالي وقدمنا من مكة فنزلنا الكوفة يا ياسر . . . قل لعيسى بن جعفر فليركب ، فركبا جميعاً وركبت معهما . . حتى إذا صرنا إلى الغريين . . فأما عيسى فطرح نفسه فنام . . .

وأما الرشيد فجاء إلى أكمة فصلى عندها ، فكلما صلى ركعتين دعا وبكى ، وتمرغ على الأكمة ثم يقول :

يا بن عم . . أنا والله أعرف فضلك وسابقتك . . . وبك والله جلست مجلسي الذي أنا فيه . . . وأنت أنت . . ولكن ولدك يؤذونني ويخرجون علي . ثم يقوم فيصلي ، ثم يعيد هذا الكلام ، ويدعو ، ويبكي .

حتى إذا كان وقت السحر قال لي : يا ياسر أقم عيسى - أيقظه - فأقمته . . .

فقال له الرشيد : يا عيسى قم فصل عند قبر ابن عمك . .

فقال له عيسى : وأي ابن عمومي هذا . . ؟

قال الرشيد : هذا قبر علي بن أبي طالب . فتوضأ عيسى وقام يصلي فلم ير إلا كذلك حتى طلع الفجر ، فقلت : يا أمير المؤمنين أدركك الصبح . فركبنا ورجعنا إلى الكوفة^(١) .

وهذه القصة التي ذكرها الشيخ المفيد^(٢) ذكرها الديلمي في كتابه

(١) الإرشاد للشيخ المفيد : ص ١٩ - ٢٠ ط بيروت .

(٢) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢ ص ٣٤١ الشيخ المفيد هو محمد بن محمد بن النعمان المفيد أبو عبد الله ، ويعرف بابن المعلم . أجل مشايخ الشيعة ، ورئيسهم ، وأستاذهم ، وكل من تأخر عنه استفاد منه . وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية . أوثق أهل زمانه وأعلمهم . انتهت رئاسة الإمامية في وقته إليه . وكان حسن الخاطر ، دقيق الفطنة . حاضر الجواب . له قريب من مائتي مصنف . قاله العلامة . ونحوه الشيخ وقال النجاشي أنه شيخنا وأستاذنا . . الخ وقد تقدمت ترجمته في باب سابق من هذا الكتاب .
وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن =

إرشاد القلوب عن عبد الله بن حازم أيضاً : إن الرشيد أمر أن يبنى فيه - بنية - بأربعة أبواب . . وبقي البناء إلى أيام السلطان عضد الدولة فجاء وأقام في ذلك الطرف قريباً من سنة هو وعساكره وبعث بالصناع والأسانيد من الأطراف وخرب تلك العمارة وصرف أموالاً كثيرة جزيلة ، وعمّره عمارة جليلة حسنة وهي العمارة التي كانت قبل عمارة اليوم^(١) .

وفي موسوعة العتبات المقدسة للخليلي : أنه نتيجة للأخبار التاريخية تعتبر عمارة هارون الرشيد العباسي أول عمارة للقبر الشريف . وبداية الدفن في منطقة النجف ونزول الناس ذلك المكان تبركاً بالراقد الكريم .

وعقبت عمارة الرشيد ، عمارة محمد بن زيد بن محمد بن الحسن العلوي الحسني ، صاحب طبرستان والديلم الذي ولي الأمرة بعد وفاة أخيه الحسن بن زيد سنة ٢٧٠ هجرية . فقد بنى على قبره الشريف - قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) - قبة .

ومن اشتهر أنه عني في بناء قبة على القبر الشريف وجعلها مرتفعة الأركان من كل جانب لها أبواب ، وسترها بفأخر الستور ، وفرشها بثمانين الحصر السامان ، أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي المقتول سنة ٣١٧ هـ - ٩٢٩ م .

ولعل أجل العمارات وأهمها تلك التي قام بها الملك البويهبي عضد

= النعمان الحارثي البغدادي المعروف بابن المعلم . ولد سنة ٣٣٦ وقل سنة ٣٣٨ في عكبرة - وهي بلدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . وتوفي سنة ٤١٣ هـ وشيعه ثمانون ألفاً من الباكين عليه . وصل عليه تلميذه الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي بميدان الأشنان . وهو الميدان الرئيسي بكرخ بغداد ، وضاق على الناس مع كبره . ودفن الشيخ المفيد بداره ببغداد ، ثم نقل إلى الكاظمية فدفن بمقابر قريش ، بالقرب من رجلي الإمام الجواد (عليه السلام) ، إلى جانب أستاذه أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولوي القمي . وقبره الآن معروف في وسط الرواق الشرقي من المشهد الكاظمي .

(١) إرشاد القلوب للشيخ أبي محمد الحسن بن محمد الديلمي : ج ٢ ص ٤٣٦ ط بيروت .

الدولة ، وأنه صرف أموالاً طائلة . . وعمر المشهد - مقام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - عمارة جليلة . والتي ظلت حتى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة - ٧٥٣ - وكان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش ، فاحترقت تلك العمارة ، وجُددت عمارة المشهد على ما هي الآن .

وفي الموسوعة أيضاً : أنه ذكر ابن طحال أن الرشيد بنى على قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بنياناً بأجر أبيض ، أصغر من الضريح اليوم من كل جانب بذراع . ولما كشفنا الضريح الشريف وجدنا مبنياً عليه تربة وجصاً .

وأمر الرشيد أيضاً أن يبنى عليه قبة . فبنيت من طين أحمر . . وطرح على رأسها جرة خضراء . وهي في الخزانة اليوم .
وزار الخليفة المستعصم مرقد أمير المؤمنين وفرق الأموال الجليلة عنده .

وأما الخليفة المستنصر فقد زار مرقد أمير المؤمنين ، وعمل الضريح الشريف ، وبالف فيه^(١) .

وخلاصة القول : لو أردنا أن نذكر جميع من زار قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعمره وبنى عليه . . وزينه بالقباب ، وزخرفه بالنقوش بالذهب والفضة ، وغير ذلك تقرباً إلى الله تعالى من الخلفاء ، والملوك ، والعظماء ، والأمراء ، والوزراء ، والأدباء ، والفقهاء ، والمحدثين ، والنبلاء من أكابر الناس من شرق الأرض وغربها لطلال بنا المقام . . واحتجنا إلى موسوعات كبيرة ولعلنا لا نفني هذا الموضوع حقه .

(١) موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف للأستاذ جعفر الخليلي : ج ١ ص ١٤٦ .

فضل الدفن في جوار أمير المؤمنين علي

يتهافت المسلمون وخاصة الشيعة منهم على دفن موتاهم بجوار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما ذاك إلا تبركاً . . وإيماناً منهم بما لعل (عليه السلام) من القدسية والكرامة على الله سبحانه وتعالى .

وقد وردت أخبار كثيرة تدل على أن الدفن في جوار مرقده الشريف (عليه السلام) مُسقط لحساب البرزخ^(١) وهذا أمر مشهور يرويه الخلف عن السلف .

وبما أن الإنسان المسلم مؤمن بحساب القبر وإنه سوف يحاسب على أعماله التي عملها في أيام حياته . . . وبطبيعته البشرية لا بد أن يلوذ بكل ما من شأنه أن يخفف ما يخشاه من هول القبر وحسابه . . الذين يؤمن بأنه لا مفر منها وبأنه ملاق حسابه في تلك الحفرة الرهيبة .

(١) البرزخ : في الصحاح : الحاجز بين الشيئين : والبرزخ : ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ . وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ قال : البرزخ من يوم يموت إلى يوم يبعث . ومنه قيل للميت : هو في برزخ ، لأنه بين الدنيا والآخرة ، لسان العرب لابن منظور .

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قوله : « حتى إذا رجع المشيع وانصرف المتفجع أقعد في حفرتة نجيا لبهتة السؤال وعثرة الإمتحان ... » .

ومن هذا المنطلق .. وتوقياً لهول هذا الموقف الرهيب ... أثر المؤمنون من المسلمين الدفن بجوار مرقد علي (عليه السلام) والإستجارة به ليكون شفيعه يوم الحساب ...

ففي إرشاد القلوب للديلمى : روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه كان إذا أراد الخلوة بنفسه ، أتى إلى طرف الغري ..

فبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النجف ، وإذا برجل قد أقبل من البرية ، راكباً على ناقة ، وقدامه جنازة . فحين رأى علياً (عليه السلام) قصده حتى وصل إليه وسلم عليه ...

فرد علي (عليه السلام) ، وقال له : من أين ؟

قال - الرجل - : من اليمن ...

قال علي (عليه السلام) : وما هذه الجنازة التي معك ؟

قال - الرجل - : جنازة أبي ... أتيت لأدفنها في هذه الأرض ..

فقال له علي (عليه السلام) : لم لا دفنته في أرضكم .. ؟

قال - الرجل - : أوصى أبي إلي بذلك .. وقال : إنه يدفن هناك

رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر .

فقال له علي (عليه السلام) : أتعرف ذلك الرجل .. ؟

قال - الرجل - : لا ...

فقال علي (عليه السلام) : أنا والله ذلك الرجل .. أنا والله ذلك

الرجل ... قم فادفن أباك . فقام فدفن أباه ..^(١) .

(١) إرشاد القلوب : للديلمى : ج ٢ ص ٤٤٠ .

وفي بحار الأنوار للمجلسي أن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كان ذات يوم يصلي بالغري ، إذ أقبل رجلان معها تابرت على ناقة ، فحطا التابوت وأقبلا إليه ، فسلمنا عليه .

فقال لهما أمير المؤمنين (عليه السلام) : من أين أقبلتما . . ؟
قالا . . من اليمن . .

قال (عليه السلام) : وما هذه الجنازة . . ؟

قالا : كان لنا أب شيخ كبير ، فلما أدركته الوفاة أوصى إلينا أن نحمله وندفنه في الغري . .

فقلنا له يا أبانا أنه موضع شاسع بعيد عن بلدنا . . وما الذي تريد بذلك . . ؟

فقال لنا : إنه سيدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : الله أكبر . . الله أكبر ، أنا والله ذلك الرجل .

ثم قام فصلى عليه ، ودفناه . . . ومضيا من حيث أقبلا^(١) .

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي : إن إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، خرج من بابل على حمار له ، ومعه ابن أخيه لوط ، يسوق غنماً ويحمل دلواً على عاتقه ، حتى نزل بانقيا^(٢) وكان أهلها يزلزلون في كل ليلة ، فلما بات إبراهيم عندهم لم يزلزلوا .

فقال لهم شيخ بات عنده إبراهيم (عليه السلام) : والله ما دُفع عنكم إلا بشيخ بات عندي ، فإني رأيته كثير الصلاة . .

(١) بحار الأنوار : للمجلسي ج ٤٢ ص ٣٣٤ .

(٢) بانقيا : بكسر النون : ناحية من نواحي الكوفة . معجم البلدان لياقوت الحموي .

فجاؤوه ، وعرضوا عليه المقام عندهم ، وبذلوا له البذول .
فقال لهم إبراهيم (عليه السلام) : إنما خرجت مهاجراً إلى
ربي . . . وخرج حتى أتى النجف . فلما رآه رجع أدراجه . . . فظنوا أنه
رغب فيما بذلوا له . .
فقال لهم : لمن تلك الأرض ؟ يعني النجف . . . قالوا : هي
لنا . .

قال (عليه السلام) : فتبيعونها . . ؟
قالوا : هي لك . . . فوالله ما تنبت شيئاً . .
فقال (عليه السلام) : لا أحبها إلا شراءً ، فدفع إليهم غنيمات
كنّ معه . .
وذكر إبراهيم (عليه السلام) : إنه يحشر من ولده من ذلك
الموضع سبعون ألف شهيد^(١) .
وفي موسوعة العتبات المقدسة عن فرحة الغري : إن أمير المؤمنين
علي (عليه السلام) اشترى ما بين الخورنق وإلى الحيرة إلى الكوفة من
الدهاقين بأربعين ألف درهم ، واشهد على شرائه .
ف قيل له : يا أمير المؤمنين تشتري هذا . . بهذا المال وليس تنبت
خمساً؟^(٢) .

فقال (عليه السلام) : سمعت من رسول الله (صلى الله عليه)

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ مادة بانقيا ، ص ٣٣١ .
(٢) الخمط : قال الله عز وجل في قصة أهل سبأ : ﴿ وبذلناهم بجنتيهم جنتين ذوات
أكل خمط وائل ﴾ قال الليث : الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل . وقال
الزجاج : يقال لكل نبت قد أخذ طعماً من مرارة حتى لا يمكن أكله خمط .
وقال الفراء : الخمط في التفسير ثمر الأراك . وقيل شجر له شوك . لسان العرب
لابن منظور .

وآله وسلم) يقول : « كوفان يرد أولها على آخرها . . يحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » واشتهيت أن يحشروا في ملكي .

وفي الإرشاد للدليمي : روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) نظر إلى ظهر الكوفة فقال : ما أحسن منظرك ، وأطيب قعرك ، ألهم اجعل قبري بها . . ومن خواص تربته ، إسقاط عذاب القبر ، وترك لمحاسبة منكر ونكير للمدفون هناك^(١) .

وفي نقل عظام آدم ، ونوح . . ودفن هود وصالح في النجف أعظم دليل على فضل الدفن في النجف ووادي السلام الملاصق للنجف من الجهة الشمالية . .

وتعتبر مقبرة النجف المعروفة بوادي السلام من أوسع المقابر في العالم ، وتاريخ هذه المقبرة قديم جداً من زمن التعرف على مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وتعتبر أيضاً وادي السلام من أقدس وأطهر الأماكن للدفن في نظر المسلمين عامة والشيعة بشكل خاص .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) : وادي السلام . . إنها البقعة من جنة عدن^(٢) .

(١) إرشاد القلوب للدليمي : ج ٢ ص ٤٣٩ .

(٢) موسوعة العتبات المقدسة : للأستاذ جعفر الخليلي : قسم النجف . ج ١ ص ٦٩ .

المؤامرة التي طمسها التاريخ

مهم جداً أن يتعرف الإنسان على بعض الماضي من التاريخ ،
وخصوصاً إذا كان هذا البعض له صلة في سير حياته واعتقاده . .
فسياسة التاريخ وفلسفة المجتمعات الكبيرة والصغيرة كلها تدور في فلك
هذا البعض . .

والذي له اطلاع على النواحي التاريخية ورجالاتها يجد أن
عيسى بن مريم (عليه السلام) مثلاً قد اضطهد وأوذى من قبل اليهود
لأنه لم يوافق مذهبه مذهبهم حتى أنقذه الله تعالى . . ﴿ إذا قال الله يا
عيسى إني متوفيك ورافعك إلي . . ﴾ الآية^(١) وهكذا كل من جاء
بالإصلاح والعدل ، وخالف سياسة الظالمين يلاقى الكثير من الأذى
والإضطهاد .

ولما جاء دور الإسلام وأخذ النبي محمد (صلى الله عليه وآله
وسلم) في نشر دعوته المقدسة وتطبيق الشريعة الإسلامية . . لاقى في
ابتداء أمره الشيء الكثير من الأذى من طواغيت قريش ومن تحالف
معهم . . حتى أنه قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما أوذى نبي
مثل ما أوذيت . . » .

(١) سورة آل عمران : الآية ٥٥ .

وبعد انتصار الإسلام على الشرك ، وفتح مكة المكرمة عام ثمانية للهجرة . . واستتباب الأمن وبعد أن أخذت طلائع الإسلام في الانتشار . . برزت شخصيات استظلت بظل الإسلام منها من أسلمت طوعاً . . ومنها ومن أسلمت كرهاً . . كالمؤلفة قلوبهم وراحت تلك الشخصيات تبحث عن المركز المرموق لعلها تحقق بذلك ما تصبو إليه وتتمناه .

لكن العدل الإسلامي والمساواة بين جميع المسلمين لا يتماشيان مع الأهواء والمطامع . . .

لذلك عمدت بعض تلك الشخصيات بحسب غريزتها النفسية من حب السيطرة والتربع على سدة الحكم إلى تنحية من له أهلية . . وله الحق . .

فكانت النتيجة أن حصل الشرخ الكبير بين صفوف المسلمين ولم بعد يلتئم الشمل .

حينئذٍ أطل أخصام علي والحاقدون عليه برؤوسهم ووجدوا الفرصة سانحة وعلى الأخص بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، فكان لهؤلاء وأتباعهم الدنيويين من أخصام علي والموتورين بسيفه جولات وجولات من الخروج عليه وحربه كما حصل من الناكثين . . والقاسطين . . والمارقين .

وأخذت المؤامرات تحاك لاغتيال علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك البطل العظيم العالم العابد والزاهد المجاهد في سبيل الله ، بعد أن عجزت الأبطال عن منازلته في ميادين القتال .

أخذت المؤامرات ضد أمير المؤمنين علي الذي قام الدين بسيفه كما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « قام الدين بسيف علي ومال خديجة . . . » .

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الخندق : « برز الإسلام كله إلى الشرك كله . . » .

إن كل متتبع لأحداث التاريخ بتحقيق عادل ، وتدقيق منصف يجد أن المؤامرة ليست وليدة اجتماع ابن ملجم ورفيقه في مكة سنة ٣٩ هجرية ..

وليست هي أيضاً وليدة صدفة وارتجالية ليقوم ابن ملجم المرادي مع رفيقه بهذا العمل الخطير الذي غير مسار التاريخ وبقي وصمة عار في جبين الأمة الإسلامية .

وليست هذه المؤامرة الخطيرة .. وتنفيذها من السهولة بحيث يقوم بها من ليس هم بذئ شأن ..

وليست هذه المؤامرة أيضاً : حدثت بمجرد اجتماع ابن ملجم ورفيقه بمكة .. الناقمين على حكاهم .. بل المؤامرة أبعد من ذلك .. وأبعد ...

ومن المعلوم أن ابن ملجم ورفيقه هم من عامة الناس .. وليسوا من زعماء القبائل التي يحسب لها حساب .. وليسوا هم من الزعماء الكبار أهل الحل والربط ..

والذي يترأى لنا مما بيناه أن ابن ملجم مع رفيقه ما كانوا إلا أداة تنفيذ للمؤامرة الخطيرة التي استهدفت علي بن أبي طالب (عليه السلام) . وقام بتخطيطها أعداؤه وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ومن لف لفهم من الطامعين بالخلافة ... والموتورين من علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

ومن سياق الأحداث التاريخية نستنتج أن المؤامرة دُبرت في مكة أيام الحج وبعد عشرة أشهر نفذت في الكوفة .. أي بعد مدة طويلة .. ولم يطلع عليها حسب المؤرخين أحد سوى المنفذين .

أقول : هنا تساؤلات .. وتساؤلات .. إذا كانت المؤامرة وليدة صدفة في مكة ، أو مجرد اجتماع ثلاثة من عامة الناس كما أسلفنا فلماذا

حضر ابن ملجم إلى الكوفة قبل مدة طويلة . . ؟

ولماذا نزل على الأشعث بن قيس صاحب التاريخ المعروف بأنه من المنافقين الكبار ومن المضميرين السوء لعل . . ؟

وماضي الأشعث يشهد عليه بأنه لم يكن شر أو فتنة تحدث بين صفوف جيش علي (عليه السلام) من أهل العراق إلا كان الأشعث يحدث ذلك الشر أو مثير تلك الفتنة . .

ونكرر القول : بأنه يستنتج مما ذكرنا إلى أن المؤامرة دبرت بإحكام بين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والأشعث بن قيس بالاتفاق مع عبد الله بن الزبير وغيرهم من الحاقدين على علي والموتورين منه .

والدليل الواضح على ما ذكرناه من المؤامرة وجود الأشعث في الليلة التي أغتيل بها علي (عليه السلام) . . . وقرب الفجر إذ صاح بابن ملجم وقال له : فضحك الصبح . . يستحبه على سرعة التنفيذ لاغتيال علي (عليه السلام) .

وقول حجر بن عدي رحمه الله للأشعث : قتلته يا أعور !؟

وتوكيداً لما ذكرناه . . نجد أن عمرو بن العاص تمارض في وقت تنفيذ المؤامرة ولم يخرج إلى المسجد للصلاة بل أرسل بدلاً منه خارجة بن حذافة العدوي فشد عليه عمرو بن بكر الخارجي فقتله . ونجا عمرو بن العاص من أصابع الإتهام من تدبير المؤامرة لقتل علي .

وأما قطب رحى المؤامرة معاوية بن أبي سفيان الذي كان شبح الخوف من علي مسيطرًا عليه . فقد خرج في ليلة المؤامرة للصلاة في المسجد دارعاً . . ولم يكن من عادة المسلمين في ذلك الوقت الخروج إلى الصلاة في المساجد دارعين . .

وبعض المحققين يشكك بأن يكون معاوية كان مقصوداً بالقتل والإغتيال . . بل كانت الضربة التي وقعت على إليته من الخارجي الحجاج بن عبد الله الصريمي الملقب - بالبرك - مجرد تمثيلية للتمويه على

أعين الناس بأنه المقصود بالمؤامرة . . ومن جملة المتآمر عليهم . .
 وبعض المحققين أيضاً ينفي أن يكون معاوية قد لقي أية ضربة
 سيف على إليته . . وإنما كانت مجرد دعاية لنفي التهمة عنه باغتيال علي
 وإبراز شخصية معاوية ذاته .
 ويستدل على أن معاوية كان ضليعاً بالمؤامرة أيضاً : قول أبي
 الأسود الدؤلي^(١) :

(١) في الإصابة لابن حجر العسقلاني: ج ٢ ص ٢٤١ أبو الأسود الدؤلي واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان - وقال الواقدي : إسمه عويمر بن ظويلم - وقيل هو عمرو بن عمران وقيل : عثمان بن عمرو . وأبو الأسود الدؤلي مشهور بكنيته ، وهو من كبار التابعين . مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .

ولي قضاء البصرة ووثقه ابن معين والعجلي وقال أبو عمر كان - أبو الأسود الدؤلي - ذا دين وعقل ، ولسان وبيان ، وفهم وحزم . استخلفه ابن عباس على البصرة ، فأقره علي (عليه السلام) عليها . وقال أبو الفرج الإصبهاني : ذكر أبو عبيدة أنه - أبو الأسود الدؤلي - أدرك الإسلام ، وشهد بدرأ مع المسلمين . قال المزياني : هاجر أبو الأسود الدؤلي إلى البصرة في خلافة عمر ، وولاه علي البصرة خليفة لابن عباس . وكان - أبو الأسود الدؤلي - علوي المذهب .

وقال الجاحظ : كان أبو الأسود معدوداً في طبقات من الناس ، مقدماً في كل منها ، كان يعد في التابعين ، وفي الشعراء ، والفقهاء ، والمحدثين ، والأشراف ، والفرسان ، والأمراء ، والنحاة ، والحاضري الجواب . وفي الإصابة أيضاً عن أبي العباس المبرد أنه قال : أول من وضع العربية ، ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلي . . . وقد سئل أبو الأسود عن نهج له الطريق ، فقال : تلقيته عن علي بن أبي طالب .

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي : أدرك حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهاجر إلى البصرة على عهد عمر بن الخطاب . وتوفي سنة ٦٩ في خلافة عمر بن عبد العزيز عن عمر يناهز ٨٥ عاماً . وكان أبو الأسود الدؤلي من علماء التابعين ، وأصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حضر معه صفين . وينسب إليه وضع علم النحو أخذه عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال له : الكلام كله ثلاثة أضرب : اسم وفعل وحرف . وأراد زياد منه أن يكتب في ذلك كتاباً فلم يقبل إلى أن سمع يوماً قارئاً يقرأ : إن الله برىء من المشركين ورسوله بكسر لام رسوله . فوضع كتاباً في النحو وهو أول كتاب كتب .

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتين
أفي شهر الصيام فجعثموننا بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتهم خير من ركب المطايا وذلّلها ومن ركب السفينا

ويشير أبو الأسود الدؤلي إلى خلافة الحسن بن علي
(عليهما السلام) بقوله :

فلا تشمت معاوية بن حرب فإن بقية الخلفاء فينا
وفي مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : أنه لما أتى أم المؤمنين
عائشة نعي علي أمير المؤمنين (عليه السلام) : تمثلت :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرعنا بالإياب المسافر
ثم قالت : من قتله . . . ؟
ف قيل لها : رجل من مراد .

ف قالت :

فإن يك نائياً فلقد بغاه غلام لبس في فيه التراب

ف قالت لها زينب بنت أم سلمة : ألي تقولين هذا ؟ . . . !

ف قالت - عائشة - : إذا نسيت فذكروني . . . ثم تمثلت :

ما زال إهداء القصائد بيننا باسم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن قولك فيهم في كل مجتمع طنين ذباب^(١)

وفي رواية : إن أم المؤمنين عائشة عندما أتاها خبر مقتل علي
(عليه السلام) سجدت . . .

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : ص ٤٢ راجع ابن سعد : ج ٣ ص ٢٧
والطبري ج ٤ ص ١١٥ ط بيروت . وابن الأثير في الكامل في التاريخ : ج ٣
ص ١٩٨ ، وغيرهم .

صفة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فريد زمانه ،
قد خصه الله سبحانه وتعالى بصفات . . مادية ومعنوية مميزة عن غيره
من الرجال . . .

وقد تبارى المؤرخون في ذكر أوصافه ، فمنهم من أطل وأسهب ،
ومنهم من اختصر وأوجز . .

ولما كنا في سياق الكتابة عنه (عليه السلام) لا بد لنا من ذكر
أوصافه ولو بلمحة موجزة إتماماً للفائدة .

ذكر ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب : أنه (عليه السلام) كان
ربعة من الرجال إلى القصر هو أقرب ، أدعج العينين^(١) ، حسن الوجه
كأنه القمر ليلة البدر حسناً . . ضخم البطن ، عريض المنكبين ، شثن
الكفين^(٢) أعيد كأن عنقه إبريق فضة^(٣) أصلع ، ليس في رأسه شعر

(١) الدعج : شدة سواد العين مع سعتها .

(٢) شثن كفه : أي خشنت وغلظت . وفي النهاية أي ميلان إلى الغلظ والقصر .
وقيل : أن يكون في أنامله غلظ بلا قصر ، ويحمد ذلك في الرجال لأنه أشد
لقبضهم ، ويذم في النساء .

(٣) لعل المراد : أن عنقه كالإبريق فضة في البريق واللمعان .

إلا من خلفه ، كبير اللحية ، لمنكبه مشاش كمشاشي السبع الضاري^(١)
لا يتبين عضده من ساعده قد ادجت إدماجاً ، إذا مشى تكفاً^(٢) وإذا
أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه ، فلم يستطع أن يتنفس ، شديد
الساعد واليد ، وإذا مشى للحرب هرول ، ثبت الجنان ، قوي شجاع
منصور على من لاقاه^(٣) .

ومما ورد في صفته (عليه السلام) ما رواه صاحب كشف الغمة
عن صديقه المعز المحدث ، وذلك حين طلب منه السعيد بدر الدين لؤلؤ
صاحب الموصل رحمه الله أن يخرج أحاديث صحاحاً ، وشيئاً مما ورد في
فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وصفاته ، وكتبت على الأنوار
الشمع الأثني عشر التي حُملت إلى مشهده (عليه السلام) قال : وأنا
رأيتها . ثم أخذ في وصفه (عليه السلام) كما وصفه ابن عبد البر في
الإستيعاب مغ تغير طفيف في بعض الكلمات .

وفي كشف الغمة أيضاً : إن معاوية بن أبي سفيان قال لضرار بن
ضمرة : صف لي علياً . . . ؟
قال ضرار : اعفني . .
قال معاوية : لتصفنه . .

قال ضرار : أما إذا لا بد . . . فإنه والله كان بعيد المدى ، شديد
القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً . . . يتفجر العلم من جوانبه ،
وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس
بالليل ووحشته . .

كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة . . يعجبه من اللباس ما
خشن ، ومن الطعام ما جشِب . . . - أي ما غلظ - .

(١) المشاش : بالضم : رؤوس العظام ، والمراد أن رؤوس عظام المنكبين منه كرؤوس
عظام منكبي الأسد في الغلظ .
(٢) تكفاً : أي تمايل إلى الأمام .
(٣) الإستيعاب لابن عبد البر : هامش الإصابة للعسقلاني : ج ٣ ص ٥٧ .

وكان - عليه السلام - فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعواناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه هيية له . . .

يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين . . لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . .

وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرحى الليل سدوله ، وغارت نجومه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم^(١) ويبكي بكاء الحزين ، وهو يقول : يا دنيا غري غيري . . . إلي تعرضت أم إلي تشوقت . . هيهات . . . هيهات . . . قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك . . فعمرك قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير . . .

آه . . . من قلة الزاد . . وبعد السف . . ووحشة الطريق . . .
فبكي معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك .
فكيف حزنك عليه يا ضرار . . ؟

قال ضرار : حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي لا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها^(٢) .

وفي الإستيعاب لابن عبد البر : إنه سُئل الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال :

كان علي والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة ، وذا فضلها ، وذا سابقتها ، ذا قرابتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . .

لم يكن - علي بن أبي طالب - بالنومة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله . .

(١) سلمته الحية : لدغته . . السليم : اللديغ .

(٢) كشف الغمة : للأربلي ج ١ ص ٧٦ .

أعطى القرآن عزائمه . . ففاز منه برياض مونقة . . ذاك علي بن
أبي طالب يا لكع^(١) .

(١) الإستيعاب لابن عبد البر حاشية الإصابة للعسقلاني ج ٣ ص ٤٧ .

زوجات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده

في أعيان الشيعة : أول زوجات أمير المؤمنين علي فاطمة الزهراء سيدة النساء (عليها السلام) بنت رسول الله سيد المرسلين صلوات الله عليه وآله وسلم لم يتزوج عليها حتى توفيت عنده (عليه السلام) .

- ثم تزوج بعدها أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزي بن عبد شمس وأمها زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١) .

- ثم تزوج أم البنين بنت حزام بن دارم ^(٢) الكلابية . . .

- وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية الدارمية .

- وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية ، كانت تحت جعفر بن أبي

طالب فقتل عنها ، ثم تزوجها أبو بكر فتوفي عنها ، ثم تزوجها أمير المؤمنين علي .

(١) في كتاب المرأة في ظل الإسلام للسيدة مريم نور الدين فضل الله ، ص ٢٢٧ : إن الزهراء (عليها السلام) أوصت زوجها (عليه السلام) أن يوارى جثمانها في غسق الليل ، حتى لا يحضر جنازتها أحد من الذين ظلموها ، وجحدوا حقها ، وأن يعفى موضع قبرها . وأوصته أيضاً : أن يتزوج ابنة أختها أمامة ، لتقوم على رعاية أبنائها قالت له : يا بن عم لا بد للرجال من النساء ، فإذا أنا مت ، فعليك بابنة أختي أمامة . . . فإنها تكون لأولادي مثلي .

(٢) في الطبري والإرشاد : بنت حزام .

- وتزوج أم حبيب بنت ربيعة التغلبية ، واسمها الصهباء من السبي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر .

- وتزوج خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفية ، وقيل : خولة بنت أياس .

- وتزوج أم سعد - أو سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفية .

- وتزوج خبابة بنت امرئ القيس بن عدي الكلبية^(١) .

وأما أولاده (عليه السلام) . . فقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير : أن علياً أمير المؤمنين توفي عن عدد من الأولاد واختلفوا في عددهم . فالمسعودي قال في مروجه : أولاد علي ن أبي طالب خمسة وعشرين ما بين ذكر وأنثى .

وفي الطبري وابن الأثير والواقدي : أن جميع ولد علي لصلبه أربعة عشر ذكراً . . وسبعة عشر امرأة . . فيكون المجموع ٣١ ولداً .

وأما يعقوب فقد ذكر في تاريخه : أن له (عليه السلام) من الولد الذكور أربعة عشر ذكراً ، ومن البنات ثمان عشر ابنة ، من أمهات شتى . . .

وأما الشيخ المفيد فقد ذكر في إرشاده : أن أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى الذكور - ١٢ - والإناث - ١٥ - .

وذكر بعض المؤرخين من أن لعلي (عليه السلام) ثلاثة وثلاثون ولداً ما بين ذكر وأنثى ويمكن في هذا الحال تفسير هذه الزيادة من أنهم عدّوا الاسم واللقب اثنين مع أنها لشخص واحد . .

ولا بأس بذكرهم تفصيلاً ، ونكتفي الآن بما ذكره الشيخ المفيد في إرشاده حيث قال :

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : ج ١ ص ٣٢٦ ط دار التعارف بيروت .

أولاد أمير المؤمنين سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى ١ - الحسن ٢ - الحسين (عليهما السلام) ٣ - زينب الكبرى ٤ - زينب الصغرى المكناة بأم كلثوم . أمهم فاطمة البتول سيدة نساء العالمين بنت سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ٥ - محمد المكنى بأبي القاسم . أمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية . ٦ - عمر ٧ - رقية ، كانا توأمين ، أمهما أم حبيب بنت ربيعة ٨ - العباس ٩ - جعفر ١٠ - عثمان ١١ - عبد الله الشهداء مع أخيهم الحسين (عليه السلام) بطف كربلاء . أمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم ١٢ - محمد الأصغر المكنى بأبي بكر ١٣ - عبيد الله الشهيدان مع أخيهم الحسين (عليه السلام) بطف كربلاء . أمهما ليلى بنت مسعود الدارمية . ١٤ - يحيى ، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها . ١٥ - أم الحسن ١٦ - رملة . أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي ١٧ - نفيسة ١٨ - زينب الصغرى ١٩ - رقية الصغرى ٢٠ - أم هاني ٢١ - أم الكرام ٢٢ - جمانة المكناة أم جعفر ٢٣ - إمامة ٢٤ - أم سلمة ٢٥ - ميمونة ٢٦ - خديجة ٢٧ - فاطمة رحمة الله عليهن لأمهات شتى .

ويذكر الشيخ المفيد أيضاً : وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة صلوات الله عليها أسقطت بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكراً كان سماه رسول الله وهو حمل محسناً . . فعلى قول هذه الطائفة : أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ثمانية وعشرون ولداً . . . (١) على أن ابن الأثير والطبري قالا : أن المحسن توفي صغيراً . . وكان النسل من ولد علي (عليه السلام) خمسة .

- الحسن والحسين ابني الزهراء (عليهم السلام) ومحمد بن الحنفية . . والعباس بن الكلابية - وعمر بن التغلبية .

وقد كثر الله تعالى نسل علي وفاطمة (عليهما السلام) بدعوة النبي

(١) الإرشاد للشيخ المفيد : ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة زفافهما بقوله : « أَللّهُم اخرج منهما
الكثير الطيب » .

وعن الجاحظ أنه قال : قال علي بن أبي طالب (رض) : بقية
السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً ووجد الناس ذلك بالعيان الذي صار إليه
ولده من نهك السيف ، وكثرة الذرء وكرم النجل .

ماذا ترك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . .

رحل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) من دار
الفناء . . إلى دار البقاء . . تاركاً ميراثاً عظيماً للإنسانية جمعاء ، من
العلم ، والحكمة ، والموعظة الحسنة .

رحل (عليه السلام) . . ولم يترك صفراء ولا بيضاء . . . ولا
العبيد ولا الإماء . . ولا أي شيء من المتاع . . من دور أو قصور أو
ضياع ، ليهنأ بها غيره من بعده كما يفعل أهل الدنيا من طلاب اللذائذ
والشهوات . . .

أجل . . رحل (عليه السلام) ولم يخلف تراثاً من مال جمعه من
الدنيا الفانية التي كان يخاطبها بقوله : « يا دنيا . . . يا دنيا إليك
عني . . . أبي تعرضت . . . أم إلي تشوقت . . . الخ .

أجل . . . رحل (عليه السلام) في وقت كان سلطاناً وأميراً
تجبي إليه الأموال فهي تحت تصرفه ليفعل بها ما يشاء . . فقد كان
باستطاعته (عليه السلام) التمتع بملاذ الدنيا وشهواتها . . لكنه لم
يفعل . . .

وكان باستطاعته أيضاً أن يترك لأولاده وذويه الأموال والضياع ،
والعبيد والإماء لكنه (عليه السلام) ترفع عن ذلك كله ولم يفعله لأنه
كان للدنيا زاهداً ولبهاً راجها قالياً .

رحل (عليه السلام) . . . ولم يترك ميراثاً لورثته بل كان يكنس بيت المال بكمه . . كما هو معروف عنه . . بعد أن يفرق الأموال على المسلمين بالعدل والقسطاس . . ثم يعود ويخاطب المال بقوله : «يا صفراء ويا بيضاء غري غيري . . الخ .

ومما وعاه التاريخ أن الإمام الحسن بن علي لما مات أبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قام في الناس خطيباً فقال : بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

« ألا أنه قد مضى في هذه الليلة رجل لم يدركه الأولون . . . ولن يرى مثله الآخرون . . من كان يقاتل وجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله .

والله لقد توفي في الليلة التي قبض فيها موسى بن عمران . . . ورفع فيها عيسى بن مريم . . . وأنزل القرآن . .

ألا وأنه (عليه السلام) ما خلف صفراء . . . ولا بيضاء . . . إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه ، أراد أن يتتاع بها خادماً لأهله» (١) .

روى المؤرخون وأصحاب السير أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقف جميع ما عنده من ضياع وغيرها .

حتى أنه (عليه السلام) كانت له دار في المدينة جعلها صدقة على ما سيأتي .

ومن جملة الضياع التي أوقفها - البغيغة - وهي ضيعة قرب المدينة (٢) .

(١) تاريخ يعقوبي : ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي : بغيغة تصغير البغيغة . وهو ضرب من الهدير ، وقال ابن الأعرابي : البغيغ ماء كان قامة أو نحوها . قال محمد بن يزيد في كتاب الكامل : روي أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، لما أوصى إلى ابنه الحسن في =

ومن جملة موقوفات أمير المؤمنين (عليه السلام) عين أبي نيزر^(١)

= وقف أمواله ، وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين أبي نيزر والبغيغة .
وتحدث الزبيريون أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة : أن يخطب
إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن معاوية . وأن يرغب له في
الصداق .

توجه مروان إلى عبد الله بن جعفر ، فقرأ عليه كتاب معاوية : فقال عبد الله : إن
خالها الحسين يبيع ، وليس يفتأت عليه بأمر ، فانظري إلى أن يقدم . وكانت أمها
زينب بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

فلما قدم الحسين (عليه السلام) ذكر له ذلك عبد الله بن جعفر . فقام من عنده
ودخل على الجارية ، وقال : يا بنية . . . إن ابن عمك القاسم ابن محمد بن
جعفر بن أبي طالب أحق بك ، ولعلك ترغبين في كثرة الصداق . . . وقد نحللتك
البغيغات . فلما حضر القوم للأملاك ، تكلم مروان : فذكر معاوية وما قصده من
صلة الرحم وجمع الكلمة .

فتكلم الحسين (عليه السلام) : وزوجها من القاسم بن محمد ، فقال له مروان :
أعندرا يا حسين ؟ فقال الحسين : أنت بدأت . خطب أبو محمد الحسن بن علي
(عليه السلام) عائشة بنت عثمان بن عفان ، واجتمعنا لذلك ، فتكلمت أنت
وزوجتها من عبد الله بن الزبير . فقال مروان : ما كان ذلك ، فالتفت الحسين إلى
محمد بن حاطب وقال : أنشدك الله . . . أكان ذلك ؟ فقال : ألهم نعم .

وفي مناقب ابن شهر آشوب بعد ذكر هذه القصة قال : أقبل مروان حتى جلس إلى
الحسين وقال أن معاوية أمرني أن أخطب أم كلثوم لابنه يزيد ، وأن أجعل مهرها
حكم أبيها بالغاً ما بلغ . قال الحسين لعمرى لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) في بناته ونسائه وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعائة
وثمانين درهماً . وبعد حوار دار بينهما قال الحسين : اشهدوا أي قد زوجت أم كلثوم
بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعائة وثمانين
درهماً . . . وقد نحللتها ضيعتي بالمدينة : أو قال : أرضي بالعقيق ، وإن غلتها في
السنة ثمانية آلاف دينار . . . الحديث .

أقول : الصداق هو المهر . . . والنحلة غير المهر .

(١) في معجم البلدان لياقوت الحموي نيزر ، من النزارة وهو القليل أو من النزر وهو
الإلحاح في السؤال . وعين أبي نيزر : روى يونس عن محمد بن إسحاق بن يسار أن
أبا نيزر الذي تنسب إليه العين ، هو مولى علي بن أبي طالب (عليه السلام) . كان
ابناً للنجاشي ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون . . . لصلبه . وأن علياً
(عليه السلام) وجدته عند تاجر بمكة . فاشتراه منه وأعتقه مكافأه بما صنع أبوه =

تصدق بها على فقراء أهل المدينة وكتب بذلك كتاباً ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين ، تصدق بالضعيعين . . بعين أبي نيزر ، والبغيغة على فقراء أهل المدينة ، وابن السبيل ليقى بهما وجهه حر النار يوم القيامة . . . لا تباعاً ، ولا توهباً

= - النجاشي - مع المسلمين حين هاجروا إليه - في بدء الدعوة الإسلامية - .

وذكروا أن الحبشة مرج - اضطرب - عليها أمرها بعد موت النجاشي ، وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي (عليه السلام) ليملكوه عليهم ويتوجه . . ولا يختلفوا عليه ، فأبى . . وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله علي بالإسلام . وكان أبو نيزر من أطول الناس قامه ، وأحسنهم وجهاً ، ولم يكن لونه كاللون الحبشة ، ولكنه إذا رأيته قلت هذا رجل عربي . وفي معجم البلدان لياقوت أيضاً : عن أبي ملحم محمد بن هشام في أسناده قال : كان أبو نيزر من أبناء بعض الملوك الأعاجم قال : وصح عندي ، بعد أنه من ولد النجاشي فرغب في الإسلام صغيراً فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان معه في بيوته - مؤنته - فلما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صار مع فاطمة ولدها سلام الله عليهم . قال أبو نيزر : جاءني علي بن أبي طالب - أمير المؤمنين - (عليه السلام) وأنا أقوم بالضعيعين ، عين أبي نيزر . . . والبغيغة . فقال : هل عندك من طعام ؟ فقلت : طعام لا أرضاه لإمير المؤمنين قرع من قرع الضيعة صنعتها بإهالة سنخة - والإهالة ما أذيب من الشحم - فقال (عليه السلام) : علي به . ثم قام إلى الربيع وهو جدول فغسل يديه . . . ثم أصاب من ذلك شيئاً . ثم رجع إلى الربيع ، فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما ، ثم ضم يديه كل واحدة منها إلى أختها ، وشرب بهما حساً من ماء الربيع ثم قال : يا أبا نيزر . . إن الأكف أنظف من الأنية . ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه ، وقال : من أدخله بطنه النار ، فأبعده الله . . ثم أخذ المعول وانحدر فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء ، فخرج وقد تنضح جبينه عرقاً ، فانتكف العرق من جبينه ، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين ، فأقبل يضرب فيها ، وجعل يههم ، فانتالت كأنها عنق جزور ، فخرج مسرعاً وقال : أشهد الله أنها صدقة . ثم قال : علي بدواة وصحيفة . قال أبو نيزر : فعجلت بها إليه . فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . . هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين ، تصدق بالضعيعين بعين أبي نيزر والبغيغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ليقى بهما وجهه حر النار يوم القيامة . . إلخ .

حتى يرثها الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين فهما
طلق لهما ، وليس لأحد غيرهما » .

ويذكر ياقوت في معجمه أيضاً عن محمد بن هشام : ركب
الحسين (عليه السلام) دين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف
دينار ، فأبى أن يبيع وقال :

« إنما تصدق بهما أبي ليقبى الله وجهه حر النار . . . ولست بائعهما
بشيء »^(١) .

ومن جملة موقوفاته (عليه السلام) ينبع^(٢) التي كان يتولاها ولده .
ومن جملة موقوفات أمير المؤمنين علي (عليه السلام) داره في
المدينة .

ففي الوسائل للحر العاملي عن الأسود بن أبي الأسود الدؤلي عن
ربيعي بن عبد الله ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : تصدق أمير
المؤمنين (عليه السلام) بدار له في المدينة في بني زريق ، فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تصدق به علي بن أبي طالب وهو حي سوي ، تصدق
بداره التي في بني زريق صدقة لا تباع ولا توهب حتى يرثها الله الذي
يرث السماوات والأرض .

وأسكن هذه الصدقة خالاته ما عشن ، وعاش عقبهن ، فإذا
انقرضوا فهي لذي الحاجة من المسلمين »^(٣) .

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي : ج ٤ ص ١٧٥ .

(٢) في معجم البلدان لياقوت أيضاً عن الأصمعي السلمي : ينبع هي عن يمين رضوى لمن
كان منحدرًا من المدينة إلى البحر ، وهي لبني حسن بن علي وكان يسكنها الأنصار
وجهيئة وليث . وفيها عيون عذاب غزيرة . وهي قرية غناء . وفي المعجم أيضاً :
ينبع : حصن به نخيل وماء وزروع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)
يتولاها ولده .

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ١٣ ص ٣٠٤ ط دار إحياء التراث العربي . بيروت =

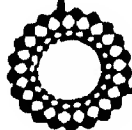
وفي الوسائل للحر العاملي أيضاً : عن أيوب ابن عطية قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : قسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الفيء ، فأصاب علياً (عليه السلام) أرضاً ، فاحتفر فيها عيناً ، فخرج منها ماء ينبع في السماء ، كهيئة عنق البعير ، فسماها ينبع . . فجاء البشير يبشره ، فقال (عليه السلام) :

« بشر الوارث . . بشر الوارث ، هي صدقة بتاً . . بتلاً^(١) في بيت الله ، وعابر سبيله . لا تباع ، ولا توهب ، ولا تورث ، فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » .

أقول : ورواية رجوع الوقف إلى الورثة تخالف ما اشتهر بين الفقهاء من وجوب تنجيز الوقف ، وعدم جواز الرجوع إلى الملك الخاص .

بخلاف الرواية الثانية التي توافق مشهور الفقهاء .

= ورواية الوسائل رواها الصدوق بإسناده عن ربيعي بن عبد الله أيضاً : راجع كتاب المتاجر في جواز بيع الوقف للشيخ الأنصاري .
(٤) بت الأمر : قطعه . . . وأمضاه . . وبتل الشيء : قطعه وأبانه عن غيره .



عهد أمير المؤمنين علي .. للأشتر

لم يكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام حاكماً عادياً ... لأنه ربيب صاحب الرسالة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتلميذه ... تخلق بأخلاقه ، ونهل العلم من منهلته .. لذلك كانت رعايته لشؤون الأمة مختلفة جداً عن غيره من الحكام ...

حمل (عليه السلام) أمانة الرسالة من المصدر الرئيسي سيد البشر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فأداها بإخلاص .. حكم فعدل .. ونصح فأرشد ... وجاهد في سبيل الله بسيفه ولسانه ...

خاض الحروب بشجاعة وإقدام وأفاض على الناس من علمه ما أنار لهم دروب الحياة ... حيث وسعهم نصحه ورأيه ، وتدبيره في جميع المجالات ...

كانت وصيته لمالك الأشتر رضي الله عنه عظيمة في معانيها .. غنية في المواقف والآراء التي يجب على كل حاكم إسلامي أن يتحلى بها ... ويسير على طبقها .

اشتملت الوصية على كل ما ينظم أمور الدولة .. ومن خلالها تتجلى بلاغة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) . وسمو مواقفه ... وكذلك غناه الفكري حيث تحدث عن كل ما يهم الحاكم .. وأمدّه بكل ما يعينه في إدارة ولايته .

فكانت وصيته (عليه السلام) برنامج حكم متكامل ، لم ينس فيها أياً من الجوانب السياسية . . . والإقتصادية . . . والعسكرية . وكذلك أمور الرعية الخاصة . . أي الشؤون الإجتماعية . واختتمها بنصائح خاصة للأشتر حول علاقته بربه وعلاقته بالناس . . .

وإليك أيها القارئ الكريم العهد الذي كتبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر . . . كما في نهج البلاغة .

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها .

أمره بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتباع ما أمره به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها وأن ينصر الله سبحانه بيده ، وقلمه . ولسانه . فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزه . . .

وأمره أن يكسر نفسه^(١) عند الشهوات وينزعها عند الجمحات^(٢) فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله . »

(١) وفي شرح ابن أبي الحديد : وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات .
(٢) وفي شرح ابن أبي الحديد : وينزعها عند الجمحات : والجمحات : منازعة النفس إلى شهواتها ومآربها ، ونزعها بكفها عن مطامعها .

العدل والإنصاف مع الرعية

ولنستمع لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) وهو يوصي مالك الأشتر أن يعمل بالعدل والإنصاف والمساواة ، ويعلمه كيفية التعامل مع الرعية يقول له :

ثم اعلم يا مالك ، إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور ، وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده .

فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح . فأملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت .

واشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، والطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم . . . فإنهم صنفان : أما أخ لك في الدين . . . وأما نظير لك في الخلق^(١) ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض

(١) إما أخ لك في الدين : أي أنه مسلم والمسلم أخ المسلم . وأما نظير لك في الخلق : معناه أنه إنسان مثلك له إحساسه البشري الذي يتميز بالعقل . ويقتضي هذا الإحساس منك الرحمة له والرافة به والعطف عليه ومعاملته كإنسان .

لهم العلل ، ويؤق على أيديهم في العمد والخطأ . . . فاعطهم من عفوك وصفحك ، مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم ، ووالي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك ، وقد استكفأك أمرهم ، وابتلاك بهم .

ولا تنصب نفسك لحرب الله فإنه لا يدى لك بنقمته^(١) ولا غنى بك عن عفوه ورحمته .

ولا تندمن على عفو ، ولا تبجحن بعقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة .

ولا تقولن أي مؤمر . . . أمر فأطاع ، فإن ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين ، وتقرب من الغير^(٢) .

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة ، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك^(٣) ويفيء إليك بما عذب عنك من عقلك .

إياك ومساماة الله في عظمته ، والتشبه به في جبروته ، فإن الله يذل كل جبار ، ويمين كل مختال .

انصف الله ، وانصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ، ومن لك هوى فيه من رعتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله ادحض حجته ، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب .

(١) أراد بحرب الله مخالفة شريعته بالظلم والجور . وليس لك يد أن تدفع بها نقمة الله أو غضبه .

(٢) أدغال القلب : إفساده . ومنهكة الدين : ضعف وسقم ، والغير : حادثات الدهر بتبدل الدول .

(٣) الغرب : حد السيف : ويستعار للسطوة والسرعة في البطش والفتك .

وليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نفعه . من إقامة على ظلم ، فإن الله يسمع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد^(١) .

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، واعمها في العدل ، واجمعها لرضى الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة ، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة .

وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي معونة في الرخاء ، وأقل معونة له في البلاء ، وأكره للإنصاف ، وأسأل بالإلحاف ، وأقل شكراً عند الإعطاء ، وإبطاً عذراً عند المنع ، واضعف صبراً عند ملهمات الدهر ، من أهل الخاصة ، وإنما عمود الدين ، وجماع المسلمين ، والعدة للأعداء العامة من الأمة . فليكن صغوك لهم ، وميلك معهم^(٢) .

(١) قوله : أنصف الله : أي قم بما فرض عليك من العبادة والواجبات العقلية والسمعية .

ثم قال له : وانصف الناس من نفسك ومن ولدك وخاصة أهلك ومن تحبه وتميل إليه . فمضى لم تفعل ذلك كنت ظالماً فإن الله يسمع المضطهدين المظلومين . ومنه قول الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرأ فالظلم آخره يأتيك بالندم
تنام عينك والمظلوم منتبه يدعوك عليك وعين الله لم تنم

(٢) عرفه (عليه السلام) أن قانون الإمارة الإجهاد في رضا العامة ، فإنه لا مبالاة بسخط خاصة الأمير مع رضا العامة . فأما إذا سخطت العامة لم ينفعه رضا الخاصة ، وذلك مثل أن يكون في البلد عشرة . . أو عشرون من أغنيائه ، وذوي الشروة من أهله ، يلزمون الوالي ويخدمونه ، ويسامرونه ، وقد صار كالصديق لهم ، فإن هؤلاء ومن ضارهم من حواشي الوالي وأرباب الشفاعات والقربات عنده لا يغنون عنه شيئاً عند تنكر العامة له . وكذلك لا يضر سخط هؤلاء إذا رضيت العامة . وذلك لأن هؤلاء عنهم غنى ولهم بدل ، والعامة لا غنى عنهم ، ولا بدل منهم . ولأنهم إذا شغبوا عليه كانوا كالبحر إذا هاج واضطرب ، فلا يقاومه أحد ، وليس الخاصة كذلك . ثم قال له (عليه السلام) : ليس شيء أقل نفعاً ولا أكثر ضرراً على الوالي من خواصه أيام الولاية ، لأنهم يثقلون عليه بالحاجات ، والمسائل ، والشفاعات ، =

وليكن أبعد رعيّتك منك ، واشتأهم^(١) عندك ، اطلبهم لمعايب
الناس ، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها ، فلا تكشفن عما
غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك ، والله يحكم على ما
غاب عنك . فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من
رعيّتك .

اطلق عن الناس عقدة كل حقد ، واقطع عنك سبب كل وتر ،
وتغاب^(٢) عن كل ما لا يضح لك^(٣) ، ولا تعجلن إلى تصديق ساعٍ ،
فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين » .

= فإذا غُزل هجره ورفضه حتى لو لقوه في الطريق لم يسلموا عليه ، راجع شرح نهج
البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٧ ص ٣٥ .
(١) اشتأهم عندك : أبغضهم إليك .
(٢) وتغاب : تغافل .
(٣) يضح : يظهر ، والماضي وضح .

حسن اختيار البطانة

وبعد هذا الإيضاح لما ينبغي أن يكون عليه الوالي الصالح يمضي (عليه السلام) في بيان قضايا أخرى ، في سياسة الراعي للرعية . . . وفي حسن اختيار البطانة واستشارة ذوي الخبرة من الأوفياء المخلصين ، فيقول :

« ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جبناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور ، فإن البخل ، والجبن ، والحرص ، غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله ^(١) .

(١) قوله (عليه السلام) : « فإن البخل ، والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله » .

معناه : أن بينها قدراً مشتركاً وإن كانت غرائز وطباع مختلفة ، وذلك القدر المشترك هو سوء الظن بالله ، لأن الجبان يقول في نفسه : إن أقدمت قتلت ، والبخيل يقول : إن سمحت وأنفقت افتقرت ، والحرص يقول : إن لم أجد واجتهد فاتني ما أروم . وكل هذه الأمور ترجع إلى سوء الظن بالله ، ولو أحسن الإنسان الظن بالله ، وكان يقينه صادقا لعلم أن الأجل مقدر ، وأن الرزق مقدر ، وأن الغنى والفقر مقدران ، وأنه لا يكون من ذلك إلا ما قضى الله تعالى كونه . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٧ ص ٤١ .

إن شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً ، ومن شركهم في الآثام ، فلا يكونن لك بطانة ، فإنهم أعوان الأثمة ، وأخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم ، وليس عليهم مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم^(١) ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على إثمه ، أولئك أخف عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفاً ، وأقل لغيرك إلفاقاً .

فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك ، وحفلاتك ، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحق لك^(٢) ، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه ، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع .

والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ألا يطروك^(٣) ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو ، وتدني من العزة .

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء . . . فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة ، والزم كلا منهم ما ألزم نفسه^(٤) .

(١) آصارهم : هو الذنب والإثم وكذلك الأوزار . وقد ناه (عليه السلام) ألا يتخذ بطانة قد كانوا من قبل بطانة للظلمة فالظلم تأصل في نفوسهم فلم يعد يرويه سيئاً أو ينكرونيه لتكرار معاشرتهم لهم . ومن استعان بهم كان معيناً لهم . قال سبحانه وتعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ سورة الكهف : الآية ٥١ .

(٢) ليكن آثرهم عندك وأقربهم إليك أكثرهم قولاً بالحق - والحق مر - وقليل فاعله ومرارة الحق صعوبته على نفس الوالي .

(٣) « والصق بأهل الورع » . أي أدنهم منك ، واجعلهم خاصتك ، « ورضهم على ألا يطروك » عودهم على ألا يمدحوك في وجهك ، ولا يبجحوك كما يبجح الأمراء أصحابهم قبلك . وقد جاء في الخبر : احتوا في وجوه المداحين التراب .

(٤) فإن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب ، والمحسن ألزمها استحقاق الكرامة . « ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء » أي إذا لم يكن للمحسن ما يرفعه ، وللمسيء ما يضعه ، زهد المحسن في الإحسان ، واستمر المسيء على الطغيان .

واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم^(١) وتخفيفه المؤونات عليهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم .

فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعتيك ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً .

وإن أحق من حسن ظنك به . . . لمن حسن بلاؤك عنده . . .

وإن أحق من سوء ظنك به ، لمن سوء بلاؤك عنده .

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة ، واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعاية^(٢) .

ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن ، فيكون الأجر لمن سنّها . . . والوزر عليك بما نقضت منها .

وأكثر مدارس العلماء ، ومناقشة الحكماء^(٣) ، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك » .

(١) إذا أحسن الوالي إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له ، فإن الإحسان قياد الإنسان .
 (٢) ثم نهاه عن نقض سنة صالحة عمل بها من قبله من صالحى الأمة .
 (٣) وفي بعض النسخ : مناقشة : أي محادثة . والمراد والله العالم : أمره بمناقشة العلماء والحكماء في مصالح عمله ، فإن المشورة بركة ، ومن استشار فقد أضاف عقلاً إلى عقله . وفي المثل : ما حار من استشار .

تقسيم الرعية إلى طبقات

يتابع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) توصياته للمالك الأشتر فينتقل إلى ناحية أخرى من هذا الدستور العظيم ليوضح له من أن الرعية تنقسم إلى طبقات . . . ويحدد صفات وماهية كل طبقة من طبقات الشعب وما تحتاجه . . . بقوله :

« واعلم أن الرعية طبقات ، لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض . . . »^(١) .

(١) المراد بالطبقات هنا ليس المعنى المتداول في عصرنا الحاضر - الطبقة - التي تقسم الشعب إلى طبقات متفاوتة . . الإقطاعية ، والرأسمالية ، والبرجوازية ، والشعبية إلى آخر ما هنالك من مصطلحات وتقسيمات لا يعترف الإسلام بها . بل كل ما يعترف الإسلام به . . نظام واحد . . العدل والمساواة لجميع الناس . . لا تفاوت بين المسلمين وليس من رفيع أو ضيع إلا بحسب أخلاصه في عمله . وقيمه كل امرئ ما يحسنه . وقوله (عليه السلام) : « لا يصلح بعضها إلا ببعض » معناه أن الإنسان خلقه الله إجتماعياً ولا بدله من الانضمام إلى أشخاص آخرين ليتعاون معهم على العيش وسبل تنظيم الحياة ، وما رافقها من إحتياجات فالإنسان مضطر بطبيعته إلى تأمين المسكن . . والمأكل والملبس ومن يدرأ عنه عادات الزمن . ومن المعلوم أن كل إنسان بمفرده لا يتمكن أن يقوم بجميع الأعمال التي أعدناها . ولا بد له من جماعة يتعايش معها ويتعاون على سير أمور الحياة . وبالتعاون والنظام يعيش الإنسان بسلام .

- فمناها : جنود الله . . .
- ومنها : كتاب العامة والخاصة . . . ^(١) .
- ومنها : قضاة العدل . . .
- ومنها - عمال الإنصاف والرفق . . .
- ومنها : أهل الجزية ، والخراج من أهل الذمة ، ومسلمة الناس .
- ومنها : التجار . . . وأهل الصناعات . .
- ومنها : الطبقة السفلى من ذوي الحاجة ^(٢) والمسكنة . وكلا ^(٣)
- قد سمي له الله سهمه ^(٤) ، ووضع على حدة فريضته في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) عهداً منه عندنا محفوظاً .
- فالجنود بإذن الله حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم .
- ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم .
- ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب ، لما يحكمون من المعاهد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ^(٥) .

(١) كتاب جمع كاتب : منهم للعامة كالمحاسبين والمحربين وغيرهم . والخاصة وهم المختصون بالحاكم يفضي إليهم بأسراره ويكتبون له ما يريد في حربه وسلمه .

(٢) وفي بعض النسخ : من ذوي الحاجات والمسكنة .

(٣) وفي بعض النسخ : وكل .

(٤) سهمه : نصيبه من الحق .

(٥) المعاهد : العقود في البيع والشراء وما شبه ذلك مما هو من شأن القضاة ، وجمع المنافع =

ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار ، وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، وقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم^(١) .

ثم الطبقة السفلى^(٢) من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفقهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه .

وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى من ذلك إلا بالإهتمام والإستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق ، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل .

= من حفظ الأمن ، وجباية الخراج وتصريف الناس في منافعهم العامة ذلك شأن العمال : والمؤمنون هم الكتاب .

(١) الضمير للتجار وذوي الصناعات . أي أنهم قوام لمن قبلهم بسبب المرافق - المنافع التي يجتمعون لأجلها ، ولها يقيمون الأسواق ، ويكفون سائر الطبقات من الترفق أي التكسب بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات .

(٢) الطبقة السفلى : هم أهل الفقر والحاجة الذين تجب معونتهم والإحسان إليهم . أقول : قسم أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس إلى طبقات وذكرهم طبقة طبقة ولكل طبقة من الناس أعمالها الخاصة بها ولا يصلح بعضها إلا ببعض ولا يستغني بعضها عن بعض . . . إنه دستور الحياة . . . ونظام العالم . . . ولا بد لكل أمة من حاكم وقاض للفصل بين الناس . . . وجنود وعمال ليتنظم الأمر ويعيش الجميع بتعاون وألفة ووفاق .

تنظيم الجند وشروط اختيار القادة

لم يدع علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ناحية من النواحي الاجتماعية أو العسكرية إلا ويوضحها للأشر . . . بعد أن بين له كيفية التعامل مع عية . . . وحسن اختيار البطانة . . . وتقسيم الرعية إلى طبقات ، نجده (عليه السلام) يخلص إلى توضيح الناحية العسكرية : فيشرح له كيفية التعامل مع جنده وحسن اختيار القادة له بقوله :

« فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ، ولإمامك ، وأنقاهم جيئاً^(١) ، وأفضلهم حلماً ، ممن يبطيء عن الغضب ، ويستريح

(١) وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : وأطهرهم جيئاً . ثم يشرح ذلك فيقول : أمره أن يولي أمر الجيش من جنوده من كان أنصحهم لله في ظنه ، وأطهرهم جيئاً . . . أي عفيفاً أميناً . ويكنى عن العفة والأمانة ، بطهارة الجيب ، لأن الذي يسرق يجعل المسروق في جيبه ، فإن قلت : وأي تعلق لهذا بولاة الجيش ؟ ! إنما ينبغي أن تكون هذه الوصية في ولاية الخراج - الجباة - قلت : لا بد منها في أمراء الجيش لأجل الغنائم . انتهى .

أقول : ليت صاحب شرح النهج يكون في عصرنا الحاضر الذي عمته الفوضى ، وأصبح فيه نقي الكف ، وطاهر الجيب رجلاً غير مرغوب في سيرته الجامدة الغير متحركة حسب ما يزعم ، فينتونه بالرجعية تارة . . . وبالترمت تارة أخرى . لا لشيء معيب فيه إلا لأنه لا يمتلك الديناميكية العصرية التي من شأنها أن تملء جيبه ، والتي قوامها المداينة . . . والمراوغة . . . والنصب والإحتيال والرشوة على جميع الأصعدة . . .

إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبوا على الأقوياء^(١) ، ومن لا يثيرة العنف ، ولا يقعد به الضعف .

ثم ألصق بذوي المروءات والأحساب^(٢) ، وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة . ثم أهل النجدة والشجاعة ، والسخاء والسماحة ، فإنهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف .

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقمن في نفسك شيئاً قويتهن به . ولا تحقرن لطفاً تعهدتهن به . وإن قل . . فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك .

ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه .

وليكن أثر رؤوس جنك عندك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم من جدته ، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم ، حتى يكون همهم همّاً واحداً في جهاد العدو ، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك .

وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم ، وقلة استئصال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم^(٣) .

(١) وينبوا على الأقوياء : يتجافى عنهم ويبعد ، أي لا يمكنهم من الظلم والتعدي على الضعفاء .

(٢) ثم أمره أن يلصق بذوي الأحساب . . أي يكرمهم ويجعل معوله في ذلك عليهم ولا يتعدها إلى غيرهم ، وكان يقال : عليكم بذوي الأحساب فإن هم لم يتكروا استحيوا .

(٣) لا يصح نصيحة الجند لقائدهم إلا بحيطتهم على ولائهم - بتعطفهم عليهم وتحنتهم ورعايتهم . . . وقوله : « وقلة استئصال دولهم - وترك استبطاء انقطاع مدتهم » . معناه والله العالم . لا تصح نصيحة الجند لك إلا إذا أجبروا أمراءهم ثم لم يستثقلوا دولهم . . . ولم يتمنوا زوالها .

فافسح في آمالهم ، وواصل في حسن الثناء عليهم ، وتعيد ما أبلى ذوا البلاء منهم . فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله .

ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ، ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره^(١) ولا تقصرن به دون غاية بلائه .

ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغرن من بلائه ما كان عظيماً .

واردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ، ويشته عليك من الأمور^(٢) فقد قال الله سبحانه وتعالى لقوم أحب إرشادهم :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ﴾^(٣) .

فالرد إلى الله ، الأخذ بمحكم كتابه^(٤) .

والرد إلى الرسول . . . الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة . . . » .

(١) معناه والله العالم : لا تضيفن بلاء - عمل - امرئ إلى غيره ، بل اذكر كل من أبلى وعمل منهم عملاً جيداً كل واحد بمفرده . حتى لا يكون مغموراً في جنب ذكر غيره ، وهذا هو العدل والإنصاف بين الناس فلا يظلم أحد حتى بالشعور والمعنويات .

(٢) ما يشكل عليك من الخطوب ويشته عليك من الأمور لعدم إحاطتك بها .

(٣) سورة النساء : الآية ٥١ .

(٤) محكم الكتاب : نصه الصريح .

الدقة في اختيار القضاة

نجد أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) بعد أن أوضح لمالك الأشتر ما يحتاجه الوالي في تنظيم الجند انتقل إلى الدقة في اختيار القضاة الذين يوليهم أمور الحكم بين الناس فيقول :

« ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم^(١) ، ولا يتهاذى في الزلة ، ولا يحصر^(٢) من الفياء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه . . .

وأوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم^(٣) واصبرهم على تكشف الأمور ، واصرمهم عند انتضاح الحكم^(٤) ، ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل .

-
- (١) تمحكه الخصوم : تجعله ما حكا أي لجوجاً . أمحه : جعله محكان - عسر الخلق سريع الغضب لا تحمله خاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه .
 (٢) لا يحصر : لا يعيا في المنطق لأن من الناس من إذا زلّ حصر عن أن يرجع ، وأصابه كالفهامة والعي خجلاً . . ولا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق إذا عرفه .
 (٣) التبرم : الملل والضجر ، وهذه الخصلة من محاسن ما شرطه (عليه السلام) على القاضي فإن القلق والضجر والتبرم قبيح ، وأقبح ما يكون من القاضي .
 (٤) أصرمهم : أقطعهم وأمضاهم عند انتضاح الحكم لديه .

ثم أكثر تعاهد قضائه ، وافسح له في البذل ما يزيح علقته^(١) وتقلّ معه حاجته إلى الناس ، واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك^(٢) ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك .
فانظر في ذلك نظراً بليغاً ، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار ، يعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا^(٣) .

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد : ثم أمره أن يتطلع على أحكامه وأقضيته - دورات تفتيشة في اصطلاح العصر الحاضر - وأن يفرض له عطاءً واسعاً يملأ عينيه ، ويتعفف به عن المرافق والرشوات . اهـ - وحتى يكون ما يأخذه القاضي كافياً لمعيشة مثله ، لحفظ منزلته الاجتماعية فلا تأخذه الأطماع .
(٢) المراد من هذه العبارة والله العالم : أنه إذا رفعت منزلة القاضي عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة فلا يجرأ أحد على الوشاية به عندك . خوفاً منك وإجلالاً لمن أجلته .
فيأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك - سعاية ووشاية .
(٣) في شرح النهج لابن أبي الحديد : « إن هذا الدين قد كان أسيراً » هذه إشارة إلى قضية عثمان وحكامه ، وأنهم لم يكونوا يقضون بالحق عنده ، بل بالهوى لطلب الدنيا .

مراقبة العمال

يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لملك الأشر . . عليك أن
تتمحن عمالك اختباراً قبل توليتهم بالإمتحان للنظر في كفائهم . . .
ودينهم . . وكرم أخلاقهم ، لا بالأثرة والمحابة .

ويخلص (عليه السلام) إلى القول : أن صاحب الكفاءة ،
والدين ، والعفة من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام أكرم
أخلاقاً ، وأقل طمعاً وأبلغ في العواقب نظراً . فالعمال إذا كانوا صالحين
هم أداة الإستقرار والطمأنينة وإذا صلح الراعي صلحت الرعية . قال
(عليه السلام) :

« ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محابةً
وأثرة ، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة^(١) .

وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة ،
والقدم في الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرم أخلاقاً ، وأصح أعراضاً ،

(١) ولا تولهم محابةً وأثرة : فإنها جماع من شعب الجور والخيانة . المعنى أنها ضرورياً
من الجور والخيانة . أما الجور : فإنه يكون قد عدل عن المستحق إلى غيره ففي ذلك
جور على المستحق . وأما الخيانة : فلأن الأمانة تقتضي تقليد الأعمال الأكفاء فمن
حاي أو أثر فقد خان من ولاه .

وأقل بالمطامع إشرافاً ، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً .

ثم أسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم^(١) وحجة عليهم إن خالفوا أمرك ، أو ثلموا أمانتك .

ثم تفقد أعمالهم ، وأبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم^(٢) فإن تعهدك في السر لإمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة ، والرفق بالرعية .

وتحفظ من الأعوان ، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة » .

(١) أسبغ عليهم الرزق ليكون قوة لهم وغنى عن تناول ما تحت أيديهم لأنهم عمال السواد والوقوف والصدقات وجميع مصالح الدولة وأموالها تحت أيديهم فإذا وسع عليهم تعففوا ولم يدعوا بدهم إلى شيء مما تحت أيديهم .

(٢) « وأبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم » : وهذا مستحسن جداً في الأمور الإدارية في سياسة الوالي من إرسال المراقبين من أهل الوفاء والأمانة وبث العيون والأرصاء . . حتى لا يحدث تواطؤ وتذب الفوضى وتختلس أموال الدولة .

عمارة الأرض . . . وخراجها

بعدما انتهى علي (عليه السلام) من حث الأشرع على مراقبة العمال ، شرع في وضع آداب وسياسة من تفقد أمر الخراج . . وجباية الضرائب . . واستصلاح الأرض . . وعمارة البلاد . قال (عليه السلام) :

« وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله .

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة . . أخرج البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يسقم أمره إلا قليلاً .
فإن شكوا ثقلًا^(١) أو علة ، أو انقطاع شرب ، أو إحالة^(٢) أو

(١) « فإن شكوا ثقلًا » الثقل : الخراج المضروب عليهم ، وثقل وطأة العامل .

(٢) « أو علة » وهي نزول علة سماوية أضرت بزرعهم وثمراته ، أو أن يصيب الغلة آفة كالجراد ، أو البرق ، أو البرد - الثلج .

« أو انقطاع شرب » بأن ينقص الماء في النهر في البلاد التي تُسقى بمياه الأنهار . « أو انقطاع بالة » ما يبيل الأرض من ندى أو مطر في البلاد التي تسقى بالمطر كما هو شأن =

إحالة أرض اغتمرها غرق ، أو أجحف بها عطش ، خفت عنهم بما
ترجو أن يصلح به أمرهم .

ولا يثقلن عليك شيء خفت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخريعودون
به عليك في عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن
ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم^(٣) معتمداً فضل قوتهم بما
ذخرت عندهم من إجمامك لهم^(٢) والثقة منهم بما عودتهم من عدلك
عليهم ورفقك بهم .

فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه ،
طيبة أنفسهم به ، فإن العمران محتمل ما حملته .

وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها
لإشراف أنفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم
بالعبر .

= بلاد جبل عامل في لبنان وغيره ممن يعتمدون في زراعتهم ومحاصيلهم على مياه
الأمطار .

(١) التبجح : السرور بما يرى الوالي من حسن عمله ، وحسن العمل يفضي إلى تزيين
البلاد بعمارتها ، وفي ذلك تبجح بين الولاة بإفاضة العدل في الرعية .

(٢) الإجمام : الترفيه .

أفضل الكتاب من عرف بالأمانة

لما فرغ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من شرح أمر الخراج وعمارة البلاد ، وما يجب على الوالي فعله مع رعيته ، انتقل (عليه السلام) إلى موضوع آخر وهو اختيار الكتاب ، وما يلزمهم من الأمانة وحسن الآداب ، لأنهم هم الذين يقومون بأمور الوالي ، ويترسلون عنه إلى عماله وموظفيه . . . وإلى الكتاب يعود معاهد التدبير . . وأمر الديوان . . .

لذلك نجده (عليه السلام) أمر الأشر أن يتخير الصالح منهم المعروف بالأمانة والإخلاص . فالكاتب الذي يشير أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي يسمى الآن في الإصطلاح العرفي - المدير - لأنه يقوم بتدبير أمور الوالي وينوب عنه . . . وهو صلة الوصل بين الوالي وبقيّة عماله . وعلى هذا يجب أن يكون أميناً . . . عفيفاً . . صادقاً . . صاحب أمانة وإخلاص .

يقول (عليه السلام) :

«ثم انظر في حال كتابك، فولّ أمورك خيرهم، واخصص رسائلهم التي تدخل فيها مكايذك وأسرارك، بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق، ممن لا تبطره الكرامة^(١)، فيجتريء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملا .

(١) لا تبطره الكرامة : لا يأخذ البطر وهو الدهشة عند هجوم النعمة : ويقال : طغى =

ولا تقصّر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك^(١) ،
وإصدار جواباتها على الصواب عنك ، وفيما يأخذ لك ويعطي منك .

ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد
عليك^(٢) ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه
يكون بقدر غيره أجهل .

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك^(٣) وحسن
الظن منك . فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة ، بتصنعهم وحسن
خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء^(٤) ولكن
اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم كان في العامة
أثراً ، وأعرفهم بالأمانة وجهاً ، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ،
ولمن وليت أمره .

= بالنعمة : صرفها إلى غير وجهها ، واستخفها جهلاً وكبراً فلم يشكرها . وعلى هذا
أمره (عليه السلام) أن يختار الكاتب من لا تبطره الكرامة ولا تطغيه النعمة والتقريب
عندما يصبح في منصب مقرب من الوالي فيجراً عليه ، فيضر بمنزله .

(١) لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلاعك على ما يرد من أعمالك ، ولا في إصدار
الأجوبة عنه على وجه الصواب ، بل يجب أن يكون من النباهة والحذق بحيث لا
يفوته شيء من ذلك .

(٢) يجب أن يكون الكاتب له خبرة بطرق المعاملات والعقود بحيث إذا عقد لك عقداً من
أي نوع كان يكون حكماً ، وإذا وقعت مع أحد في عقد كان ضرره عليك لا يعجز
عن حل ذلك العقد .

(٣) الفراسة : بالكسر . . قوة الظن وحسن النظر في الأمور ، والإستنامة : السكون
والثقة . فلا يكون انتخاب الكتاب تابعاً لميلك الخاص .

(٤) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ثم نهاه أن يكون مستند اختياره لهؤلاء فراسته
فيهم ، وغلبة ظنه بأحوالهم ، فإن التدليس ينم في ذلك كثيراً ، وما زال الكتاب
يتصنعون للأمراء بحسن الظاهر ، وليس وراء ذلك كثير طائل في النصيحة والمعرفة ،
ولكن ينبغي أن يرجع في ذلك إلى ما حكمت به التجربة لهم ، وما ولىه من قبل فإن
كانت ولايتهم وكتابتهم حسنة مشكورة فهم . . . هم ، وإلا فلا . وكان يقال : إذا لم
يشرف الملك على أموره ، صار أغشى الناس إليه وزيره .

واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم^(١) لا يقهره كبيرها ،
ولا يتشتت عليه كثيرها ، ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه
ألزمته^(٢) .

(١) اجعل لرأس كل دائرة من دوائر الأعمال رئيساً من الكتاب مقتدراً على ضبطها . وأن
يقسم فنون الكتابة وضروبها فيجعل لكل مادة شخصاً خاصاً بها .
(٢) « ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته » معناه كل عيب في كتابك
تغافلت عنه وتغابيت كان ذلك العيب لاصفاً بك فإنك مأخوذ عليه أمام الله تعالى فإن
الدين لا يبيح الإغضاء والغفلة عن الأعوان والحوال بل يوجب التطلع عليهم والإنتباه
لهم ومحاسبتهم .

التجار . . وذوي الصناعات

بعدما انتهى علي (عليه السلام) في عهده للأشتر من أمر اختيار الكتاب والموظفين وأصحاب الدواوين تتطرق إلى موضوع هام وهو موضوع التجار وأصحاب الصناعات ، فأوصاه بهم خيراً ، إذ بواسطتهم انتعاش الحركات الإقتصادية ، وتيسير أمور الرعية وذلك بما يقومون به من أعمال صناعية وزراعية وبيع وشراء . فالتجار وذوي الصناعات هم العامود الفقري لجسم الأمة وهم الدعامة التي تساهم في رخاء الشعب وسلامته واستقراره .

لذلك أمره (عليه السلام) أن يستوصي بهم خيراً ويوصي عماله وموظفيه بالإهتمام بهم وعدم التضييق عليهم فقال :

« ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات ، وأوص بهم خيراً ، المقيم منهم . . والمضطرب بماله^(١) والمترفق بيده^(٢) فإنهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق ، وجلاها من المباعد والمطارح ، في برك وبحرك ، وسهلك وجهلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها^(٣) ، ولا يجترئون

(١) المضطرب بماله : المسافر من بلد إلى بلد ليتجر بأمواله .

(٢) المترفق بيده : الذي يعمل بيديه من أهل الصناعات .

(٣) حيث لا يمكن لجميع الناس الالتام بها أو الوصول إليها لبعدها .

عليها ، فإنهم سلم لا تخاف بائقته^(١) وصلح لا تخشى غائلته .
وتفقد أمورهم بحضرتك ، وفي حواشي بلادك . واعلم مع ذلك
أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً^(٢) ، وشعاً قبيحاً . واحتكاراً للمنافع^(٣)
وتحكماً في البياعات ، وذلك باب مضره للعامة ، وعيب على الولاة .
فامنع من الإحتكار ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
منع منه .
وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل ، وأسعار لا تحجف
بالفريقين من البائع والمبتاع .
فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به ، وعاقب من غير
إسراف .

(١) البائقة : الداهية . والتجار والصناع مسالمون لا تخشى منهم داهية العصيان .

(٢) الضيق : عسر المعاملة .

(٣) الإحتكار : حبس الطعام وغيره من المواد الضرورية وبيعها بأثمان باهظة .

أقول : جعل (عليه السلام) الموصى بهم ثلاثة أقسام ، للتجار منها اثنان ، وواحد
لأرباب الصناعات - أولاً : التاجر المقيم المستقر في بلاده - ثانياً : التاجر المضطرب
المسافر في بلاد الله الواسعة للإتجار بماله . - ثالثاً : المترقب ببدنه الذي يشتغل بيديه
من أرباب الصناعات .

ثم لم ينس (عليه السلام) أن يلفت نظر الأشر إلى أنه قد يوجد بين هؤلاء التجار
والصناعيين من عنده شح وبخل فيحملهم شحهم وبخلهم على الإحتكار طمعاً بزيادة
الأرباح فيعمدوا إلى احتكار الأقوات في ابتياع الغلات والمواد الضرورية إلى تخزينها
وادخارها إلى أيام فقدانها أو شحها . . فيضطرب الناس حينئذ إلى شراء ما يحتاجون إليه
بالسعر الذي يتحكم به البائع فيحصل الحيف في البياعات . . وهذا هو الإحتكار
المنهي عنه .

الإهتمام بشؤون الضعفاء

يواصل (عليه السلام) في عهده للأشتر بيانه عن طبقات الأمة ، وينتهي إلى الطبقة السفلى الفقيرة من عامة الشعب ، الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين والمرضى وأصحاب العاهات . . أو الأمراض المزمنة التي تمنعهم من العمل والتكسب ، فيوصي بهم ، ويأمر بحسن معاملتهم ورعايتهم بقوله :

« ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، من المساكين ، والمحتاجين ، وأهل البؤس والزمنى^(١) فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً^(٢) .

واحفظ لله^(٣) ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صوافي^(٤) الإسلام في كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكل قد استرعيت حقه .

(١) الزمنى : العاهة .

(٢) القانع : السائل - والمعتّر : الذي يعرض لك ولا يسألك وقد جاء ذكرها في القرآن ، وهو قوله تعالى في سورة الحجر آية : ٣٦ ﴿ فكلوا منها واطعموا القانع والمعتّر ﴾ .

(٣) وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : واحفظ الله ما استحفظك من حقه .

(٤) صوافي الإسلام : جمع صافية وهي أرض الغنيمة . وغلاتها : ثمراتها .

ولا يشغلنك عنهم بطر فإنك لا تُعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهم^(١) ، فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم^(٢) .

وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ، ممن تقتحمه العيون^(٣) وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم^(٤) .

ثم اعمل فيهم بالأعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه ، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه .

وتعهد أهل اليتيم ، وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ، ولا ينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً^(٥) تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطتك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع^(٦) ، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول

(١) التافه : القليل ، لا تعذر بتضييعه إذا أحكمت ولا تصرف اهتمامك عن ملاحظة شؤونهم - ولو بإعطائهم القليل .

(٢) ولا تصعر خدك لهم : لا تتكبر عليهم . صعر خده : أماله إعجاباً وكبراً .

(٣) تقتحمه العين : تكره أن تنظر إليه احتقاراً ، تزدرية .

(٤) معنى قوله (عليه السلام) : والله العالم فرغ هؤلاء المساكين أناساً ممن تثق بهم ممن يخشون الله ويخافونه ويتواضعون لعظمته ولا يأنفون من تعرف حالهم ورفع مظالمهم إليك .

(٥) لعل مراده (عليه السلام) : لا تتعالى عليهم بل اجعل لذوي الحاجات - المتظلمين وقتاً تفرغ لهم فيه لشخصك للنظر في مظالمهم وشكواهم .

(٦) التمتع في الكلام : هو التردد فيه من عجز أو عي أو خوف ، والمراد هنا أن يكون =

في غير موطن : « لن تقدس أمة^(١) لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع » .

ثم احمل الخرق منهم والعي^(٢) ونح عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته ، واعط ما أعطيت هنيئاً ، وامنع في إجمال وإعذار^(٣) .

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها . منها إجابة عمالك بما يعي عنه كتابك . ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودهم عليك مما تخرج به صدور أعوانك^(٤) .

وامض لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم ما فيه ، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، واجزل تلك الأقسام ، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية ، وسلمت منها الرعية » .

= متكلم القوم غير خائف من شرطك وحرسك . فتأخذه الرهبة فلا يقدر بعد على التكلم . ويتنعتع فلا يتمكن من الإفصاح عما يريد من رفع شكايته إليك .

(١) التقديس : التطهير .

(٢) الخرق بالضم : العنف . . . الجهل وروي : ثم احتمل الخرق منهم والعي . أي لا تضجر من هذا ولا تغضب لذلك .

(٣) إذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر .

(٤) الأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ومحبون الماطلة في قضائها استجلاباً للمنفعة أو إظهاراً للجبروت وعلى هذا يتعين على الحاكم العادل أن يباشرها بنفسه .

التقرب إلى الله تعالى

بعدما انتهى علي أمير المؤمنين (عليه السلام) من وصيته للأشتر بالفقراء والمساكين وكيف يجب عليه أن يعامل بقية الرعية من المحتاجين ، انتقل إلى موضوع آخر هو الأساس أو القاعدة التي يستقيم عليها أمر الحاكم . . .

التقرب من الله تعالى . . بإداء الفرائض بتامها وشعائرها . بنية صادقة لا يشوبها رياء ، كالإطالة في الصلاة قصداً ، والتظاهر بالخضوع والخشوع . . . بل أمره أن يصلّيها كما هي مفروضة عليه .

فإذا صلى بالناس جماعة فالأفضل ألا يطيل فينفرهم عنها ، لأن صلاة الجماعة إنما شرّعت والله العالم لأجل العبادة . . ولاجتماع المؤمنين وتعارفهم فيما بينهم . ولتتوثق باجتماعهم للصلاة عرى الألفة والمحبة .

ولكن إذا أطال الحاكم^(١) في صلاته ، فلربما كان من بين الحضور من يخشى من عدم تمكنه من أدائها مطولة لعلّة صحية أو غير صحيحة .

(١) كان من صلاحية الحكام أن يؤموا الناس في صلاة الجماعة كل حاكم في مقاطعته وعلى هذا نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يهمل هذه الناحية المهمة بل أوصى الأشتر عندما ولاه مصر إلى أن ينتبه إلى كيفية إقامة الصلاة جماعة بشكل صحيح بأن لا يكون منفراً ولا مضيقاً .

فكل ما يؤدي إلى نفرة المسلمين ولو بعضهم من الإجتماع والتآلف
ينبغي الإجتناّب عنه .

ثم يتابع وصيته في عهده فيقول :
ولا تنقصها - الصلاة - باختصار بعض أركانها فتضيعها .

قال (عليه السلام) للمالك الأشر :

« وليكن في خاصة ما تخلص به الله دينك ، إقامة فرائضه التي هي
له خاصة ، فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ، ووفّ ما تقربت به
إلى الله سبحانه من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص ، بالغاً من بدنك
ما بلغ .

وإذا أقمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ، ولا مضيعاً ،
فإن في الناس من به العلة ، وله الحاجة .

وقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين وجهني
إلى اليمين : كيف أصلي بهم ؟ .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « صلّ بهم كصلاة
أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيماً » .

مساوىء احتجاج الوالى عن رعيته

نهى على أمير المؤمنين (عليه السلام) مالك الأشر عن الأحتجاب عن رعيته لأن احتجابه عنها ربما يؤول إلى الضرر عليه فلا يعرف ماذا يجري بين الناس ، فلربما تحاك المؤامرات ضده وهو لا يعلم بها ، وربما يحدث الظلم والحيف وغير ذلك وهو بعيد عنها .

وعلى هذا فلا بد للحاكم أيضاً أن يكون على صلة دائمة برعيته وبقضايها . . . وعلى معرفة تامة بجميع المشاكل الحياتية التي تعترض الناس ، فيبادر إلى الحلول الممكنة الناجحة بسياسته الحكيمة .

وأما إذا كان الحاكم محتجباً لا يصل إليه من الأخبار إلا ما تريد إيصاله بطائته وخاصته . . . فقد عاش بعيداً عن رعيته . . .

وإذا كانت تلك البطانة المحيطة به غير أمينة على مصالح الشعب ولا يهتمها من أمور الأمة إلا ما يعود عليها بالنفع . فإنها تشوش عليه الأمور ، وتجعل غشاوة على مظالم المتظلمين وشكاوى المحرومين وفي مثل هذا الحال يكون الحاكم قد عاش بعيداً عن شعبه ومشاكله وهمومه ، وليست هذه من صفات الحاكم العادل .

وهذا المنحى في التفكير والسيرة التي يجب أن يكون عليها الحاكم هي من سياسة علي (عليه السلام) وهي أيضاً وصية كان يوصي بها كل

من استعمله من قبله من الولاة قبل أن يرسله إلى القطر الذي جعله حاكماً عليه .

يقول (عليه السلام) :

« وأما بعد هذا . . . فلا تطولن احتجاجك عن رعيتهك ، فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأمور .

والإحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل^(١) .

وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور ، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب . . .^(٢) .

وإنما أنت أحد رجلين . . إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق . . ففيما احتجاجك من واجب حق تعطيه . . أو فعل كريم تسديه . . أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك ، إذا آيسوا من بذلك . مع أن أكثر حاجات الناس إليك ، ما لا مؤونة فيه عليك ، من شكاة مظلومة ، أو طلب إنصاف في معاملة » .

(١) يختلط الحق بالباطل .

(٢) سمات : جمع سمة العلامة ومعناه والله العالم أنه ليس للحق علامات ظاهرة يتميز بها الصدق من الكذب ، وإنما يعرف ذلك بالامتحان أو الإحتكاك بالرعية .

الحذر .. الحذر من تلاعب الخاصة والبطانة

يسترسل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في نصيحته لمالك الأشتر إذ يوضح له ناحية خاصة ، وهي كيفية التعامل مع خاصته وبناته وما يلزم أن يعملهم معهم . فينهاه عن أن يحمل أقاربه وحاشيته على رقاب الناس بأن يتسامح ويتغاضي عما يفعلون فيطمعون بليته وتسامحه ، عند ذلك يحصل عندهم الجشع وحب الذات فيستأثرون بمقدرات الشعب والتناول عليه والإذلال له .. ولعل في هذا إشارة إلى ما فعلته بطانة الخليفة عثمان مما أدى إلى الثورة عليه ..

ونهى (عليه السلام) مالك الأشتر أيضاً عن تفضيل أحد خاصته على أحد فيقطعه الأراضي أو يملكه الضياع التي ربما تضر بمن جاورها .. بحيث يتغلب الأقطاعي على الماء مثلاً .. ولا يتمكن المظلوم من الإنصاف منه لقربه من الحاكم لمنزلته عنده ، فيكون بذلك قد حصل الظلم والحييف باسم الحاكم .

ويتابع قوله (عليه السلام) : فالمهنة لهم في الدنيا دونك .. والوزر في الآخرة عليك .. والعيب والذم في الدنيا لاحقان بك ... وليكن القريب والبعيد عندك سواء .. فلا تقربن أحداً إلاً بالحق .. ولا تبعدن أحداً إلاً بالحق .. وإن لم يرضي هذا العمل أقربائك وخاصتك ...

وكن مع الحق حيثما كان . . وابتغ بذلك وجه الله . .

يقول (عليه السلام) : « ثم إن للوالي خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتناول ، وقلة إنصاف في معاملة ، فاحسم مادة^(١) أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال^(٢) .

ولا تقطعن لأحد من حاشيتك ، وحامتك^(٣) قطيعة ، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس ، في شرب أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهناً ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة .

والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه . . فإن مغبة ذلك محمودة » .

(١) في شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده : فاحسم مادة أولئك .

(٢) معناه : اقطع مادة شرورهم عن إيذاء الناس بقطع الوسائل المؤدية إلى تعديهم وذلك بكف أيديهم ومنعهم من التصرف في شؤون الرعية كما يشاؤون .

(٣) الحامّة : الخاصة والقراية .

إبداء العذر للرعية مع صلح حذر مع الأعداء

يمضي علي أمير المؤمنين (عليه السلام) في توجيه الأشر إلى جميع النواحي المنهجية التي يلزم على الحاكم العادل أن ينتهجها . فلم يترك (عليه السلام) صغيرة ولا كبيرة إلا ونبهه عليها في عهده إليه ، قال له : « وإن ظنت الرعية بك حيفاً . . . » وهو أن اتهمت الرعية بالإجحاف عليها . . أو ظنت بك جوراً ، فالأفضل أن تدلي بعذرهم علانية ، وتكشف لهم أيضاً عن وجهة نظرك ، وتبين لهم الصواب من رأيك حتى لا تلام على شيء من تصرفاتك . « فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ، ورفقاً برعيتك ، وإعذاراً تبلغ به خاصتك من تقويمهم على الحق » .

ثم نجده (عليه السلام) ينتقل بتوجيهاته إلى موضوع له أهميته إذ يلفت نظر الأشر إلى منهج سياسي شرعي في الإسلام الذي هو . . . الصلح .

فالإسلام هو دين المحبة والسلام . . يؤثر التعايش السلمي بين الجميع على الحرب والقتال . . . إذا لم يكن بذلك غدر أو خيانة من الأعداء .

لذلك قال له (عليه السلام) : « لا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك . . الخ » .

وهنا إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ و إن جنحوا للسلم فاجنح لها . . . ﴾^(١) .

أمره (عليه السلام) أن يقبل الصلح إذا دُعي إليه لما فيه من الراحة للعباد ، والإستقرار والأمن في البلاد . .

لكن حذره (عليه السلام) من غائلة عدوه وكيده إذ ربما اتخذ العدو من الدعوة إلى الصلح مكيدة للغدر والفتك ، وغشاة على عيون المغفلين . كما جرى فيما بعد عندما دعا معاوية بن أبي سفيان الإمام الحسن (عليه السلام) إلى الصلح فانطلت مكيدة معاوية على المغفلين . واضطروا الحسن إلى القبول بالصلح . . مع علمه بأنها مكيدة . وبعد ذلك غدر معاوية وخان العهد ، وكان ما كان مما لسنا بصده الآن وسنذكر ذلك مفصلاً إن شاء الله عند ذكر خلافة الحسن (عليه السلام) .

يقول علي (عليه السلام) للأشتر : « وإن ظنت الرعية بك حيفاً فاصحر لهم بعذرک ، واعدل عنک ظنونهم بإصهارک ، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ، ورفقاً برعيتك أعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا، فإن في الصلح دعة لجنودك ، وراحة من همومك ، وأمناً لبلادك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم . واتهم في ذلك حسن الظن » .

(١) سورة الأنفال : الآية ٦١ .

الوفاء بالعهد

لم يغب عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من أن يوصي الأشر بالالتزام بالوفاء وحفظ العهد لأنهما من المزايا الحميدة التي يتحلى بها الإنسان فهما دعامة من دعائم الخلق الإسلامي الرفيع . وهما ملكة تلزم المتخلق بها من أداء ما عليه من حق .

ولما كان الوفاء وحفظ العهد هما رمز الإنسانية الصادقة ومكارم الأخلاق نرى الدين الإسلامي قد مدح من تخلق بهما وسار على منهاجها . . .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم الوفاء . . وحفظ العهد . . بقوله : ﴿ واوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾^(٢) .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تحث على تعظيم الوفاء بالعهد وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « عليكم

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

(٢) سورة الرعد : الآية ١٩ .

بصدق الحديث ووفاء العهد وحفظ الأمانة ، فإنها وصية الأنبياء » .

لذلك نجد علياً (عليه السلام) قد حث الأشر وأمره بالتقيد بعهوده وعقوده حيث يقول :

« وإن عقدت بينك وبين عدو لك عقدة ، أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت ، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه إجتماعاً مع تفرق أهوائهم ، وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود .

وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين ، لما استوبلوا من عواقب الغدر^(١) .

فلا تغدرن بذمتك ، ولا تخيسن بعهدك^(٢) ولا تختلن عدوك^(٣) فإنه لا يجترىء على الله إلا جاهل شقي .

وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحرماً يسكنون إلى منعه ، ويستفيضون إلى جواره . فلا ادغال ، ولا مدالسة ولا خداع فيه

ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل^(٤) ، ولا تعولن على لحن قول^(٥) بعد التأكيد والتوثقة .

ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير

(١) لقد التزم المشركون بالوفاء بالعهود فيما بينهم لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة ومهلكة فالأولى أن يلتزم المسلمون بذلك .

(٢) خاس بعهدك : خان ونقض .

(٣) الختل : الخداع .

(٤) تجوز فيه العلل : والعلل العقد في الكلام وإبهامه وعدم صراحته وما يحوله إلى غير المراد .

(٥) لحن القول : ما يقبل التوجيه . . . كالتورية والتعريض .

الحق ، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه ، وفضل عاقبته خير من
غدر تخاف تبعته . وأن تحيط بك من الله فيه طلبه لا تستقيل فيها دنياك
ولا آخرتك » .

النهي عن سفك الدم الحرام

انتقل (عليه السلام) في عهده للأشتر إلى نهيه عن سفك الدماء
بغير حلها ، لأنها مدعاة لنقمة الباري عز وجل وغضبه ، وجريمة موجبة
لزوال نعمه سبحانه عن مرتكبيها . . .

وصية علي (عليه السلام) لمالك الأشتر مبنية على أسس الشريعة
الإسلامية العادلة التي تنهى عن القتل والعدوان والظلم والجور وكل ما
لا يقبله الشرع ولا يستسيغه الوجدان .

ثم ينتقل (عليه السلام) إلى النهي عن قتل العمد ، وأنه لا عذر
له عند الله ولا عنده ثم بين له الحكم الشرعي ، من أن قتل العمد
يوجب القود وهو القصاص . .

قال (عليه السلام) : «إياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فإنه
ليس شيء أدعى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة ،
وانقطاع مدة ، من سفك الدماء بغير حقها . والله سبحانه مبتدئ
بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة .

فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه
ويوهنه ، بل يزيله وينقله .

ولا عذر لك عند الله ، ولا عندي في قتل العمد ، لأن فيه قود

البدن . وإن ابتليت بخطأ ، وافرط عليك سوطك ، أو يدك بالعقوبة ،
فإن في الوكزة^(١) فيما فوقها مقتلة .

فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول
حقهم » .

(١) الوكزة : الضربة بجمع الكف ، وهي المعروفة باللكمة .

وصايا خاصة . . . وتوجيهات عامة

ختم علي أمير المؤمنين (عليه السلام) عهده لمالك الأشتر رضي الله عنه بوصايا يحتاجها الوالي ، وتوجيهات عامة لكل حاكم عادل للسير على طبقها لأنها تبعده عن الغوائل ، وترشده إلى الفضائل .

فقد ذكر له آداباً جمة يحتاج إليها في إطار حكمه ، ناهياً إياه عن الأخلاق السيئة ، والأفعال المشينة .

والآن نذكر بقية وصاياهم (عليه السلام) لمالك الأشتر متسلسلة معتمدين بذلك على كونها واضحة المعاني يفهمها كل ذي عقل سليم .

أولاً : العجب بالنفس والإطراء

من هذه الوصايا العجب بالنفس الذي نهاه عنه ، لأنه يدعو إلى الغرور . إذ يحمل الحاكم المغرور غروره على التبعج بما فعله أمام زواره وفي المجالس والمحافل أزيد من الواقع ، فالتبعج يذهب بالمعنويات الحسنة ويوجب المذمة . . لأنه محض الكذب . . . كما إذا أسدى ثلاثة أجزاء من فعل فعله ، فيدعي في المجالس والمحافل وأمام زواره أنه أسدى عشرة . فزاد عليه كذباً - وإذا خالط الحق الكذب أذهب نوره .

ونهاه أيضاً عن حب إطراء الناس له ، وإفساح المجال إلى مديحهم إياه بحضرته ، لأن المدح والإطراء في الوجه ذم . كقولهم له :

ليس أحد أفضل منك ولم يحكم هذا القطر أحد أحسن منك ولا أعدل .

يقول (عليه السلام) للأشتر : « وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الإطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين » .

ثانياً : المن والخلف بالوعد

ثم ينتقل (عليه السلام) بتوجيهاته له ، فينهاه عن المن على الناس بما أسداه إليهم من إحسان أو قضاء حاجة أو أي شيء آخر فإن الله سبحانه وتعالى نهى عن المن بقوله : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ ^(١) .

ونهاه أيضاً : عن الخلف بالوعد ، فإن الخلف بالوعد يوجب المقت عند الله وعند الناس . وقد مدح الله سبحانه وتعالى إسماعيل بقوله : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً ﴾ ^(٢) .

يقول (عليه السلام) : « وإياك والمن على رعيك بإحسانك ، أو التزيد فيما كان من فعلك ، أو أن تعدهم ، فتتبع موعدك بخلفك ، فإن المن يبطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ ^(٣) .

ثالثاً : الإستئثار

ونهاه (عليه السلام) أيضاً عن الإستئثار الذي يوجب الأنانية وحب الذات ، وذلك بأن يستأثر الإنسان بالشيء دون غيره . والإستئثار من أفعال اللثام لا من أفعال الكرام . ففي وقعة خيبر غنم رسول الله

(١) سورة المدثر : الآية ٦ .

(٢) سورة مريم : الآية ٥٤ .

(٣) سورة الصف : الآية ٣ .

(صلى الله عليه وآله وسلم) غنائم خيبر وكانت ملء الأرض نعماً ، فلما ركب راحلته وسار تبعه الناس يطلبون الغنائم وقسمها ، وهو ساكت لا يكلمهم وقد أكثروا عليه إلحاحاً وسؤالاً ، فمر بشجرة فخطفت رداءه ، فالتفت فقال : ردوا علي ردائي ، فلو ملكت بعدد رمل تهامة مغنياً لقسمته بينكم عن آخره ثم لا تجدوني بخيلاً ، ولا جباناً ، ونزل وقسم ذلك المال عن آخر عليهم كله ، لم يأخذ لنفسه منه وبرة . ولم يستأثر بشيء وهذا هو الخلق النبوي الكريم الذي يدعو إلى العدل والمساواة بين الناس دون أثرة أو محابة .

يقول (عليه السلام) : « إياك والإستئثار بما الناس فيه أسوة » .

رابعاً : التغابي .

ونهاه (عليه السلام) أيضاً عن التغابي والتغافل ، وهو أن يتغابى عن أمور منكرة يرتكبها صاحبها سراً ، فتصل إلى الحاكم ويعلم بها لكنه يتغابى عنه ، ويغض النظر أو يتسامح إكراماً له لأنه من أصحاب الوجاهات أو من خاصته وهذا التغافل أو التغابي نهاه عنه (عليه السلام) بقوله : فإنه مأخوذ منك لغيرك وستعاقب عليه .

يقول (عليه السلام) : « وإياك والتغابي عما يُعنى به مما قد وضح للعيون ، فإنه مأخوذ منك لغيرك ، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ويُتتصف منك للمظلوم » .

خامساً : العجلة في الأمور واللجاجة .

نهاه (عليه السلام) عن العجلة في الأمور لأن في العجلة الندامة وبالتأني السلامة ، وبالعجلة تحدث الأخطار وربما توقع الإنسان بأشياء تضره ، وكان الأولى به التأني . . .

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ونهاه أيضاً : عن اللجاجة في إتمام الأمر الذي يريده بالسرعة الفائقة . فلو ترك اللجاجة والإلحاح الزائد بقضاء حاجته واتكل على الله

لإتمام ما يريد بالروية كان الأفضل له .

سادساً : الغضب

ونهاه (عليه السلام) أيضاً : عن الغضب وسرعته ، بأن يملك نفسه عند الغضب وأن لا يحكم على الشيء الذي استوجب غضبه حتى يسكن غضبه فلا يقضي وهو في سورة غضبه لأن الغضبان لا يتمكن من استيعاب الأمور على حقيقتها إذ ربما أصدر حكماً وهو مضطرب الفكر تكون نتائجه سيئة ويلحقه الندم .

يقول (عليه السلام) : « املك حمية أنفك^(١) وسورة حدك^(٢) ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك^(٣) واحترس من كل ذلك بكف البادرة^(٤) وتأخير السطوة ، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك » .

سابعاً : الفقرة الأخيرة من المنهج السياسي

ثم أمره (عليه السلام) بآخر هذا العهد العظيم الشامل لجميع الخطوط العامة التي تركز عليها السياسة العادلة الحكيمة . أمره بالحلم والأناة ، والخوف من الله سبحانه وتعالى ، والإقتداء بالسلف الصالح ليكون بذلك الحاكم العادل ، الذي يسلك طريق الصواب ، ومنهج الحق . . ولا سعيد إلا من أسعده الله .

يقول (عليه السلام) : « والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة ، أو سنة فاضلة ، أو أثر عن نبينا (صلى الله

(١) يقال : فلان حي الأنف إذا كان ألباً يأنف الضيم . ومعناه أملك نفسك عند الغضب .

(٢) سورة حدك : السورة : الحدة - والحد بالفتح - البأس .

(٣) الغرب بفتح وسكون - الحد : تشبيهاً به لحد السيف . معناه : اللسان القاطع ا .

(٤) البادرة : ما يدر من الإنسان من كلام سيء عند الغضب من سباب ونحوه كسطوة يد أو غير ذلك مما يزيد الغضب اتقاداً وتأخير السطوة يطفئ من لب الغضب ويملك الاختيار .

عليه وآله وسلم) أو فريضة في كتاب الله ، فتقتدي بما شاهدته مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا ، واستوثقت به من الحجة لنفسك عليك ، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها .

خاتمة عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر

ختم أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا العهد البليغ الذي يفيض بالحكمة والتدبير والسياسة العادلة ، والوعظة الحسنة بدعاء وابتغال إلى الله سبحانه حيث يقول :

« وأنا أسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة ، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه ، من الإقامة على العذر الواضح إليه ، وإلى خلقه ، مع حسن الثناء في العباد ، وجميل الأثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة^(١) ، وأن يختم لي ولك بالسعادة ، والشهادة ، وإنا إليه راغبون .

والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً . . . والسلام » .

أقول : هذا العهد هو ما كتبه علي أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر النخعي رضي الله عنه لما ولاه على مصر وأعمالها . وهو أطول عهد وأجمع للمحاسن . .

وإذا تأملنا به جيداً نجده أعظم دستور للحكم ، وناموس للتعامل ، ونبراس يهتدي به الراعي والرعية على السواء .

وإذا أمعنا النظر قليلاً نجد هذا العهد أيضاً حريماً أن يكون وثيقة سياسية ، دستورية تتحكم وتضبط موازين الأمور بالعد والقسطاس والمساواة بين الناس . . .

(١) تضعيف الكرامة : زيادتها وجعلها أضعافاً .

ويا حبذا لو أن هذا العهد طبقت تعاليمه في عصرنا الحاضر . .
المضطرب المتمزق . . المتوتر . . الغني بالمتناقضات ، الفقير بالأوفياء
المخلصين من ملوك ، وزعماء ورؤساء . .

ومهما يكن من أمر فإننا نتضرع إلى الباري عز وجل أن يمنحنا
الأمن والإطمئنان ، والإستقرار بالأوطان ، ويهدي القادة لجمع
كلمتهم ، وتوحيد صفوفهم ، وسلوك منهج الحق .



بعض منجزات علي أمير المؤمنين

كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) حريصاً على الدولة الإسلامية شديد الإهتمام في إعلاء شأنها . . وإرساء قواعدها ، ولا يهمه أن يلي أمور المسلمين أي شخص كان بشرط عدم الخروج عن خط الإسلام الذي جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .
ومن استعرض تاريخ الدولة الإسلامية يجد أن علي بن أبي طالب له السبق في كل الميادين ، سياسية كانت أم إدارية . . قتالية أم إجتماعية .

فكان (عليه السلام) القاضي العادل ، والحاكم الصارم الذي لا تأخذ في الله لومة لائم ، والمنفذ للأمور التي يريد على أحسن وجه عندما كانت بيده مقاليد الحكم . . .

ونجده (عليه السلام) عندما لم تكن معه قوة الدولة وليست بيده مقاليدها لم يبخل برأي أو نصيحة . . يبيدها لذوي السلطة . فهو الناصح الأمين للدولة الإسلامية وللمسلمين ، والمتفاني في خدمة الإسلام .

لم يترك (عليه السلام) فرصة للنصيحة أو إبداء الرأي إلى الحاكم إلا وأعطاه رأيه وقدم له نصحه ، وكان يُسمع له بما يقول : ويُعمل برأيه .

- فمن جملة منجزاته (عليه السلام) ما أشار به على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب : هو وضع التأريخ الهجري الباقي إلى يومنا هذا وإلى نهاية التاريخ .

نجد (عليه السلام) عندما دعت الحاجة إلى وضع التاريخ لم يتردد أن يشير على عمر بوضع تاريخ للمسلمين يؤرخون به على مدى أجيالهم ويرجعون إليه في جميع أمورهم .

رُوي أنه جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يخاصم آخر بدين له عليه ، وكان معه صك مكتوب يحل له أداء دينه في شعبان ، ولكن السنة مجهولة ، عندها وضح لعمر وللحاضرين هذا النقص في تحديد الأعوام على وجه ثابت ، وشعروا بحاجتهم إلى استنباط وسيلة لضبط التاريخ . وتضاربت الآراء فقال أحدهم نفعل كما تفعل الفرس فإنهم يؤرخون بولاية ملوكهم كلما هلك ملك أرخوا بمن هو بعده . وقال آخر : نؤرخ بتاريخ الروم من زمان الإسكندر وقال آخر أرخوا بمولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بل بمبعثه . . . فقال علي بن أبي طالب : نؤرخ من يوم هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أرض الشرك ، ففعل عمر ذلك . وأخذوا برأي علي بن أبي طالب السديد .

وبدأ الناس من ذلك الوقت يؤرخون بيوم الهجرة^(١) .

- ومن جملة منجزات علي (عليه السلام) أيضاً : - بيت القصص - فقد روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : أنه كان لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) بيت سماه بيت القصص يلقي الناس فيه رقاعهم . . الخ .

(١) ذكره الحاكم في المستدرک بسنده عن سعيد بن المسيب ، وذكره ابن الأثير أيضاً في تاريخ عن سعيد بن المسيب . وروى ذلك السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة والأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه الإمام علي بن أبي طالب وغيرهم .

سلام الله عليك يا أبا الحسن ما أعظمك وأعدلك . . من حرصك على العدل ووصول أصوات المتظلمين لرفع شكائاتهم إليك ، جعلت لهم بيتاً خاصاً يلقون به رقاعاً وقصاصات تحتوي على دعاوهم وشكائاتهم تسهلاً لهم ليكون ميسوراً لكل من يريد رفع مظلمته إليك . . .

فلا حجاب ولا مكوس . . ولا رشوات . . ولا وساطات تحول دون وصول الأمر لك . . . بل يُرفع الأمر إليك بلا واسطة ، وهذا منتهى العدل والمساواة بين الناس . .

وفي رواية ابن أبي الحديد أيضاً : أن المهدي محمد بن هارون الواصل من خلفاء بني العباس فعل ذلك اقتداءً بأمر المؤمنين علي (عليه السلام) ^(١) .

- ومن منجزات أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعد بيت القصص هو جعل مكان خاص في مسجد الكوفة للمرافعة - دكة القضاء - ليسهل على الناس الوصول إليه بلا واسطة . والتراتف أمامه علانية أمام الناس ، لينفذ الحكم على مرأى ومسمع من الجمهور . وكان علي أقضى الناس وأوصلهم إلى حقوقهم .

- ومن جملة منجزاته (عليه السلام) : أمره بضرب السكة الإسلامية - فقد روى السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية . . . في صفحة ٩٠٤ من الطبعة الثالثة والعشرين عند الكلام على المسكوكات العربية : ما تعريه ملخصاً :

« إن أول من أمر بضرب السكة الإسلامية هو الخليفة علي بن أبي طالب بالبصرة سنة ٤٠ من الهجرة الموافقة لسنة ٦٦٠ مسيحية . ثم أكمل الأمر عبد الملك الخليفة سنة ٧٦ من الهجرة الموافقة لسنة ٦٩٥ مسيحية » .

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٧ ص ٨٧ .

بعض أقوال أمير المؤمنين علي وحكمه

ما عساي أن أكتب عن رجل تحدر من أكرم سلالة ، وانتمى إلى أطيب عرق ، واختص بقرابته من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان ابن عمه ، وزوج ابنته فاطمة سيد نساء العالمين . ربي في حجره . . وكان أيضاً كاتب وحيه ووزيره ، وتلميذه الذي تلقى عنه الفصاحة والبلاغة ، والعلم والمعرفة ، وتخلق بأخلاقه ، وتفقه عنه في الدين . . الخ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أنا مدينة العلم وعلي بابها . . » .

وقال علي (عليه السلام) : « علمني رسول الله ألف باب يفتح لي من كل باب ألف باب . . »

وبعد أن انتهينا من جولتنا في منعطفات التاريخ وألقينا نظرة على بعض ما جرى في بعض حقبة نقف الآن في ختام كتابنا هذا عند سيرة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وحياته التي كانت مفعمة بالأحداث مليئة بجلال الأمور .

فعلى عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ناضل المشركين . . . واليهود . . . وبعد وفاة النبي لقي ما لقي من الظلم والحيف من استلاب حقه الشرعي في الخلافة طوى أضالعه على الهمة

والأسى وسكت ولم يقم بأي خلاف حفظاً على الإسلام ووحدة المسلمين .

وعندما تسلّم مقاليد الحكم لقي أيضاً من الخطوب والمحن ما لا تترك عليه الإبل كما أسلفنا . وقد وصفه الحسن البصري بقوله :

كان سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة ،
وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) ، لم يكن بالنزوة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا
بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه برياض موقنة ،
وأعلام مشرقة . . . الخ .

كل هذه المزايا التي ذكرنا بعضها وما صاحبها من نفح إلهي ،
وإلهام قدسي ، مكنت لأمير المؤمنين علي من وجوه البيان وطلاقة
اللسان . وملكته أعنة الكلام في معان بديعة ولفظ سائغ عذب ،
فجاءت خطبه رائعة ، ورسائله جامعة ، ووصايا نافعة ، وكل كلمة
يتكلمها واضحة تغدو حكمة ، وكل حديث يحدّثه يصبح نبأً يضيء
ظلمات الجهل ، فترويه الرواة ، ويحفظه العلماء ، ويدرسه الدارسون .
على رغم ما بذل أعداؤه من الجهد في إخفاء فضائله .

ونحن الآن وقد أشرفنا على نهاية الكتابة في هذا الفصل من سيرة
علي (عليه السلام) نأتي إلى ذكر بعض من حكمه وأقواله ومواعظه .
إتماماً للفائدة .

الحث على طلب العلم

من كلام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي^(١) .

قال كميل : أخذ بيدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) فخرج بي إلى ناحية الجبانة ، فلما أسحر تنفس الصعداء ، ثم قال :

« يا كميل إن هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، فاحفظ عني ما أقول لك :

(١) في وسائل الشيعة للحر العاملي : ج ٢٠ ص ٣٠٤ كميل بن زياد النخعي من أصحاب علي والحسين (عليهما السلام) قاله الشيخ : وقال ابن داود : من خواصهما وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : كميل بن زياد كان من أصحاب علي (عليه السلام) وشيعته وخاصته ، وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة . وكان كميل عامل علي (عليه السلام) على هيت . وفي حاشية وسائل الشيعة أيضاً : كميل بن زياد النخعي هو المنسوب إليه الدعاء المشهور - دعاء كميل - وهو من خواص أصحاب علي (عليه السلام) قتله الحجاج بن يوسف الثقفي لعنه الله ، وكان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قد أخبره بأنه سيقتله . وهو من أعظم خواصه (عليه السلام) : ذكره الذهبي بقوله : كميل بن زياد بن نبيك بن هيثم النخعي ، حدث عن علي (عليه السلام) ، شهد صفين مع علي (عليه السلام) ، وكان شريفاً ، مطاعاً ، ثقة ، عابداً على تشيعه ، قليل الحديث قتله الحجاج . الخ وله ذكر جميل في أغلب المعاجم الرجالية ، والتواريخ . وقبره على يمين الطريق من الكوفة إلى النجف الأشرف مزار معروف .

الناس ثلاثة : عالم رباني . . ومتعلم على سبيل نجاة . . وهمج
رعاع أتباع كل ناعق ، مع كيل ريح يميلون ، لم يستضيئوا بنور العلم ،
ولم يلجأوا إلى ركن وثيق .

يا كميل : العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال . . . والمال تنقصه
النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، ومنفعة المال تزول بزواله .

يا كميل : محبة العلم دين يدان به ، يكسب الإنسان الطاعة في
حياته ، وجهيل الأحدث بعد وفاته . . والعلم حاكم والمال محكوم عليه .

يا كميل : هلك خزان الأموال وهم أحياء . . . والعلماء باقون ما
بقي الدهر . . أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة .

ها إن ها هنا لعلماً جماً . . وأشار بيده إلى صدره . . لو وجدت له
حملة^(١) بلى . . . أجد لقناً غير مأمون^(٢) يستعمل آلة الدين للدنيا ،
ويستظهر بنعم الله على عباده ، وبحججه على أوليائه . أو منقاداً لحملة
الحق ولا بصيرة له في أحنائه^(٣) ينقذح الشك في قلبه لأول عارض من
شبهة ، لا إلى هؤلاء . . ولا إلى هؤلاء . . .

أو منهوماً باللذة سلس القياد للشهوة . . أو مغرمماً بالجمع
والإدخار ليسوا من رعاة الدين في شيء أقرب شبهاً بهم الإنعام
السائمة . .

كذلك يموت العلم بموت حامليه . . اللهم بلى . . لا تخلو
الأرض من قائم بحجة الله . . . أما ظاهراً مشهوراً ، وأما خائفاً مغموراً
لثلا تبطل حجج الله وبيئاته ، حتى يودعوها نظراءهم ، ويزرعوها في
قلوب أشباههم .

(١) وفي تاريخ اليعقوبي : لعلماً جماً لواصلت له حملة .
(٢) في اليعقوبي أيضاً : اللهم إلا أن أصيب لقناً غير مأمون .
(٣) وفي اليعقوبي : إحيائه .

هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان حتى باشروا روح اليقين ،
فاستلنوا ما استخشن المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ،
وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالرفيق الأعلى . . .

يا كميل أولئك خلفاء الله في أرضه^(١) والدعاة إلى دينه . . .

آه . . . آه . . . شوقاً إليهم . . . انصرف يا كميل إذا شئت^(٢) .

وقال (عليه السلام) « لو أن حملة العلم حملوه لحقه لا حبههم الله
وملائكته ، وأهل طاعته من خلقه ، ولكنهم حملوه لطلب الدنيا ،
فمنعهم الله وهانوا على الناس .

وقال (عليه السلام) : « العالم أفضل من الصائم ، القائم ،
المجاهد . وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلّا خلف
منه » .

وقال (عليه السلام) : « قيمة كل امرئ ما يحسن . . . » .

وقال (عليه السلام) : « أيها الناس لا ترجوا إلّا ربكم . . . ولا
تخشوا إلّا ذنوبكم . . . ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم . . . ولا
يستحي من يعلم أن يعلم . . . واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة
الرأس من الجسد » .

وقال (عليه السلام) أيضاً :

ما الفخر إلّا لأهل العلم أنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعيش حياً به أبداً	الناس موتق وأهل العلم أحياء

(١) في تاريخ اليعقوبي : أولئك أولياء الله من خلقه .

(٢) إن كلمة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لكميل ذكرها ابن عبد ربه الأندلسي في
العقد الفريد . كذلك ذكرها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة . واليعقوبي في
تاريخه وغيرهم من أهل التاريخ وأصحاب السير في اختلاف بسيط في بعض الألفاظ
والكلمات .

وقال (عليه السلام) : كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع .

وقال (عليه السلام) : العلم وراثه كريمة ، والآداب حلل مجددة ، والفكر مرآة صافية .

وقال : أوضع العلم ما وقف على اللسان ، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان .

وقال : رب عالم قد قتله جهله ، وعلمه معه لم ينفعه .

من حكم علي أمير المؤمنين ومواعظه

كلام علي (عليه السلام) كله حكم ومواعظ ، ولو أردنا الإحاطة بجميع حكمه ومواعظه لاحتجنا إلى مجلدات . . . وأنى للكتب والمجلدات أن تتسع لفيض علمه . . . ولو أردنا الإحاطة . . . يكون مثلنا كمثل من يغترف من البحر . . . إذ أن علمه (عليه السلام) بحر زاخر ، وكلامه درر وجوهر .

وقد اختصرنا في هذا الموضوع على ذكر بعض حكمه ومواعظه ، وعذرنا في هذا طريقتنا عدم الإطالة .

قال (عليه السلام) : يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم . . . معاشر الناس . . . اتقوا الله فكم من مؤمل ما لا يبلغه . . . وبأن ما لا يسكنه ، وجامع ما سوف يتركه . . . ولعله من باطل جمعه . . . ومن حق منعه . . . أصابه حراماً . . . واحتمل به آثاماً . . . فناء بوزره . . . وقدم على ربه أسفاً لاهفاً قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

وقال (عليه السلام) : للظالم من الرجال ثلاث علامات : ١ - يظلم من فوقه بالمعصية ٢ - ومن دونه بالغلبة ٣ - ويظهر القوم الظلمة .

وقال (عليه السلام) لبعض أصحابه : لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك وولذك . . فإن يكن أهلك وولذك أولياء الله . . فإن الله لا يضيع أوليائه . . . وإن يكونوا أعداء الله فما همك وشغلك بأعداء الله . . . !

وقال (عليه السلام) : من أُعطي أربعاً لم يُحرم أربعاً . . .
 - من أُعطي الدعاء . . لم يُحرم الإجابة . .
 - ومن أُعطي الإستغفار . . لم يُحرم المغفرة . .
 - ومن أُعطي الشكر لم يُحرم الزيادة . .
 - ومن أُعطي التوبة لم يحرم القبول . . .

وتصديق ذلك كتاب الله تعالى . قال الله عز وجل في الدعاء : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ (١) .

وقال في الإستغفار : ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ (٢) .

وقال في الشكر : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (٣) .

وقال في التوبة : ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً ﴾ (٤) .

قال (عليه السلام) : يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلّا رسمه (٥) ، ومن الإسلام إلّا اسمه . . مساجدهم يومئذٍ

(١) سورة المؤمن : الآية ٦٠ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٠٩ .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٧ .

(٤) سورة النساء : الآية ١٧ .

(٥) أقول : سلام الله عليك يا أمير المؤمنين ما أعظمك . . وأعظم كلامك الذي يعد من المعجزات والأخبار بالمغيبات . كأنك كنت تنظر في زمانك الماضي إلى وقتنا الحاضر حيث قلت : « يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلّا رسمه . . الخ » . =

عامرة من البنى ، خراب من الهدى .

... سكانها وعمارها شر أهل الأرض ... منهم تخرج الفتنة ..
وإليهم تأوي الخطيئة .. يردُّون من شدِّ عنها فيها .. ويسوقون من
تأخر عنها إليها ، في حديث شريف : « فبي حلفت لأبعثن على أولئك
فتنة أترك الحليم فيها حيران »^(١) .

وقال (عليه السلام) لجابر بن عبد الله الأنصاري :

يا جابر قوام الدنيا بأربعة :

- عالم مستعمل علمه .. وجاهل لا يستنكف أن يتعلم .. وجواد
لا يبخل بمعروفه .. وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ..

فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ...

وإذا بخل الغني بمعروفه ، باع الفقير آخرته بدنياه ..

يا جابر : من كثرت نعم الله عليه ، كثرت حوائج الناس إليه ..
فمن قام لله فيها بما يجب ، عرضها للدوام والبقاء .. ومن لم يقم فيها
بما يجب عرضها للزوال والفناء .

وقال (عليه السلام) : « يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلّا

= وها نحن الآن أصبحنا لا نجد القرآن الكريم في أيدي المسلمين يتلونه للتعلم
والإستفادة منه .. بل نجده بغلافه الجميل في الواجحات ، في دور النشر والمكتبات
وليس في أيدي المسلمين يتعظون به .. بل أصبح رمزاً للإخبار عن إنسان قد مات ..
أو لتشجيع الجنائز عبر مكبرات الصوت وقد نسي الناس ما يشتمل عليه القرآن من
علوم وآداب ومواعظ وحكم ولكل ما يحتاجه المرء في جميع مراحل حياته في دنياه
وآخرته فهو أعظم دستور يجب اتباعه لأنه من لدن عزيز حكيم .

(١) قوله (عليه السلام) : « مساجدهم يومئذٍ عامرة .. الخ » وها نحن اليوم ننظر إلى
ضخامة المساجد وقلة المصلين وغبابة بعض أئمة المساجد وفراغ الكثير منهم من
العلوم الدينية التي تمكنهم من هداية الناس وإرشادهم حتى أصبح الناس في هذا
العصر الحكيم فيه حيران والمؤمن مهان .

الماحل^(١) . . . ولا يُظَرَّف فيه إلَّا الفاجر . . . ولا يضعف فيه إلَّا
المنصف . . . يعدُّون الصدقة فيه غرمًا . . . وصلة الرحم منَّا . . .
والعبادة استطالة على الناس . . . فعند ذلك يكون السلطان بمشورة
الإماء ، وإمارة الصبيان ، وتدبير الخصيان .

(١) الماحل : الماكر . . ولا يعد الناس الإنسان ظريفاً إلَّا إذا كان خليعاً ماجناً ماكرًا وإذا
رأوا إنساناً عنده ورع وإنصاف عدوه ضعيفاً . وليس الشهم إلَّا الظالم . . الخ .

موعظة ناجعة ، وحكمة بالغة

قال علي (عليه السلام) لرجل سأله أن يعظه :

« لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل . . ويرجو التوبة بطول الأمل . . . يقول في الدنيا بقول الزاهدين . . . ويعمل فيها بعمل الراغبين . . إن أعطي فيها لم يشبع ، وإن منع منها لم يقنع . . يعجز عن شكر ما أوتي ، ويتغنى الزيادة فيما بقي . . ينهى ولا ينتهي ، ويأمر الناس بما لم يأت .

يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ، ويبغض المذنبين وهو أحدهم . . يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقيم على ما يكره الموت من أجله .

إن سقم ظل نادماً ، وإن صح أمن لاهياً . . يعجب بنفسه إذا عوفي . . . ويقنط إذا ابتلي . . وإن أصابه بلاء دعا مضطراً ، وإن ناله رخاء أعرض مغترأ .

تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن . . يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله .

إن استغنى بطر وفتن . . . وإن افتقر قنط ووهن . . يقصر إذا عمل ، ويبالغ إذا سأل . . إن عرضت له شهوة أسلف المعصية . وسوف

التوبة ، وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة^(١) .
يصف العبرة ولا يعتبر . . . ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ^(٢) . . .
فهو بالقول مدل ، ومن العمل مقل .
ينافس فيما يفنى ، ويسامح فيما يبقى^(٣) يرى الغنم مغرماً . والغرم
مغناً . . يخشى الموت ولا يبادر الفوت .
يستعظم من معصية غيره ، ما يستقل أكثر منه من نفسه . .
ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره ، فهو على الناس طاعن ،
ولنفسه مداهن .
اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء . . يحكم على
غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره . . .
يُرشد نفسه ، ويغوي غيره فهو يطاع ويعصى ، ويستوفي ولا
يُوفي ، ويخشى الخلق في غير ربه ، ولا يخشى ربه في خلقه .

(١) « وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة » هذا المعنى موجود في كثير من الناس بحيث
إذا أصابت الإنسان محنة أو نزلت به نازلة نسي نعم الله عليه من قبل وقال ما يقارب
الكفر من التسخط والتبرم والتأفف ، وهذا الفعل أو القول من الاستعظام وعدم
الرضى بقضاء الله وقدره هو الانفراج عن شرائط الملة .
(٢) « يبالغ في الموعظة ولا يتعظ » كثير من الناس يأمر بالموعظة ولا يتعظ ، وينهى الناس
عن فعل ما لا يحسن ولا ينتهي ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا المعنى في كتابه
الكريم بقوله : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا
تعقلون ﴾ سورة البقرة : الآية ٤٤ وقد أصبح الكثير في هذه الأيام من هذا النوع من
البشر . فترى الرجل واعظاً لغيره ناسياً نفسه ولهذا لا يسمع قوله لأنه مغاير لفعله .
قال الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذو الضنا	كيا يصح به وأنت سقيم
فابدأ بنفسك فانها عن غيرها	فلماذا انتهت عنه فأنت حكيم
وهناك يسمع ما تقول ويقتدى	بالرأي منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم

(٣) « ينافس فيما يفنى » في شهوات الدنيا ولذاتها . ويسامح فيما يبقى من ثواب الآخرة .

وقال (عليه السلام) :

« من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه . . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم » .

وقال (عليه السلام) لكميل :

« يا كميل . . . مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم . . ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلاّ وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً . فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل » .

وقال (عليه السلام) :

« عجبت للبخیل يستعجل الفقر الذي منه هرب ، ويفوته الغنى الذي إياه طلب ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء .

وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ، ويكون غداً جيفة . . .

وعجبت لمن شك في الله ، وهو يرى خلق الله . . .

وعجبت لمن نسي الموت ، وهو يرى من يموت . .

وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى ، وهو يرى النشأة الأولى . . .

وعجبت لعامر دار الفناء ، وتارك دار البقاء » .

وقال (عليه السلام) :

الجود حارس الأعراض . . والحلم فدام^(١) السفيه . . والعفو

(١) الفدام : جمع فدم . . مصفاة صغيرة توضع على فم الإبريق والفدامة ما يوضع على =

زكاة الظفر . . والسلو عوضك ممن غدر . . والإستشارة عين الهداية . .
وقد خاطر من استغنى برأيه . . والصبر يناضل الحدثان^(١) . . . والجزع
من أعون الزمان . . وأشرف الغنى ترك المني . . وكم من عقل أسير
تحت هوى أمير . . . ومن التوفيق حفظ التجربة . . والمودة قرابة
مستفادة ، ولا تأمنن ملولا .

وقال (عليه السلام) :

بكثرة الصمت تكون الهيبة . . وبالنصفة يكثر المواصلون . .
وبالإفضال تعظم الأقدار . . وبالتواضع تتم النعمة . . وباحتمال المؤن
يجب السؤدد . . . وبالسيرة العادلة يقهر المناوىء . . وبال حلم عن السفية
تكثر الأنصار عليه . . والإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل
بالأركان . .

وقال (عليه السلام) :

فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك . . والصلاة تنزيهاً عن
الكبر . . . والزكاة تسبيهاً للرزق . . والصيام ابتلاءً لأخلاص الخلق . .
والحج تقربة للدين . . . والجهاد عزاً للإسلام . . والأمر بالمعروف
مصلحة للعوام . . . والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء . . وصلة الرحم
منهاة للعدد . . . والقصاص حقناً للدماء . . وإقامة الحدود إعظاماً
للمحارم . . وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل . . ومجانبة السرقة إيجاباً
للعفة . . وترك الزنا تحصيناً للنسب . . وترك اللواط تكثيراً للنسل ،
والشهادة استظهاراً على المجاحدات . . . وترك الكذب تشريفاً
للصدق . . والسلام أماناً من المخاوف . . والأمانات نظاماً للأمة . .
والطاعة تعظيماً للإمامة . . .

= فم البعير لمنعه من الأكل والعض والمراد . . بالحلم تربط فم السفية وتمنعه من
الكلام .

(١) الحدثان : نوائب الدهر .

وقال (عليه السلام) :

كم من مستدرج بالإحسان إليه . . ومغرور بالستر عليه . . .
ومفتون بحسن القول فيه . . . وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء
له .

وقال (عليه السلام) :

من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله سائحاً . . .
ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكوره . .
ومن أتى غنياً فتواضع لغناه ، ذهب ثلثا دينه . . .
ومن لهج قلبه بحب الدنيا إلتاط قلبه منها بثلاث . . . هم لا
يغنيه . . وحرص لا يتركه . . وأمل لا يدركه .

وقال (عليه السلام) :

كفى بالقناعة ملكاً وبحسن الخلق نعيماً .

بعض كلمات علي القصار

علي بن أبي طالب (عليه السلام) سيد الفصاحة وأمير البيان بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تنضح البلاغة من كلماته القصار أو الطوال على حد سواء ، فجميعها درر وحكم ، وكل ما ينطق به نجده مواعظ ، وتعاليم قيمة على جميع الأصعدة ، أخلاقية كانت أو علمية . . . إجتماعية أو سياسية دنيوية أو أخروية . . .

لذلك فإن أي كاتب أو مؤلف مهما أراد أن يوجز أو يقتصر على بعض ما جاء عن لسانه (عليه السلام) دون البعض الآخر يرى نفسه مقصراً وفي حيرة من أمره أمام ترك الفوائد التي حوتها خطبه وكلماته والتي ألقاها في مناسبات مختلفة فهي بأجمعها تتضمن فوائد عظيمة تعود على المجتمع الإنساني بالفائدة والنفع .

ولا أغالي إذا قلت وأنا أتأمل في معاني كلماته (عليه السلام) لأنتقي منها ما أدونه في هذا لكتاب : أي أشعر بالعجز لأنني أكون كأنني أسلخ الدر عن الدر ، والياقوت عن الياقوت .

ولا يمكنني أيضاً وأنا أكتب عن سيرته (عليه السلام) ألا أن أذكر ولو لمحة موجزة عن بعض ما أتخف به البشر من تعاليم نافعة وإرشادات قيمة . .

قال (عليه السلام) : « إذا أقبلت الدنيا على قوم أعارتهم محاسن غيرهم ، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم » .

وقال (عليه السلام) : « خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم ، وإن عشتهم حنوا إليكم » .

وقال : إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه .

وقال : أعجز الناس من عجز عن اكتساب الأخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

وقال : من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف ، والتنفيس عن المكروب .

وقال : ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر من فلتات لسانه ، وصفحات وجهه .

وقال : فاعل الخير خير منه ، وفاعل الشر شر منه .

وقال : من أسرع إلى اناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون .

وقال : من أطال الأمل ، أساء العمل .

وقال : لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحق وراء لسانه .

وقال : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللثيم إذا شبع .

وقال : أولى الناس بالعفو ، أقدرهم على العقوبة .

وقال : السخاء ما كان ابتداءً ، فإذا كان عن مسألة فحياء وتذمم .

وقال : لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ، ولا ميراث كالأدب ، ولا ظهير كالمشاورة .

وقال : الصبر صبران : صبر على ما تكره ، وصبر عما تحب .

- وقال : الغنى في الغربة وطن ، والفقر في الوطن غربة .
- وقال : القناعة مال لا ينفد .
- وقال : المال مادة الشهوات .
- وقال : من حذر كمن بشر .
- وقال : اللسان سبع ، إن خلي عنه عقر .
- وقال : أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام .
- وقال : فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها .
- وقال : لا تستح من إعطاء القليل ، فإن الحرمان أقل منه .
- وقال : العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى .
- وقال : إذا تم العقل نقص الكلام .
- وقال : قيمة كل امرئ ما يحسنه .
- وقال : من أصلح ما بينه وبين الله ، أصل الله ما بينه وبين الناس .
- وقال : ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه .
- وقال : من كان له من نفسه واعظ ، كان عليه من الله حافظ .
- وقال : إضاعة الفرصة غصة .
- وقال : مثل الدنيا كمثل الحية لين مسّها ، والسّم النّاقع في جوفها ، يهوي إليها الغر الجاهل ، ويحذرّها ذي اللب العاقل .
- وقال : من قصر في العمل ، ابتلي بالهم .
- وقال : عظم الخالق عندك ، يصغر المخلوق في عينك .
- وقال : الدنيا دار عمر لا دار مقر ، والناس فيها رجلان : رجل باع نفسه فأوبقها ، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها .

وقال : لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكبته ، وغيبته ، ووفاته .

وقال : استنزلوا الرزق بالصدقة .

وقال : ما عال من اقتصد ، وقلة العيال أحد اليسارين .

وقال : التودد نصف العقل ، والههم نصف الهرم .

إلى آخر ما هنالك من الدرر المكنونة التي يعجز عنها الحصر ويصعب الإحاطة بها إذ تحتاج إلى مجلدات ضخمة . ولهذا اختصرنا على بعضها من باب : ما لا يدرك كله ، لا يترك كله .

من شعر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

سبق منا الكلام في ذكر بعض من سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وبعض ما نقل عنه وما وعاه التاريخ مكتفين في ذلك بالكلمات القصار في المواعظ والحكم ، والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب والمراسلات ، وذلك لتجنب الإطالة وإن كان في الإطالة من الفوائد الجسيمة التي لا تحصى . . لما تحتويه كلماته (عليه السلام) من جواهر الكلام . . والبلاغة . . والفصاحة . . وثواب الكلم الدينية والدنيوية . .

هذا في مجال الخطب والأحاديث ، وأما في مجال الشعر فإنك ترى في شعره من الفوائد التي لها الصلة في تثقيف الإنسان وسلوكه الإخلاقي والديني ، سواء في ذلك في المدح . . أو الرثاء . . أو الحث على طلب العلم . . أو في مشعبات الحياة الاجتماعية ومتطلباتها .

وعلى كل حال فكلامه (عليه السلام) عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي . وكله درر وحكم . ونحن الآن نذكر بعض ما قاله من الشعر أو ما نسب إليه غير ملتزمين بإيراد ذلك حسب حروف الهجاء ولا بذكر المواضيع تفصيلاً لأن غرضنا ذكر بعض ما ورد عنه :

قال مخاطباً ولده الحسن (عليهما السلام) :

ترد رداء الصبر عند النوائب
وكن صاحباً للحلم في كل مشهد
وكن حافظاً عهد الصديق وراعياً
وكن شاكراً لله في كل نعمة
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه
وكن طالباً للرزق من باب حله
وصن منك ماء الوجه لا تبذلنه
وكن موجباً حق الصديق إذا أتى
وكن حافظاً للوالدين وناصرأ

تنل من جميل الصبر حسن العواقب
فما الحلم إلا خير خدن وصاحب
تذق من كمال الحفظ صفو المشارب
يثبك على النعمى جزيل المواهب
فكن طالباً في الناس أعلى المراتب
يضاعف عليك الرزق من كل جانب
ولا تسأل الأرذال فضل الرغائب
إليك ببر صادق منك واجب
لجارك ذي التقوى وأهل التقارب^(١)

وقال (عليه السلام) في العقل والحسب :

ليس البلية في أيامنا عجباً
ليس الجمال بأثواب تزيننا
ليس اليتيم الذي قد مات والده
وقال (عليه السلام) أيضاً :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً
إن الفتى من يقول ها أناذا
وقال (عليه السلام) :

إذا كنت في نعمة فارعها
وحافظ عليها بتقوى الإله
فإن تعط نفسك آمالها
حلاوة دنياك مسمومة
محامد دنياك مدمومة
إذا تم أمر بدا نقصه

فإن المعاصي تزيل النعم
فإن الإله سريع النقم
فعند مناهي محل الندم
فلا تأكل الشهد إلا بسم
فلا تكسب الحمد إلا بدم
توق زوالاً إذا قيل تم

(١) ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : منشورات مطبعة الغري في النجف - ص ٩ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٠ .

وكم قدر دب في غفلة فلم يشعر الناس حتى هجم^(١)

وقال (عليه السلام) :

حرّض بنيك على الآداب في الصغر
وإنما مثل الآداب تجمعها
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها
إن الأديب إذا زلت به قدم
الناس اثنان ذو علم ومستمع
وإع وسائرهم كاللغو والعكر^(٢)

وقال (عليه السلام) يذكر مبيته على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة حينما تأمرت قريش على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد خرج إلى الغار وبات على مكانه ووقاه بنفسه :

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصى
محمد لما خاف أن يمكروا به
وبت أراعيهم متى ينشرونني
وبات رسول الله في الغار آمناً
أردت به نصر الإله تبتلاً
وأضمّرت حتى أوسد في قبري^(٣)

وقال (عليه السلام) بعد رجوعه من أحد وقد خضب الدم يده إلى كتفه ومعه ذو الفقار ، فناوله فاطمة (عليها السلام) وقال : خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم . وأنشأ يقول :

أفأطم هاك السيف غير ذميم
فلمست برعديد ولا بمليم
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد
وطاعة رب بالعباد عليم

(١) ديوان أمير المؤمنين علي : ص ٧٠ وقد أورد هذه الأبيات ابن الصباغ في الفصول المهمة أيضاً . وفي رواية : ترّقب .

(٢) ديوان أمير المؤمنين علي : ص ٣٦ .

(٣) ديوان أمير المؤمنين علي : ص ٣٣ . كذلك روى الأبيات الشيخ الطوسي في الأمالي ورواه الحاكم في المستدرک .

أميطي دماء القوم عنه فإنه سقى آل عبد الدار كأس حميم^(١)

وقال (عليه السلام) في الفرج بعد الضيق وقد أورد هذه الأبيات الخطيب البغدادي في تاريخه وغيره :

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واستقرت وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بهافر ج قريب

وقال (عليه السلام) من أبيات أورها جامع الديوان ، وصاحب جواهر المطالب في الصبر على الضيق :

إني أقول لنفسي وهي ضيقة وقد أناخ عليها الدهر بالعجب
إلى أن يقول :

سيفتح الله عن قرب بنافعة فيها لمثلك راحات من التعب

ولنستمع إليه (عليه السلام) وقد وقف على قبر الزهراء (عليها السلام) بعد دفنها يقول :

ما لي وقفت على القبور مسلماً قبر الحبيب فلم يرد جوابي
أحبيب ما لك لا ترد جوابنا أنسيت بعدي خلة الأحباب
قال الحبيب : وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم وحجبت عن أهلي وعن أتراب
فعليكم مني السلام تقطعت مني ومنكم خلة الأحباب

وقال (عليه السلام) :

ذهب الذين عليهم وجدي وبقيت بعد فراقهم وحدي

(١) راجع الإرشاد للشيخ المفيد : وقد أورد الطبري في تاريخه هذه الأبيات باختلاف في بعض الكلمات وزاد عليها :

وسيفي بكفي كالشهاب أهزه أجذبه من عاتق وصميم
فما زلت حتى فض ربي جموعهم وحتى شفيننا نفس كل حليم

من كان بينك في التراب وبينه
لو كشفت للمرء أطباق الثرى
لم يعرف المولى من العبد
من كان لا يطأ التراب برجله
وقال (عليه السلام) في رثاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

كنت السواد لناظري
من شاء بعدك فليمت
فعليك يبكي الناظر
وقال (عليه السلام) :
أرى علل الدنيا علي كثيرة
لكل اجتماع من خليلين فرقة
وصناحبها حتى الممات عليل
وإن افتقادي واحداً بعد واحد
وكل الذي دون الممات قليل
دليل على أن لا يدوم خليل^(١)

(١) عن الديوان المنسوب لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) وقد أورده القاضي في دستور معالم الحكم . وفي بعض الروايات مكتوب وأن افتقادي فاطماً بعد أحمد . الخ .

في النصائح

مما نسب إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من الشعر القصيدة المشهورة بالزينية وقد رأيت أن أذكر قسماً منها لما في أعماقها من معاني ذات مضامين عالية . .

قال (عليه السلام) :

ذهب الشباب فما له من عودة	وأق المشيب فأين منه المهرب
طيف ألم إليك لم تحفل به	فترى له أسفاً ودمعاً يسكب
دع عنك ما قد فات في زمن الصبا	واذكر ذنوبك وابكها يا مذب
واخش مناقشة الحساب فإنه	لا بد يحصى ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته	بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعب
والروح فيك وديعة أودعتها	ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها	دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما	أنفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ما حصلته وجمعه	حقاً يقينا بعد موتك ينهب
تباءً لدار لا يدوم نعيمها	ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصائحاً أولاكها	بر لبيب عاقل متأدب
صحب الزمان وأهله مستبصراً	ورأى الأمور بما تؤوب وتعقب

أهدى النصيحة فاتعظ بمقاله
لا تأمن الدهر الصروف فإنه
وكذلك الأيام في غدواتها
فعليك تقوى الله فالزمها تفز
واعمل لطاعته تنل منه الرضا
فاقنع ففي بعض القناعة راحة
وإذا طمعت كسيت ثوب مذلة
إلى قوله (عليه السلام) . . .

والقى عدوك بالتحية لا تكن
واحذره يوماً إن أتى لك باسماً
إن الحقود وإن تقادم عهده
وإذا الصديق رأيته متملقاً
لا خير في ود امرئ متملق
يلقاك يحلف أنه بك واثق
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
واختر قرينك واصطفيه مفاخرأ
إن الغني من الرجال مكرم
ويش بالترحيب عند قدومه
والفقر شين للرجال فإنه
واخفض جناحك للأقارب كلهم
ودع الكذب فلا يكن لك صاحباً
وذر الحسود ولو صفا لك مرة

- (١) اللوذعي : الذكي الذهن ، الحديد الفؤاد كأنه يلذع من ذكائه : الفصيح اللسان .
والأدرب العاقل الحاذق بصناعته . المنجد في اللغة .
(٢) أشعب الرجل : أي مات وأشعبت نفسه إذا ماتت . لسان العرب لابن منظور .
أقول : المراد من قوله : (فلقد كسي ثوب المذلة أشعب) صاحب الطمع يذل نفسه
ويهدر كرامته في سبيل طمعه . وأشعب صفة لكل رجل ماتت نفسه .

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن
واحفظ لسانك واحترس من لفظه
والسر فاكتمه ولا تنطق به
واحرص على حفظ القلوب من الأذى
إن القلوب إذا تنافروا ودها
وكذاك سر المرء إن لم يطوه
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد
ويظل ملهوفاً يروم تحيلاً
كم عاجز في الناس يؤق رزقه
أدى الأمانة والخيانة فاجتنب
وإذا بليت بنكبة فاصبر لها
وإذا أصابك في زمانك شدة
فادعو لربك إنه أدنى لمن
كن ما استطعت عن الأنعام بمعزل
واجعل جليسك سيذاً تحظى به
واحذر من المظلوم سهماً صائباً
وإذا رأيت الرزق ضاق ببلدة
فارحل فأرض الله واسعة الفضا
إلى آخر ما في هذه القصيدة التي هي كنظم الدر لما تحويه من
معان جليلة ، وحكم وآداب ونصائح مفيدة ، التي لو عمل بها الإنسان
لسار في حياته على جادة الصواب وفاز بالأمان والإطمئنان في الدنيا
والآخرة .

(١) كسرهما لا يشعب : لا يلتئم .

بعض ما قيل من الشعر في مدح علي (عليه السلام)

تسابق الشعراء ، وتبارى الأدباء في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أمير البلغاء ، وذكر سجاياه الفاضلة ، وتعداد مناقبه ، وما حباه الله سبحانه وتعالى به من النعم والكرامات . .

فمن الشعراء والأدباء من أطال وأسهب . . . ومنهم من اختصر وأوجز . . ولم يتمكنوا من بلوغ الغاية التي يريدونها من استيعاب مناقبه ومعاليه .

وما قيل في مدح أمير المؤمنين علي من الشعر كثير . . وكثير . . فما حدّ الواصف أو المادح له (عليه السلام) أن يقول أو يصف رجلاً حباه الله بمميزات جمّة . منها : أنه ولد في جوف الكعبة المقدسة . ولم يولد فيها أحد قبله ولا بعده .

- ومنها : أنه ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وربيبه الذي تربى في حجره وتخلق بأخلاقه . . .

- ومنها : إنه أول من أسلم وآمن برسول الله وصدقه وصلى خلفه . .

- ومنها : أنه أخو رسول الله الذي اختاره من بين جميع الناس إذ آخى بينه وبين نفسه يوم آخى بين المسلمين . .

- ومنها : إنه صهره - زوج ابنته فاطمة (عليها السلام) - ووزيره وحامل رايته في أكثر مواقفه وحروبه حتى قال (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما برز علي لعمر بن ود العامري يوم الخندق : « برز الإسلام كله إلى الشرك كله » .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً : « ضربة علي يوم الخندق تعدل عمل الثقلين » .

لكن لا بد لنا ونحن قد أشرفنا على نهاية سيرته (عليه السلام) من ذكر بعض ما قيل في مدحه ومناقبه وذلك إتماماً للفائدة . وقد توخينا عدم الإطالة مكتفين ببعض الأبيات من بعض القصائد التي قيلت فيه . . .

قال الشيخ صالح التميمي^(١) : قصيدة طويلة في مدح أمير المؤمنين علي منها :

ليت شعري ما تصنع الشعراء	غاية المدح في علاك ابتداء
وأمر إن عدت الأمراء	يا أخا المصطفى وخير ابن عم
ومعاليك ما هن انتهاء	ما نرى ما استطال إلا تناهى
	إلى أن يقول :

وبه جاء للصدور الشفاء	يا صراطاً إلى الهدى مستقيماً
ضرب ماضيك ما استقام البناء	بُني الدين فاستقام ولولا
يتأتى بغيره الإرتقاء	أنت للحق سلم ما لراقٍ
أنت من جوهر وهم حصباء	معدن الناس كلها الأرض لكن

(١) هو أبو سعيد الشيخ صالح التميمي الحلي الشاعر المشهور : ولد في الكاظمية سنة ١٢١٨ هجرية وتوفي في بغداد في شعبان سنة ١٢٦١ ودفن في الكاظمية . كان من بيت أدب وكمال رُبي في حجر جده الشيخ علي الزيني الشهير في مطارحاته مع السيد بحر العلوم وغيره في النجف الأشرف . انتقل مع جده من الكاظمية إلى النجف فأقام فيها برهة ثم سكن الحلة وبقي بها مدة حتى استقدمه والي بغداد داود باشا فسكنها . وفي ذلك قصة طويلة ذكرها السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة . في ترجمة الشيخ صالح التميمي الحلي .

شبه الشكل ليس يقضي التساوي
 شرف الله فيك صلباً فصلباً
 فكان الأصلاب كانت بروجاً
 لم تلد هاشمية هاشمياً
 وضعته ببطن أول بيت
 أمر الناس بالمودة لكن
 يا ابن عم النبي ليس ودادي
 فالورى فيك بين غالٍ وقالٍ
 وولائي إن بحت فيه بشيء
 أتقي ملحداً وأخشى عدواً
 وفراراً من نسبة لغلو
 إلى آخر هذه القصيدة التي يتطرق فيها صاحبها إلى ذكر مناقب
 علي (عليه السلام) ومواقفه وحروبه . من مبيته (عليه السلام) علي
 فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة فادياً له بنفسه مروراً
 بجهاده في سبيل الإسلام في عهد الرسول وبعده حتى وفاته

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى . . ﴾ سورة
 الشورى آية ٢٣ وتسمى أيضاً : حمسق ذكر الطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن
 بعد سلسلة من الإسناد عن ابن عباس قال : لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجراً . .
 الآية : قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم ؟ قال : علي وفاطمة
 وولدهما . وفي مجمع البيان أيضاً : عن أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله
 (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقت أنا وعلي
 من شجرة واحدة فأنا أصلهما وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها
 وأشياعنا أوراقها فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى . ولو أن عبداً
 عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام حتى يصير كالشن البالي ثم لم يدرك محبتنا كبه الله
 على منخرينه في النار ثم تلا : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في
 القربى . . ﴾ .

وروى زاذان عن علي (عليه السلام) قال : فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا
 كل مؤمن ثم قرأ هذه الآية . وإلى هذا أشار الكمي في قوله :
 وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقى ومعرب

(عليه السلام) في الكوفة ودفنه في موضع الغريين - النجف الأشرف - .

قال ابن أبي الحديد^(١) قصيدة في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهي من غرر الشعر نذكر بعضها وإن تكن جميعها جيدة . ولنستمع إليه وهو يخاطب البرق الذي يلمع في سواد الليل ويشق الدجى . حيث يقول :

يا برق إن جئت الغري^(٢) فقل له أترك تعلم من بأرضك موزع

(١) ابن أبي الحديد : هو عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي . له كتاب شرح نهج البلاغة . . وهو أطول شرح ، وأشمله بالعلوم ، والآداب ، والمعارف . صنفه برسم خزانة مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد العلقي . . وزير المستعصم بالله العباسي - آخر ملوك بني العباس - كان ابن أبي الحديد من أعيان أهالي بغداد وفضلائهم مائلاً للآداب ، مقرباً للأدباء معتزلي المذهب . وكانت له خزانة كتب كبيرة فيها عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب . شرع في تأليف كتاب شرح نهج البلاغة في غرة صفر سنة ٦٤٤ وأتمه في صفر سنة ٦٤٩ ففرض أربع سنين وثمانية أشهر في تأليفه . ولما فرغ أنفذه على يد أخيه موفق الدين أبي المعالي إلى ابن العلقي ، بعث إليه ٨٠٠ دينار ، وخلعة سنية ، وفرس . الخ - راجع ترجمة ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة : ج ١ ص ١٠ .

(٢) الغري : ظهر الكوفة وقد تقدمت ترجمته . والغري هو الموضع الذي دفن فيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) . ويعرف اليوم بمدينة النجف الأشرف . - النجف الأشرف : الأرض التي ضمت في ثراها رفاة علي بن أبي طالب (عليه السلام) أقدس رجل وأشرف ولد آدم (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

- النجف الأشرف : البقعة التي ضمت رفاة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وضجيعه آدم ونوح ، وجاريه هود وصالح كما ذكر أكثر المؤرخين وأصحاب السير . وقد جاء في كتب الأدعية والزيارة : السلام عليك يا أمير المؤمنين وعلي ضجيعك آدم ونوح . . وعلي جاريك هود وصالح . . الخ .

- النجف الأشرف : تلك المدينة التي أصبحت بفضل مقام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) معهد العلم الديني ، وينبوع المعرفة ، ومهوى أفئدة طلاب العلوم على اختلاف أنواعها ، وخاصة العلوم الدينية الإسلامية بجميع فروعها . . ومتفرعاتها .

- النجف الأشرف : تلك البيئة العلمية الذائعة الصيت . . التي أخرجت جهابذة =

فيك بن عمران الكلیم وبعده
بل فيك جبريل وميکال وأسرا
بل فيك نور الله جل جلاله
فيك الإمام المرتضى فيك الرضي
إلى قوله :
يا من له ردت ذكاء ولم يفز
بنظيرها من قبل إلا يوشع^(٣)
عيسى يقف فيه وأحمد يتبع
فيل والملا المقدس أجمع
لذوي البصائر يستشف ويلمع^(١)
المجتبى فيك البطين الأنزع^(٢)

= العلماء .. وكبار الفقهاء .. وأعلام المسلمين ومفكرهم .. ولولا مرقد أمير المؤمنين
علي (عليه السلام) في تلك البقعة من الأرض العراقية لما كانت مدينة النجف
يقصدها رواد العلم وطلاب المعرفة .. ولولا مقام علي (عليه السلام) لما كانت
أفئدة الناس تهوي إلى النجف من كل حدب وصوب للتبرك بزيارة المقام الشريف
فيها ...
فسلام الله عليك يا أبا الحسن طبت وطابت الأرض التي فيها دفنت .. ورحمة الله
وبركاته .

(١) « أما كون النبيين والملائكة في قبره (عليه السلام) فلا نه حوى ما حووه من الفضل
فكأنهم كلهم فيه وذكر موسى وعيسى (عليهما السلام) وهما من أولي العزم ليحصل
الإتصال بنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن كان أفضل الخلائق فإن علياً نفسه
بنص القرآن المجيد - كما في آية المباهلة : وأنفسنا وأنفسكم - والأخبار كذلك . وإنما
بدء بالنبيين وثني بالملائكة لأن الملائكة على رأي المعتزلة أفضل من النبيين . فكأنه
ارتقى عن درجة النبيين إلى الملائكة . ثم ارتقى إلى الدرجة العليا وهو نور الله الذي
لا يطفأ وقوله : يستشف ويلمع : أي ينظر فيضيء وأصل الإستشفاف النظر من وراء
ستر رقيق . راجع شرح القصائد السبع العلويات للعلامة السيد محمد صاحب
المدارك رحمه الله .

(٢) المرتضى والمجتبى من ألقاب علي (عليه السلام) والبطين في الأصل العظيم البطن
والأنزع الذي انحسر الشعر عن مقدم رأسه . ولا يمدح في ذلك . بل بقول النبي
(صلى الله عليه وآله وسلم) : « إنك منزوع من الشرك بطين من العلوم » والبطين
الأنزع : من ألقاب علي (عليه السلام) أيضاً :

(٣) ذكاء من أساء الشمس وقد ردت لعلي (عليه السلام) ذكر ذلك المؤرخون وأصحاب
السير : ففي الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني : ص ١٢٨ قوله : ومن كرامات
علي الباهرة : أن الشمس ردت عليه لما كان رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
في حجره ، والوحي ينزل عليه . وعلي لم يصل العصر . فما سرى عنه (صلى الله
عليه وآله وسلم) إلا وقد غربت الشمس . فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) =

يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن
يا قالع الباب الذي عن هزها
لولا حدوثك قلت أنك جاعل
لولا مماتك قلت أنك باسط
ما العالم العلوي إلا تربة
ما الدهر إلا عبدك القن الذي
أنا في مديحك الكن لا أهتدي
إلى قوله :

وتكاد نفسي أن تذوب صباية
ورأيت دين الإعترال وأنني
ومن القصائد الشعرية النفيسة التي قيلت في مدح أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب (عليه السلام) القصيدة الهائية المعروفة - بالأزرية -
نسبة لناظمها الشيخ كاظم الأزري . وهي قصيدة طويلة بلغت الألف
بيت وقد فقد أكثرها ولم يبق منها على التحقيق سوى ٥٧٨ بيتاً .

وهذه القصيدة تعتبر ملحمة من ملاحم الشعر العربي إذ بدأها
الشيخ كاظم الأزري^(٣) بالغزل على عادة الشعراء القدماء ثم أخذ بعد

= وسلم) : « اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس » . فطلعت
بعدما غربت وصلى (عليه السلام) وأما يوشع بن نون فإنه بعثه الله نبياً بعد موسى
وأمره بالمسير إلى قوم جبارين . فسار إليهم وقتلهم يوم الجمعة حتى أمسوا فدعا إلى
الله تعالى فرد الشمس وزيد في النهار يومئذ نصف ساعة وهزم الجبارين ومات وعمره
١٢٠ سنة .

(١) إشارة إلى قلع باب حصن خيبر أمنع حصون اليهود . وقد ذكرنا ذلك عند ذكر وقعة
خيبر .

(٢) جعل تربته ومحل جسده الشريف العالم العلوي . لأن قبره (عليه السلام) معراج
الملائكة ومحل اختلاف الأرواح ، والعالم العلوي عبارة عن ذلك .

(٣) كاظم بن محمد الأزري التميمي نسبة إلى بني تميم القبيلة العربية المعروفة في العراق .
وآل الأزري كما يروى من أشهر بيوتات بغداد الثرية في القرنين الأخيرين . ولد
الشاعر كاظم الأزري في بغداد سنة ١١٤٣ هجرية وتوفي سنة ١٢١١ ودفن في مقبرة =

ذلك في مدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . ثم انتقل إلى مدح أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وتعداد صفاته ومناقبه وكراماته . . . إلى أن تطرق إلى مواقفه وحروبه ونحن الآن نذكر بعضاً من هذه القصيدة . . . الأزرية . . . مقتصرين على بعض أبياتها تجنباً للإطالة . . . فمن مديحه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله :

معقل الخائفين من كل خوف	أوفر العرب ذمة أوفاهها
مصدر العلم ليس إلاّ لديه	خبر الكائنات من مبتداهها
ملك يحتوي ممالك فضل	غير محدودة جهات علاها
هو ظل الله الذي لو أوته	أهل وادي جهنم لحماها
ما تناهت عوالم العلم إلاّ	والى ذات أحمد منتهاها
أي خلق لله أعظم منه	وهو في الغاية التي استقصاها
قلب الخافقين ظهراً لبطن	فرأى ذات أحمد فاجتباها
من ترى مثله إذا شاء يوماً	محو مكتوبة الفضاء محاهها
لست أنسى له منازل قد	س قد بناها التقى فأعلى بناها
ورجالاً أعزة في بيوت	أذن الله أن يعز حماها
سادة لا تريد إلا رضى الله	كما لا يريد إلا رضاها
خصها من كماله بالمعاني	وبأعلى أسائه سماها
لم يكونوا للعرش إلا كنوزاً	خافيات سبحان من أبداهها
كم لهم ألسن عن الله تنبي	هي أقلام حكمة قد براها
وهم الأعين الصحيحات تهدي	كل نفس مكفوفة عينها

= بيت الأزرى الخاصة التي هي قبالة مدفن السيد المرتضى علم الهدى عليه الرحمة في مدينة الكاظمية التي فيها مقام الإمام السابع موسى بن جعفر وحفيده الإمام التاسع محمد الجواد (عليهما السلام) . والكاظمية قرب مدينة بغداد - وقد أصبحت أبنيتها متلاصقة - درس الشيخ كاظم الأزرى العلوم العربية ومقداراً غير قليل من الفقه والأصول على فضلاء عصره ، ولكنه ولع بالأدب وانقطع عن متابعة الدرس ، وأخذ ينظم الشعر ولم يبلغ العشرين . . وكان سريع الخاطر حاضر النكتة . وقاد الذهن قوي الذاكرة . كما كان محترم الجانب لدى العلماء والوجهاء من أبناء عصره . وله أشعار كثيرة لا مجال لذكرها الآن .

علماء أئمة حكام
قادة علمهم ورأي حجاهم
ما أبالي ولو أهيلت على الأر
من يباريهم وفي الشمس معنى
ورثوا من محمد سبق أولاً
وبعد ذلك ينتقل الشاعر إلى مدح أمير المؤمنين علي
(عليه السلام) فيقول :

ملك شد أزره بأخيه
أسد الله ما رأت مقلته
فارس المؤمنين في كل حرب
لم يخض في الهياج إلا وأبدى
ذاك رأس الموحدين وحامي
جمع الله فيه جامعة الرس
وإذا ما انتمت قبائل حي المو
من ترى مثله إذا صرت الحر
ذاك قمقامها الذي لا يروي

وبعد ذكر الوقائع التي خاضها أمير المؤمنين علي (عليه السلام)
من يوم بدر حتى أحد . . والأحزاب . . وحنين . . الخ ينتقل الشاعر
إلى ذكر البيعة لعلي (عليه السلام) يوم غدير خم . . وذلك بأسلوب
سلس ، وكلام عذب ، وشاعرية رقيقة .

وبعد جولته في هذا المضمار نجده يلتفت مخاطباً المتجهين نحو
أرض الغريين - مرقد أمير المؤمنين علي - بقوله :

أيها الراكب المجد رويداً
إن تراءت أرض الغريين فاخضع
وإذا شمت قبة العالم الأعلى
فتواضع فثم دارة قدس
قل له والدموع سفح عقيق
بقلوب تقلبت في جواها
واخلع النعل دون وادي طواها
وأنوار ربها تغشاها
تتمنى الأفلاك لثم ثراها
والجوى تصطي بنار غضاه

يا بن عم النبي أنت يد الد
أنت قرآنه القديم وأوصا
حسبك الله في مآثر شتى
ليت عيناً بغير روضك ترعى
أنت بعد النبي خير البرايا
لك ذات كذاته حيث لولا
قد تراضعتما بشدي وصال
يا علي المقدار حسبك لا هو
لك نفس من جوهر اللطف صيغت
يا أبا النيرين أنت سماء
ومن القصائد الشعرية التي قيلت في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب (عليه السلام) قصيدة الشاعر الذائع الصيت أبي تمام حبيب بن
أوس الطائي^(١) وهي قصيدة طويلة منها :

(١) ولد أبو تمام سنة ١٩٠ هـ بقرية يقال لها جاسم من أعمال حوران من بلاد دمشق .
وتوفي بالموصل سنة ٢٢٨ هـ وكان على بريدها ولاء الحسن بن وهب . بنى عليه أبو
نهشل بن حميد الطوسي قبة قبره خارج باب الميدان بالموصل . نشأ أبو تمام في مصر
وكان أسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام فيه غنمة يسيرة جالس في أول أمره وطليعة
عمره الأدباء في مصر . وأخذ عنهم من النظم والنثر ، والأدب والفضل ما لا مزيد
عليه . وكان فطناً ذكياً محباً للشعراء وأهل الفضل حتى سار ذكره في الآفاق وبلغ
المعتصم العباسي إذ ذاك خبره فاستقدمه ولما عرض عليه قصائده قدمه المعتصم على
شعراء زمنه . فترقت حاله وبعد مدى صيته . ولأبي تمام من الشعر الجيد الكثير الدال
على ذكائه وهو صاحب ديوان الحماسة . وله مجموع آخر سباه فحول الشعراء جمع فيه
طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلام وكتاب الإختيارات من شعر
الشعراء . وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه غيره . وقيل : إنه كان يحفظ أربعة
عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع . ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم .
وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

قالها في مدح المعتصم العباسي في قصة فتح عمورية من بلاد الروم حيث كان
المنجمون أشاروا على المعتصم بعدم الذهاب إلى بلاد الروم لفتح عمورية لأن التنجيم
لا يقول بالنصر . . وخوفه العاقبة .

أخوه إذا عد الفخار وصهره
 وشد به إزر النبي محمد
 وما زال صباراً دياجير غمرة
 هو السيف سيف الله في كل مشهد
 فأبي يد للذم لم يبر زندها
 ثوى ولأهل الدين أمن بحده
 يسد به الثغر المخوف من الردى
 بأحد وبدر حين ماج برجله
 ويوم حنين والنضير وخيبر
 سما للمنايا الحمر حتى تكشفت
 مشاهد كان الله كاشف كربها
 ويوم الغدير استوضح الحق أهله
 أقام رسول الله يدعوهم بها
 يمد بضبعيه ويعلم أنه
 فلا مثله أخ ولا مثله صهر
 كما شد موسى بهارونه الإزر
 يمزقها عن وجهه الفتح والنصر
 وسيف الرسول لا ددان ولا دثر^(١)
 ووجه ظلال ليس فيه له أثر
 وللواصمين الدين في حده دعر
 ويعتاض من أرض العدوبة الثغر^(٢)
 وفرسانه أحد وماج بهم بدر
 وبالخندق الثاوي بعقوته عمرو^(٣)
 وأسيافه حمر وأرماحه حمر
 وفارجه والأمر ملتبس إمر^(٤)
 بفيحاء لا فيها حجاب ولا ستر
 ليقرهم عرف وينأهم نكر
 ولي ومولاكم فهل لكم خبر^(٥)

(١) الددان : السيف ، الكهام الغير ماضي . والدثر : بالفتح الرجل الخامل البطيء
 النؤ . ومراده : أنه سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي ليس بالكليل
 ولا بالخامل .

(٢) يعتاض به الثغر : يقوى ويشدد .

(٣) بدر ، وأحد ، وحنين ، وخيبر ، والخندق مواضع في الحجاز وقع فيها قتال مشهور
 بين المسلمين والمشركين في بدىء الدعوة الإسلامية وكان فارسها الأوحده الذي جندل
 المشركين بسيفه علي بن أبي طالب (عليه السلام) . والنضير حي من اليهود
 والعقوة : الساحة . وعمرو هو : عمرو بن عبد ود العامري الذي قتله علي
 (عليه السلام) يوم الخندق وقد مر ذكره .

(٤) الإمر : المنكر .

(٥) يمد بضبعيه : الضبع هو العضد ما بين المرفق إلى الكتف . إشارة إلى أن رسول الله
 (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد علي (عليه السلام) يوم غدير خم ورفعها حتى
 بان ما تحت إبطيه معلناً بذلك أن علي بن أبي طالب هو مولى المسلمين وخليفته من
 بعده .

يروح ويغدو بالبيان لمعشر يروح بهم غمر ويغدو بهم غمر^(١)
فكان له جهر بإثبات حقه وكان لهم في بزهم حقه جهر^(٢)
إلى أن يقول :

لكم ذخركم إن النبي ورهطه وجيلهم ذخري إذا التمس الذخر
جعلت هوائي الفاطميين زلفة إلى خالقي ما دمت أو دام لي عمر

ومن الشعراء الأجلاء المجيدين أبي الطيب المتنبي^(٣) الذي عوتب

(١) الغمر : الكريم الواسع الخلق . والمراد أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يغدو بالبيان لمعشر بكل خلق كريم .

(٢) الجهر : الكشف والوضوح . وإبته الشيء : غلبه عليه وسلبه إياه . والمعنى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بين حق علي بالخلافة جهراً . . على أنهم تناسوا قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الواضح وإبتهوا حق علي جهراً بسلبهم الخلافة منه .

(٣) أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين المشهور بحكمياته وشعره الجيد البليغ في معانيه ومدائحه ، القاسي في هجائه ، الغني بأعدائه وحساده . وباختصار هو أشهر من أن يعرف . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ ونشأ بها ، ثم قدم الشام في صباه مع أبيه وجال في أقطارها إلى أن ادعى النبوة في بادية السماوة كما يروى ، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الأخشيدي ، فأسره ، وحبسه طويلاً ، ثم استتابه وأطلقه . ومن ثم سُمي - بالمتنبي - ثم التحق بالأمير سيف الدولة ابن حمدان سنة ٣٣٧ بحلب ومدحه وما زال عنده حتى وقع بينه وبين ابن خالويه النحوي كلام في مجلس سيف الدولة . فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه فشجه . عند ذلك خرج المتنبي غاضباً وفارق سيف الدولة ، وذهب إلى مصر سنة ٣٤٦ ومدح حاكمها كافور الأخشيدي . وكان يقف بين يدي كافور وفي رجله خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق . ولما رأى كافور تعاليه في شعره واعتداده وسمو نفسه خافه ولم يسلمه ولاية ولم يرضه . عند ذلك غضب المتنبي وفارق كافوراً ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠ وهجاه بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم بأمر فيك تجديد

ومضي في هجائه اللاذع لكافور بقوله :

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن يسيء لي فيه عبد وهو محمود

ولما رحل المتنبي عن كافور قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي فأجزل جائزته . وكذلك مدح ابن العميد . ولما رجع من عند عضد الدولة قاصداً =

على تركه مديح آل البيت (عليهم السلام) سيما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال :

وتركت مدحي للوصي تعمداً إذ كان نوراً مستطياً شامداً
وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

= بغداد ثم إلى الكوفة عرض له فاتك بن الجهل الأسدي في عدة من أصحابه ، فقاتلوهم . فقتل المتنبي وابنه محمّد وغلّامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من سواد بغداد عند دير العاقول وذلك سنة ٣٥٤ .

الخاتمة

ذكرنا القليل من الكثير عن الأزمنة التي تعاقبت فيها الأحداث عبر القرون المتتالية المملوءة بالمتناقضات وقد تخللها أحداث عظام بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ودارت فيها الدوائر على أهل العدل والأيمان ، والصفوة من البشر الذين لم يزل ذكرهم الحسن يتردد في المسامع ، ونفح عبير حياتهم يفوح بين الناس في كل لحظة ولحظة . . . فالحق يعلو ولا يعلو عليه شيء . . . حتى ولو تخلل تلك الأزمنة فترات من التاريخ وجود جبابرة طغوا وبغوا وباعوا الحق وظلموا أهله . . في حين كان هؤلاء الجبابرة يضمرون غير ما يبدون في سبيل دنيا زائلة ، وأيام قليلة ، وشهوة عابرة ، سرعان ما تذهب ويذهبون ، كأن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، وما بقي من آثارهم سوى العبر أمام ذوي البصائر كما في قوله تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون - وزروع ومقام كريم - ونعمة كانوا فيها فاكهين - كذلك وأورثناها قوماً آخرين - فما بكت عليهم السماء - والأرض وما كانوا منظرين ﴾ (١) .

سرعان ما ذهبوا وخلفوا ما قاتلوا عليه . . فقد ظلموا وشردوا . . وقتلوا الأبرياء . . ولم يراعوا في السماء ساكناً . .

(١) سورة الدخان : الآية ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ .

وفي النهاية ساروا إلى حيث لم ينفع الندم . . .
 ساروا إلى الحساب والعقاب .
 ساروا إلى يوم : تجزى فيه كل نفس بما كسبت . .
 ساروا إلى يوم ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾^(١) .
 ساروا إلى يوم : ﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾^(٢) .
 وهيهات للجبابرة الظالمين أن يكونوا في مأمن من الحساب . . .
 ومن عذاب الله . . .
 ذهب علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى لقاء ربه . . راضياً
 مرضياً . . .
 ذهب (عليه السلام) بعدما عمل جهده في سبيل تركيز دعائم
 الإسلام ، وإحقاق الحق . . ونصرة أهله .
 ذهب (عليه السلام) إلى لقاء ربه . . وبقي ماثلاً قي قلوب
 المؤمنين . . . وفي وعي الزمن . . وفي ذاكرة التاريخ . . لم يذكره أحد
 على مر الأيام وتعاقب السنين إلا بالإجلال والإعظام . .
 ذهب (عليه السلام) إلى لقاء ربه طاهراً نقياً . . لم يترك صفراء
 ولا بيضاء . . ولا دوراً ولا قصوراً . . ولا جنائن ولا جوارى ولا أي
 شيء يذكر من متاع الدنيا .
 بل ذهب آخذاً معه عمله الصالح تاركاً ذكره الفواح العطر باقياً
 ما بقي الدهر . . .
 وما خاصمه ونصب له العداوة في حياته حتى بعد مماته إلا

(١) سورة الشعراء : الآية ٨٨ .

(٢) سورة الطور : الآية ٢١ .

البغاة .. والطغاة .. وفرسان الضلال .. وعبيد الشهوات .. وأهل
الأهواء والأغراض .

حاربه معاوية بن أبي سفيان لقاء دنيا فانية .. ظلماً له .

حاربه معاوية لأجل الدنيا وبها رجعها ... حاربه ليفوز
بسلطانها .. حاربه ليتربع على عرشها .. ويستمتع في ملذاتها ..

حارب معاوية الحق وأهله بكل من باع دينه بدنياه .. فكان له
ما أراد .. ولكن سرعان ما ذهبوا جميعاً حاملين أوزارهم .. مثقلين
بخطاياهم وأفعالهم السيئة الظالمة .. وتركوا ما جمعوه وما بنوه وما كانوا
به من جاه وسلطان عبرة لمن اعتبر .. كما أسلفنا . وكما قال الشاعر :

أين القصور أبا يزيد وهوها والصفائف وزهوها والسؤدد
أين الدهاء نحررت عزته على أعتاب دنيا سحرها لا يخلد
تلك البهارج قد مضت لسبيلها وبقيت وحدك عبرة تتجدد

ذهب علي (عليه السلام) إلى جوار رب كريم وبقي معاوية على
غروره وضلاله يعمل الخدع ... ويبذل الأموال الطائلة جاهداً لسلب
الخلافة من الإمام الحسن السبط (عليه السلام) الذي بايعه المسلمون
بالخلافة بعد أبيه أمير المؤمنين علي وبوصية منه فكانت خلافته
(عليه السلام) هي الخلافة الحقيقية وهو الخليفة الشرعي . وسندكر فيما
بعد أن شاء الله عند ذكر خلافة - الحسن - ما ورد عن رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) في حقه . وهو الإمام المعصوم من أهل
البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً !

راح معاوية يدس الدسائس ويعمل الخيل ، لانتزاع الخلافة بشتي
الوسائل ... تارة بالإشاعة الكاذبة .. بأن الحسن بايعه .. زوراً
وبهتاناً .. وتارة بإغراء الناس بالأموال للإنفضاض عنه ... كما فعل
مع عبيد الله بن العباس - أحد قادة جيش الإمام الحسن ...

لكن الإمام الحسن لم تنطل عليه حيل معاوية وحبائل مكره ،

وخذعه ومكائده . . وعرف أن أهل الأطماع قد باعوا دينهم بدنياههم واستأهلهم معاوية إلى جنبه . . .

وأخيراً وحفظاً على المسلمين وحققاً لدمائهم رضي بمصالحه معاوية ومهادنته على شروط كثيرة لا مجال لذكرها الآن مفصلة .

ومن جملة شروط الحسن التي اشترطها على معاوية عدم التعرض لأصحاب أمير المؤمنين علي الذين هم من صفوة المؤمنين وخيرة المسلمين أمثال حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهما . الذين قتلهم فيما بعد .

لكن معاوية غدر وخان ولم يف بشروط من شروط الصلح كما ذكر المؤرخون وأصحاب السير كأبي الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين والشيخ المفيد في الإرشاد وغيرهما .

من أن معاوية بن أبي سفيان بعدما عاهد الحسن (عليه السلام) وحلف له بالوفاء واستتمت الهدنة بشروطها . . سار معاوية حتى نزل بالنخيلة ، وكان ذلك يوم الجمعة فخطب وقال في خطبته : « إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتحجوا ، ولا لتزكوا . . إنكم لتفعلون ذلك . . ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون .

ألا وإني كنت منيت الحسن أشياء وأعطيته أشياء . . وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له . . الخ » .

ثم سار حتى دخل الكوفة .

وذكر المدائني أن معاوية بن أبي سفيان خطب الناس - وذكر الخطبة ، ثم قال في آخرها أن كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة لمطلول . . وكل شرط اشترطته للحسن فتحت قدمي هاتين . . الخ » .

وهكذا نرى أن معاوية بن أبي سفيان غدر . . ومكر . . وخان العهد . . وما أخذه على نفسه من الشروط للإمام الحسن

(عليه السلام) التي سنذكرها مفصلة عند الكتابة لسيرته فيما بعد إن شاء الله .

وعلى هذا يتضح لكل منصف عاقل لا يميل به الهوى من أن الحسن (عليه السلام) صالح معاوية وهادنه على شروط واضحة لصالح المسلمين . . وحقناً لدمائهم وحفظاً لكرامتهم . . لكن معاوية لم يف بواحد من الشروط . .

ومن المعلوم الواضح أنه إذا انتفى الشرط انتفى المشروط . .

وعلى هذا يكون الإمام الحسن بقي على إمامته وخلافته للمسلمين ويكون ادعاء معاوية الخلافة وتسلمته على رقاب المسلمين ظلماً وجوراً . . .

وبالختام . . أقول : مهما كتبت في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فلا أجد نفسي إلا مقصراً ولا أكون إلا قد أتيت بالقليل من الكثير لأن مقامه (عليه السلام) أعلا وأعظم . . . وقدره أجل وأسمى من أن تفي الكلمات حقه بالغة ما بلغت .

كما وإني أدعو الله سبحانه وتعالى وأنا أكتب الخاتمة من هذا الفصل من كتاب (سيرة الرسول وخلفائه) أن يصلح الأحوال ويرفع كابوس الفتنة عن البلاد والعباد في وطني . . الفتنة العمياء التي ما زالت متحركة في رقاب الناس حيث ما زال القتل والقتال هو سيد الموقف ينتقل في أرجاء الوطن - لبنان - من بلد إلى بلد ومن حي إلى حي في معارك وحروب لا فائدة بها . . أجج أوارها الحاقدون والمستعمرون ولم تطفأ حتى الآن من حوالي أربعة عشر سنة في بلادنا الوادعة التي كانت مهد الراحة والطمأنينة . . ومهوى الأفتدة من كل حذب وصوب .

كما وإني أختم مجهودي المتواضع متوسلاً إلى مجد عزته تعالى أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم سبحانه . . وأن أنال شفاعة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرين

(عليهم السلام) يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وقد فرغت من الكتابة في يوم الجمعة ٢٧ جمادي الثانية سنة ١٤٠٩ للهجرة الموافق ٣ شباط سنة ١٩٨٩ ميلادية وأنا الفقير إلى رحمة ربه تعالى علي بن محمد حسن^(١) بن علي بن فخر الدين بن

(١) السيد محمد حسن ولد في بلدة عيناثا - جبل عامل (لبنان الجنوبي) في سنة ١٣١٠ هجرية من أبوين كريمين تربط بينهما رابطة العلم والدين . فأبوه السيد علي من عائلة عريقة في النسب ترجع إلى الإمام الحسن (عليه السلام) . وأمه ابنة الشيخ محمد مهدي شمس الدين التي ترجع بالإنساب إلى الشهيد الأول محمد بن مكي . إنجبه السيد محمد حسن بعد أن شبّ لدراسة العلوم الدينية فدرس على جده لأمه العلامة الشيخ مهدي شمس الدين في مجدل سلم . وفي جوياء على عمه والد زوجته السيد العلامة مصطفى نور الدين .

وبعدها هاجر إلى العراق في الربع الأول من القرن العشرين - ميلادي - حيث أقام في جامعة النجف الأشرف نحواً من خمسة عشر عاماً درس فيها على الأقطاب والمراجع من علمائها أمثال : الشيخ أحمد كاشف الغطاء والميرزا حسين النائيني والسيد أبو الحسن الأصفهاني وغيرهم من أعلام الدين وأئمة الفقه . وعندما أصبح السيد محمد حسن في حدود الأربعين من عمره رجع إلى بلاده جبل عامل مزوداً بالشهادات التي تنص على اجتهاده المطلق من أساتذته .

وبقي طيلة حياته عالماً كبيراً ومرجعاً من مراجع الدين وفيّاً لرسالته حريصاً على أدائها لا تأخذه في الحق لومة لائم سواء كان في جبل عامل أو بعد انتقال إقامة سكنه إلى بيروت - برج البراجنة .

توفاه الله في صباح يوم الجمعة من السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك من عام ١٣٩٢ هجرية الموافق ٣ تشرين الثاني من عام ١٩٧٢ ميلادية في منزله برج البراجنة فأحس الناس بصدمة كبيرة لنبا وفاته وهرعوا جماعات للإشتراك في تشييع الجنازة من منزله في برج البراجنة إلى مطار بيروت لنقل جثثانه الطاهر ودفنه في النجف الأشرف في جوار أمير المؤمنين (عليه السلام) وذلك حسب وصيته . وفي العراق اشترك في التشييع حشود كبيرة من الشخصيات الدينية والرسمية من العلماء الأجلاء والزعماء والوجهاء والكثير من المواطنين والجالية العلمية اللبنانية - من الكاظمية - بغداد - كربلاء حتى النجف الأشرف وبعد الصلاة عليه دفن في الصحن الشريف في رحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في غرفة خاصة مجاورة للمقام الشريف .

يوسف بن يوسف بن محمد بن فضل الله بن محمد بن محمد بن يوسف بن
السيد بدر الدين بن علي بن محمد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن
الحسن بن عيسى بن فاضل بن يحيى بن جوبان بن الحسن بن ذياب بن
عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن داود بن إدريس بن داود بن
أحمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن
علي بن أبي طالب (عليهما السلام) .

= وكان يوماً مشهوداً أقيمت الإحتفالات التأبينية في لبنان حيث تبارى الشعراء والأدباء
في رثائه وتأبينه وفي النجف الأشرف أقيمت له الفوائح في عدة مجالس .

مصادر الكتاب

القرآن الكريم	
مجمع البيان في تفسير القرآن	للطبرسي
التيبان	للشيخ الطوسي
الميزان في تفسير القرآن	للطباطبائي
تفسير الجواهر	للطنطاوي
مجمع البحرين	للطريحي
تفسير القرآن العظيم	لابن كثير
الدر المنثور في التفسير بالمأثور	للسيوطي
تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان	للنيسابوري
شرح نهج البلاغة	لابن أبي الحديد
شرح نهج البلاغة	للشيخ محمد عبده
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام	للدكتور جواد علي
قصص الأنبياء	لعبد الوهاب النجار
معجم البلدان	ياقوت الحموي
الكامل في التاريخ	لابن الأثير

المسعودي	مروج الذهب
الحر العاملي	وسائل الشيعة
ابن عبد ربه الأندلسي	العقد الفريد
ابن منظور	لسان العرب
الزبيدي	تاج العروس
	المنجد في اللغة
الجزائري	قصص الأنبياء
الخليلي	موسوعة العتبات المقدسة
علي بن برهان الدين الحلبي	السيرة الحلبية
الأزرقي	أخبار مكة
الطبري	تاريخ الأمم والملوك
اليعقوبي	تاريخ اليعقوبي
ابن سعد	الطبقات الكبرى
النويري	نهاية الأرب في فنون الأدب
ابن هشام	السيرة النبوية
ابن دحلان	السيرة النبوية
المجلسي	بحار الأنوار
الواقدي	المغازي
أبي الفضل شاذان	الفضائل
السهيلى	الروض الأنف
الشيخ الأميني	الغدير
السيد محسن الأمين	أعيان الشيعة
ابن كثير	البداية والنهاية
ابن عبد البر	الأستيعاب
ابن حجر	الصواعق المحرقة
ابن حجر	الإصابة
عمر رضا كحالة	أعلام النساء

حلية الأولياء	لأبي نعيم الأصبهاني
المراة في ظل الإسلام	مريم نور الدين فضل الله
كشف الغمة	الأربلي
شرح نهج المسترشدين	العلامة الحلي
ينابيع المودة	القندوزي
أنساب الأشراف	البلاذري
الإرشاد	الشيخ المفيد
مفتاح الكرامة	السيد محمد جواد العاملي
بلاغات النساء	ابن طيفور
الأخلاق الإسلامية	للمؤلف
في ظلال الوحي	للمؤلف
الشوقيات	أحمد شوقي
فضائل الخمسة من الصحاح الستة	الفيروز آبادي
تاريخ العرب	الدكتور فيليب حتي
العقريات الإسلامية	العقاد
فدك في التاريخ	السيد محمد باقر الصدر
تراجم سيدات بيت النبوة	الدكتورة بنت الشاطئ
الملل والنحل	الشهرستاني
الإمامة والسياسة	ابن قتيبة
الإحتجاج	للشيخ الطبرسي
تاريخ الحسين	الشيخ عبد الله العلايلي
حياة محمد	الأستاذ هيكل
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
أحاديث أم المؤمنين عائشة	السيد مرتضى العسكري
عمدة الزائر	السيد حيدر الحسيني
وقعة صفين	نصر بن مزاحم

النجوم الزاهرة في ملوك مصر
والقاهرة

علي إمام المتقين
الأصول من الكافي
الفروع من الكافي
إرشاد القلوب
الأغاني
من لا يحضره الفقيه
مقاتل الطالبين
ديوان أبي تمام الطائي
ديوان أبي الطيب المتنبي

جمال الدين الأتابكي
الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي
للشيخ الكليني
للشيخ الكليني
للديلمي
لابن الفرغ الأصبهاني
للشيخ الصدوق القمي
لأبي الفرغ الأصفهاني

المحتويات

الفصل الثالث والستون

٧	حرب صفين
١٣	دخول الأحنف بن قيس على أمير المؤمنين علي بالكوفة
١٧	جرير البجلي رسول أمير المؤمنين علي إلى معاوية
٢١	ما كان من أمر جرير البجلي ومعاوية
٢٥	إستعانة معاوية بعمر بن العاص
٢٩	عمر بن العاص عند معاوية
٣٣	المساومة .. بين معاوية وعمر
٣٧	كتاب معاوية لعمر بن العاص بمصر
٤١	ما كان من أمر معاوية مع شرحبيل وتضليله
٤٥	كتاب أمير المؤمنين علي إلى جرير وجواب معاوية إلى علي
٤٩	جواب أمير المؤمنين علي على كتاب معاوية
٥٣	بين الأشتر وجرير بعد رجوعه من الشام
٥٧	كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين علي وجواب علي له
٦٣	وقفه تأمل في كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين علي

الفصل الرابع والستون

المسير إلى صفين	٧١
من أخبار أمير المؤمنين علي وهو في طريقه إلى صفين	٧٥
قصة الراهب الذي جاء إلى أمير المؤمنين علي وهو في طريقه إلى صفين	٧٩
حديث أمير المؤمنين علي عند مروره بكربلاء في طريقه إلى صفين ..	٨٣
القتال على الماء	٨٧
وقفة تأمل	٩١
الموادعة في صفين	٩٧
من وصايا أمير المؤمنين لجيشه	١٠١
القتال بعد الهدنة	١٠٥
من قصة ذي الكلاع ومقتله	١١١
مقتل عمار بن ياسر	١١٧
مقتل هاشم المرقال وإبنا حذيفة	١٢٥
مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب	١٢٩
قصة عمرو بن العاص في مبارزته لأمير المؤمنين علي	١٣٣
ليلة الهيرير	١٣٩
خدعة رفع المصاحف	١٤٣
إختلاف رأي أهل العراق بعد رفع المصاحف	١٤٧
عرض وتحليل	١٥٣
قصة التحكيم .. والحكمين	١٥٧
وقفة تأمل في اختيار الحكمين	١٦٣
كتاب الإتفاق .. أو صحيفة الموادعة	١٦٧
نصّ الكتاب	١٧١
التحذير لإبي موسى الأشعري	١٧٥
رجوع أمير المؤمنين علي من صفين	١٨١

١٨٥ إجتماع الحكمين

الفصل الخامس والستون

١٩٥ قصة الخوارج
 ٢٠١ بعض خطب أمير المؤمنين علي بالكوفة لما خرجت عصابة الخوارج
 ٢٠٥ من بعض أفعال الخوارج المنكرة
 ٢١١ مسير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج ومواجهتهم
 ٢١٧ قتال الخوارج
 ٢٢٣ مقتل المخدج ذي الثدية
 ٢٢٩ رجوع أمير المؤمنين علي إلى الكوفة
 ٢٣٣ أمير المؤمنين علي في الكوفة بعد قتال الخوارج

الفصل السادس والستون

٢٣٩ ولاية قيس بن سعد على مصر
 ٢٤٣ بين قيس بن سعد ومعاوية
 ٢٤٧ نظرة حول كتاب معاوية المختلق عن لسان قيس بن سعد
 ٢٥١ تنحية قيس بن سعد عن ولاية مصر
 ٢٥٧ نظرة وتحليل حول عزل قيس بن سعد عن ولاية مصر
 ٢٦٥ ولاية محمد بن أبي بكر على مصر
 ٢٦٩ مقتل محمد بن أبي بكر
 ٢٧٧ ولاية الأشتر على مصر
 ٢٨١ مقتل مالك بن الحارث الأشتر

الفصل السابع والستون

٢٨٩ الغارات على الأقطار الموالية لعلي أمير المؤمنين
 ٢٩١ غارة النعمان بن بشير على عين التمر

٢٩٣	غارة الضحاك بن قيس الفهري
٢٩٩	غارة سفيان بن عوف الغامدي
٣٠٥	خطبة الجهاد
٣١١	غارة بسر بن أرطأة
٣١٧	مسير جارية بن قدامة السعدي لقتال بسر بن أرطأة
٣٢١	وقفة تأمل
٣٢٥	حول خطبة الشقشقية
ما نسب لعبد الله بن عباس من مفارقتة لإمير المؤمنين علي وأخذ مال	
٣٣٣	البصرة

الفصل الثامن والستون

٣٣٩	آذنت الشمس بالمغيب
٣٤٣	الفاجعة الأليمة
٣٥١	بعد ضربة ابن ملجم
٣٥٩	الوصية
٣٦٣	وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)
٣٦٧	تغسيله (عليه السلام) وتكفينه والصلاة عليه
٣٧١	دفن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)
٣٧٧	لماذا دفن أمير المؤمنين علي ليلاً؟
٣٨١	لمحة عن موضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

الفصل التاسع والستون

٣٩١	إظهار قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
٣٩٩	فضل الدفن في جوار أمير المؤمنين علي
٤٠٥	المؤامرة التي طمسها التاريخ
٤١١	صفة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)
٤١٥	زوجات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

ماذا ترك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٤١٩

الفصل السبعون

عهد أمير المؤمنين علي للأشتر	٤٢٧
العدل والإنصاف مع الرعية	٤٢٩
حسن اختيار البطانة	٤٣٣
تقسيم الرعية إلى طبقات	٤٣٧
تنظيم الجند وشروط اختيار القادة	٤٤١
الدقة في اختيار القضاة	٤٤٥
مراقبة العمال	٤٤٧
عمارة الأرض وخرابها	٤٤٩
أفضل الكتاب من عرف بالأمانة	٤٥١
التجار وذوي الصناعات	٤٥٥
الإهتمام بشؤون الضعفاء	٤٥٧
التقرب إلى الله تعالى	٤٦١
مساوئ احتجاج الوالي عن رعيته	٤٦٣
الحذر . . . الحذر من تلاعب الخاصة والبطانة	٤٦٥
العذر للرعية مع صلح حذر مع الأعداء	٤٦٧
الوفاء بالعهد	٤٦٩
النهي عن سفك الدم الحرام	٤٧٣
وصايا خاصة . . وتوجيهات عامة	٤٧٥

الفصل الواحد والسبعون

بعض منجزات علي أمير المؤمنين	٤٨٣
بعض أقوال أمير المؤمنين علي وحكمه	٤٨٧
الحث على طلب العلم	٤٨٩
من حكم علي أمير المؤمنين ومواعظه	٤٩٣

٤٩٧	موعظة ناجعة ، وحكمة بالغة
٥٠٣	بعض كلمات علي القصار
٥٠٧	من شعر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)
٥١٣	في النصائح
٥١٧	بعض ما قيل من الشعر في مدح علي (عليه السلام)
٥٢٩	الخاتمة
٥٣٧	مصادر الكتاب
٥٤١	المحتويات





